المرأة

والتقدم للخلف

دراسة نفسية للعادات والتقاليد

دكتور محمد عوض خميس

العربي للنشر والتوزيع

١٥٧
خ٣م

المرأة

والتقدم للخلف

دراسة نفسية
للعادات
والتقاليد

دكتور
محمد
عوض
خميس

العربي
للنشر والتوزيع

٦٠ شارع قصر العيني امام روزاليوسف
تليفون : ٣٥٤٧٥٦٦ ـ ٣٥٥٤٥٢٩

إهـــداء

الى احـــدى النساء العربيات المتقـــدمات للخلف :

الى نجـــاة

حب غير قابل للوصف أو التشبيه !!

د. محمد عـــوض خميس

مقدمة

كنت فى حوار مع صديق مثقف جدا وتطرق بنا الحديث الى قضية تحرر المرأة بشكل عام ، وسألته : كم تظن نسبة قوة العمل بين الاناث فى مصر ؟ ..فأجابنى بثقة شديدة : كبيرة جدا بالطبع ، وعندما اوضحت له أن هذه النسبة هى ٨ر٩٪ فى حين أن النساء يمثلن ٩ر٤٩٪ من جملة السكان فى مصر ، اصيب باندهاش عظيم ووجوم أعظم ! من هنا نبدأ :

أن قضية تحرر المرأة ، هى قضية أساسية فى أى مجتمع ينشد التقدم ، فلنا أن نتصور مجتمعا لا تشارك فيه المرأة بعملها المنتج ، ولنا أن نتصور مجتمعا لا تشارك المرأة فى قضاياه العامة ، ولنا أن نتصور مجتمعا معظم نساؤه اميات تعليميا بالاضافة الى الأمية الثقافية .. والمرأة ـ شاء البعض او لم يشأ ـ عضو فى المجتمع بالاضافة الى أن أحد أدوارها أنها أم تترك بصماتها على ابناء ، بماذا نتنبأ لمثل هذا المجتمع ؟ تخلف أشد بلا جدال .

أن قضية تحرر المرأة هى قضية تحرر الانسان ، وهى قضية تقدم المجتمع .. وقد يقف البعض متصورا أن المرأة قد نالت حقوقها ، نعم عبر نضالات طويلة انتزعت المرأة العربية بعض الحقوق ، ولكنها ما زالت تعيش تحت وطأة العديد من القيود : الاقتصادية ، الاجتماعية « الجنسية والزواجية » ، القانونية ، الأخلاقية والدينية والقيود النفسية والفكرية ، ومن كثرة وتعدد تلك القيود بالاضافة الى العادات والتقاليد المتوارثة ، يبدو أن المرأة أصبحت مستسلمة لما هى فيه متكيفة مرضيا مع عوامل تخلفها ..

أن صيحات واصوات بدأت تعلو وتحدث ضجيجا : منادية بعودة المرأة الى البيت حيث وظيفتها الوحيدة هى أنها زوجة ، وأنها عورة ، وان

اختلاطها بالرجال فجور وسفورها رده ، وان مشاركتها فى حياة مجتمعها مفسدة !! .. والعجيب أن النســـاء بدأن ينسقن وراء تلك الأصـــوات (ولـــو على سبيل الموضه !) . اى انهن يتقــدمن الى الخلف . ان هــذا الكتــاب يناقش بشكل عـــام تحليـــلا لشخصية المراة العربية (المصرية كنموذج) من خلال القيود الواقعة تحت طائلتها والعادات والتقاليد التى تمارسها وعــدم وضوح مفاهيم الحياة التى تعتنقها .

ولقــد قابلتنا العــديد من الصــعوبات : فهناك صــعوبة حصر العادات والتقاليد التى تمارسها المراة المصرية نظرا لتشعبها وتعــددها ، وهناك الغموض الواضح لطقوس تلك العـــادات والتقاليد وأصولها التاريخية .. بالاضافة الى عــدم وجود دراسات أو مراجع تناقش قضية تحرر المراة من هــذه الزاوية مكتملة . وقبــل كل ذلك صعوبة الخوض فى موضوع المراة تحت حجج عــقيدة .. ولقــد اعتمدت هــذه الدراسة على استمارة تجميع معلومات من النساء اشرنا أليها كنتائج نأمل من القـــارىء أن يعمل فيها فكره .

ويبقى شىء جــدير بالذكر : لقــد سألنى الكثيرون — اما اشفاقا واما حبا فى الاستطلاع : — لـــماذا تهتم بالمراة العربية ومنها المصرية ؟ .. وكنت وما زلت أرد ببساطة : ان اهتمامى بالمراة المصرية يرجع الى يقينى بأن المجتمع المصرى بتخلفــه لابد ان يتغير الى الأفضل عن قصد ، لأنه دفع ثمنا باهظا على مر التاريخ من اجـــل ذلك . وانى ارى أن هــذا التغيير لا يمكن أن يبدأ من فراغ . وجزء أساسى من هــذا التغيير يوجه الى افراد المجتمع .. ومن بديهيات هــذا التغيير العمل على رفع المكانة الاجتماعية للمراة المصرية كعضو منتج وفعــال فى المجتمع على قــدم المساواة مــع الرجـــل .

ودعـــونا نأمل ..

د. محمد عـــوض خميس

اسكندرية : اول يونيه ١٩٧٨

الفصل الأول

واقع المرأة المصرية المعاصرة فى المجتمع

لنا أن نتناول فى عجالة سريعة الفترات التاريخية التى تطورت فيهـا نضالات المرأة المصرية من أواخر القرن التاسـع عشر حتى الآن ، تلك النضالات التى استهدفت حـق المرأة فى الحياة ككائن اجتماعى كامل فى مجتمعهـا :

اولا ــ الفترة الأولى (١٨٧٠ ــ ١٩٠٥) فترة نيابة الرجال :

لقـد كان دور المرأة فيها دورا سلبيا ، أما الرجال فكانوا أول من رفع لواء تحرير المرأة ، ــ وبالتالى اطلقنـا عليها فترة سلبية ، أو فترة نيابة الرجال للدفاع عن حقوق النساء فى مصر ولقـد تميزت هـذه الفترة فى مجملها بشعار تخـديرى يعـبر عن اقصى آمال وأمانى المرأة المصرية ذلك الشعار التوصيفى : « السيدة المصونة والجوهرة المكنونة » . حيث كانت المرأة قعيدة البيت يعولها الزوج ، جاهلة ، ممنوعة من العمـل والعلم ، اقصى احلامها : الزواج والعبودية للزوج .

وجاء دور رواد الفكر المتحرر ودعاة التجـديد والاصـلاح من الرجال وفى مقـدمتهم :

١ ــ **رفاعة رافع الطهطاوى** ، الذى اشـار فى كتـابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » الى ضرورة رفع سن زواج الفتاة الى خمس وعشرين سنة حتى يمكن لهـا أن تتم تعليمها . ونادى فى كتابه « المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين » بوجوب تعليم الفتاة ، وبين عدم تعارض هـذا التعليم مع التشريعات الاسلامية ، واوضح انه « اذا كانت البطالة مفهومه فى حق الرجال ، فهى مذمة عظيمة فى حق النساء » .

٢ ــ **الشيخ محمد عبده** مفتى الديار المصرية الذى دعا الى ضرورة تعليم المرأة وتحسين ظروفها الاجتماعية واعتبر ذلك امرا جـوهريا فى برنامج النهوض بالمجتمع .

ثانيا ـ الفترة الثانية (١٩٠٦ ـ ١٩١٨) استمرار فترة نيابة الرجال مع ظهور أول بادرة نسائية :

لقد استمرت فترة نيابة الرجال فى الدفاع عن حرية وحقوق المراة . فنجد ان « **قاسم امين** » قد جدد دعوة سلفه رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده ، فألف كتابيه « تحرير المراة ـ والمراة الجديدة » الذى دافع فيهما عن تعليم البنات وتحريرهن من رق الجهل وشقاء الحجاب مبينا أن الرجال والنساء فى المجتمع شقان لا يتعارضان ، ونصفان متكاملان ، وان بقاء النساء فى الجهل معناه تعطيل لانتاج نصف المجتمع ، واوضح أن المراة هى ام الرجال والنساء معا وام الجيل القادم بأكمله رجالا ونساءا .

ولقد ظهرت اول بادرة نسائية للدفاع عن حقوق المراة متمثلة فى السيدة/**ملك حفنى ناصف** (باحثة البادية) التى تحد بحق واضعة حجر الأساس للنهضة النسائية فى مصر ، فقد كتبت لصالح حقوق المراة ، وكانت اول خطيبة جمعت النساء وخطبت فيهن لتوعيتهن وحثهن على المطالبة بحقوقهن ، ونادت بالتعليم الالزامى للفتاة وفتح افاق العلم امامها ومساواتها بالفتى ، وحثت الرجال على نبذ التزمت فى معاملة النساء حتى يستطعن تنشئة الأجيال الجديدة على الحرية .

ثالثا ـ الفترة الثالثة (١٩١٩ ـ ١٩٥١) ظهور رائدات التحرر :

أن هذه الفترة هى فترة ريادة النساء . فقد ظهرت السيدة/**هدى شعراوى** التى نادت مجددة ـ بتحرر المراة ومساواتها بالرجل وبتعليمها . واوضحت لأول مرة بضرورة مساواة المراة بالرجل فى الحقوق السياسية واتاحة الفرصة لها لكى تعمل وتؤدى واجبها نحو الوطن . وانشأت الجمعيات النسائية ، وعملت على تعليم الفتاة للمهن مثل صناعة السجاد واشغال الحياكة والتطريز من أجل اكتساب الفتاة لمهنة تدر عليها الكسب لتصبح مستقلة اقتصاديا . وكان من نتيجة ذلك أن حدث تراكم فى الوعى لدى النساء ، فشاركن فى ثورة ١٩١٩ لأول مرة فى مظاهرات كبيرة يحملن راية الجهاد ويشتركن مع الرجال فى عمل المتاريس وقطع

طرق المواصلات وينادين بمقاطعة المستعمرين . وبدأت تتضـــــح معالم الحركة النسائية وكسبت المرأة ولأول مرة فى تاريخها تأييد الرجال . ولقد أسست السيدة/هدى شعراوى الاتحـــــاد النسائى المصرى عام ١٩٢٣ وانتخبت وكيلة الاتحاد النسائى الدولى فى العام الذى يليه . وكان ذلك نصرا مرموقا للمرأة المصرية . ولقـــد شاركت معها سيدات كثيرات مثل **صفية زغلول « وسيزانبراوى »** ـــ وغيرهن .

وفى عام ١٩٢٨ ونتيجة لضغوط النساء ، بدأ التحاق المرأة بالجامعة المصرية (التحقت ٥ فتيات بكلية الطب ، ٨ فتيات بكلية العلوم ، ٤ فتيات بكلية الآداب) وفى عام ١٩٣٠ ـــ التحقت فتاة واحـــدة بكلية الحقـــوق ، وفى عام ١٩٣١ التحقت فتاة واحـــدة بكلية التجارة ، وبدأ التحاق الفتيات بكليتى الهندسة والزراعة عام ١٩٤٥ . واستمرت مسيرة المرأة المصرية فى التقـــدم .

رابعا ـــ الفترة الرابعة (١٩٥٢ ـــ ١٩٧٠) :

شهدت هـــذه الفترة تحولا جـــذريا فى تاريخ مصر فى أعقاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وبالنسبة للمرأة فقـــد نص الدستور ولأول مرة فى تاريخ مصر ـــ الذى اعلن عام ١٩٥٦ ـــ على منح المرأة حقوقا سياسية أسوة بالرجل ، وادلت بصوتها فى الاستفتاءات ! على رئاسة الجمهورية وعلى الدستور ، وفى انتخابات مجلس الأمة والاتحاد الاشتراكى وأصبح لهـــا حـــق الترشيح وفى عام ١٩٥٥ دخلت المرأة لأول مرة مجلس الأمة حيث اصبحت السيدتان/امينة شكرى وراوية عطية عضوتان فى المجلس ، وفى عام ١٩٦٤ أصبح هناك ثمان سيدات عضوات ـــ بمجلس الأمة . وأصبح هناك اقبال على تعليم الفتاة خاصة بعـــد مجانية التعليم ، وتراوحـــت الزيادة العشر سنوية فى مجموع المتعلمات ما بين ١٥٠٪ ، ٣٦٢٪ ما بين عامى ١٩٢٧ ، ١٩٦٠ . ولقـــد كانت بادرة طيبة أن عينت أول وزيرة فى تاريخ مصر عام ١٩٦٢ لتولى شئون وزارة الشئون الاجتماعية . والتزمت الدولة بتعيين خريجى المدارس والجامعات من الفتيان والفتيات فى نواحى العمل المختلفة .

أن الفترات الأربع السابقة تعتبر علامات مضيئة فى مسيرة المراة المصرية . ولكن الانجازات السابقة قد مرت بفترات جذر شديدة ولم تستكمل على النحو الذى يجعل المراة كائنا اجتماعيا له دوره الأصيل فى مجتمعه .. ولنا أن نشير الى النقاط التالية :

١ — فى اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة والتى وقعت فى ٣٠ يوليو ١٩٨٠ .. تحفظت مصر على :

(أ) التحفظ على ما جاء بالاتفاقية بشأن تساوى المراة بالرجل فى كافة الأمور المتعلقة بالزواج وعلاقات الأسرة أثناء الزواج وعند فسخه .

(ب) رفضت مصر فى ذات الاتفاقية الالتزام بما تضمنته الاتفاقية فى اقرار الدستور والتشريعات الوطنية للمساواة بين الرجل والمراة والغاء جميع قوانين العقوبات الوطنية والأنظمة والانحرافات والممارسات القائمة التى تشكل تمييزا ضد المراة .

(ج) التحفظ على ما جاء بالاتفاقية على منح المراة حقا متساويا كحق الرجل فيما يتعلق بجنسية الأطفال .

(د) رفضت مصر الالتزام بعرض ما قد ينشأ من خلافات بين الدول حول تفسير أو تطبيق هذه الاتفاقية على هيئة التحكيم ومحكمة العدل الدولية .

٢ — رغم كل ما يروج حول مساواة المراة بالرجل فى مجالات العمل فى المجتمع المصرى الذى تشكل فيه المراة نسبة ٤٩٫٩٪ من جملة السكان فان :

جملة نصيب المراة من قوة العمل هى : ٨٫٩٪ فى حين أن المعدل العالمى هو ٤٨٪ .

٣ — قوانين وزارة الشئون الاجتماعية (المنوط بها الموافقة على قيام الجمعيات فى مصر) ، تستلزم لتكوين أى جمعية نسائية عرض أسماء المؤسسات للجمعية على شرطة الآداب !! لتدلى برأيها ، كأن المراة بالضرورة كائن منحرف سلوكيا لابد من التحرى عن انحرافه .

٤ — حددت المادة ٢٧٧ من قانون العقوبات المصرى أن :

« كل زوج زنى فى منزل الزوجية يجازى بالحبس مدة لا تزيد عن ستة أشهر ، وفى نفس الوقت اذا ضبط الرجل (متزوج أو غير متزوج) يزنى فى اى مكان عدا بيت الزوجية يكون شاهدا على شريكته فقط وتساق هى الى السجن وفى ذات الوقت اذا ضبطت المراة تزنى وهى متزوجة فى اى مكان يحكم عليها بعامين سجن .

٥ — حق الانتخاب ليس اجباريا للمراة والعكس صحيح فى حالة الرجل .

٦ — لا يسمح للمراة بمغادرة أراض البلاد الا بموافقة الزوج او ولى الأمر (حتى وان لم تكن قاصرا) .

ومن النقاط السابقة يمكن ان يتضح لنا مدى القناعة بان المراة جنس ادنى من الرجل . ولعله من الطبيعى أن يصبح ذلك المفهوم راسخا فى ذهن المراة حيث تتعلم الانثى منذ صغرها انها كائن أدنى من الرجل واضعف منه ، ويصبح من الطبيعى ايضا أن يرسخ فى اذهان الذكور انهم كائنات متفوقة عن الاناث . ولذلك أصبح من الطبيعى أن يكون هناك خللا فى العلاقة بين الرجل والمراة . حيث كبلت المراة بكلمات : (العيب — الحرام — قلة الأدب) وهى فى حقيقتها معايير زائفة نزعت منها حرية الارادة Free-Will وجعلتها تعيش فى حالة تكيف سلبى Negativ Adaptation مع المجتمع .. وسنوضح ذلك بشكل اكثر تفصيلا فى الفصول القادمة .

ويمارس المجتمع بشكل متعمد الضغط على المراة لتبقى على ما هى فيه من حالة تخلف تتمثل فى الرضى والقبول بكونها كائن من الدرجة الثانية . وسناخذ مثالا لذلك :

– دور اجهزة الاعلام وتأثيرها على المرأة المصرية المعاصرة :

أن علم الاجتماع وعلم السياسة هما المصدران الرئيسيان لبحث هـذه النقطة التى نحن بصـددها الآن .

ولعل احـد اهم ضرورات وجود دور اجتماعى للعلم الاجتماعى فى مصر ، هـو الاسهام فى انضاج وعى الجماهير . وهناك العـديد من الوسائل لتحقيق هـذا الوعى وعلى رأسها اجهزة الاعلام حيث أنهـا اجهزة لهـا الدور الأكثر حساسية وخطـورة من كافـة وسائل الاتصال الأخرى فهى الأكثر انتشارا ، والأكثر ابهارا ، والأكثر تغلغلا فى أوقات الناس بشكل عام (والمرأة بشكل خاص) ذلك وهم فى بيوتهم وحتى أماكن زياراتهم وأعمالهم .

وقبل أن ندخل فى تفصيلات النقطة التى تحت يدينا للبحث ، رأينا أن نحاول تحـديد مفهومات محـددة حتى لا تترك للتعميم فتفقد قيمتها العلميـة :

١٧

أولا – ما هـو الوعى ؟

هناك العـديد من التعاريف التى حاولت ايجـاد تحـديد ومعنى للوعى ونتفق مع التعريف الآتى :

(الوعى هـو حصاد ادراك الناس وتصوراتهم للعالم المحيط بهم ، بما يشتمل عليه من علاقات بالطبيعة والانسان وبالأفكار(١) ، وهـو ادراك وتصور يتحـدد بحالة بنائية تاريخية لمجتمع معين ، بمعنى أن للوعى طابعه التاريخى البنائى)(٢) .

1 — M. Pasenthal, P. Yudin; (eds) A Dictionary of Phieosoply, progress Publishers, Moscow, 1967.

2 — G. Lukace, "Marxism" in P. Hamilton, (ed) Knowledge and social structure, Poutledge, Kegan Paul, London, 1974.

ويمكن التمييز هنا بصفة أساسية بين مستويين للوعى : أحـدهما فردى — خاص — والثانى — عام — توصف العلاقة بينهما بأنها علاقة جـدلية ، ذلك لأن الوعى الفردى ، وان كان يعبر عن العـالم الخاص للفرد فانه يؤثر فى الوعى الاجتماعى ، لكن هـذا الأخير ليس مجرد جمع بسيط لمجموع وعى الأفراد ، لأنه يكسب وعى الأفراد خصائص المرحـلة التاريخية للبناء الاجتماعى .

وتجدر الاشارة هنا الى ان الوعى يحوى بصفة عامة بعدين :

أحـدهما أيديولوجى يرتبط بتشخيص قضايا المجتمع ومشـكلاته وتفسيرها ، وطرح أساليب تناولها وحسمها . واتجاهات هذه الأساليب ويثور التساؤل الذى مؤداه الحسم نحو من ؟ وبمن ؟ وكيف ؟ .

واما البعـد الثانى فيرتبط بالتجربة اليومية ، والتاريخية ، للفرد وللطبقـة وللمجتمع ، من خلال ما تعكسه القيم والتقاليد ونمـط التنشئة الاجتماعية والسياسية واسلوب الضبط الاجتماعى والاعلام(٣) .

ما عـدا ذلك يعتبر وعيا زائفـا ، حيث نقصد بالوعى الزائف تصورا جزئيا ، ومشوها ، ومغلوطا ، للواقع المحيط سواء كان هـذا الواقـع طبيعيا أو انسانيا ، وسواء كان يتعلق بعلاقة أو شخص أو وضع بنائى محـدد .

وغالبا ما يرسم لهـذا التصور حتى لا ينفـذ الى الحقائق بوضع أساليب كثيرة ومتنوعة ، وأحيانا تستخدم فيه تكنولوجيا التزييف ، واحيانا تكنولوجيا الارهاب .

وللوعى الزائف أساليب تتحـدد بالخصائص العامة للجمهور او

---

3 — V. kell, F. kovalson; Histeorical Materialism progress publishers ,Moscow, 1973.

الطبقات المراد تزييف وعيها . فما يصلح مع جمهور الأميين والأميات ، لا يصلح مع جمهور المتعلمين والمتعلمات ، وما يصلح مع الشيوخ ، لا يصلح مع الشباب ... الخ .

وما يصلح فى مجتمع يعيش انلسه فى شظف العيش ، وما يصلح فى مجتمع متخلف لا يصلح فى مجتمع تسوده تكنولوجيا متقدمة .

ثانيا — ماهية الاعلام :

لقد عانينا كثيرا فى محاولة ايجاد معنى للاعلام ، ذلك لتعدد من قاموا بتعريفه .. ولكننا نتفق بحذر مع وجهة نظر الدكتور/عبد الباسط عبد المعطى الذى أعطى معنى ومفهوما للاعلام على النحو التالى :

(الاعلام عملية اجتماعية رسمية فى الغالب الأعم تهدف الى ارسال مضمونات سياسية واجتماعية بعينها بقصد تحقيق وظائف يسعى بناء القوة فى المجتمع الى توصيلها ، وهذه المضمونات تأتى وبالضرورة انعكاسا لظروف البناء الاجتماعي وبخاصة العلاقات الانتاجية السائدة فيه . فحيث يكون المجتمع منقسما الى طبقات ، يأتى الاعلام فى جانب بعض منها وهى بالأساس الطبقات المسيطرة ، أو الطبقات الضاغطة الضابطة اذا جاز التعبير ، وأما عن مستوى المضمون الاعلامى فهو يرتبط بمستوى الطبقات الحائزة ايديولوجيا وعلمياوتكنيكيا) . ونحن نختلف اختلافا بسيطا مع الدكتور/عبد الباسط عبد المعطى فى مفهومه السابق عن الاعلام ذلك انه يقول فى جزء من تعريفه أو مفهومه للاعلام (فحيث يكون المجتمع منقسما الى طبقات ، يأتى الاعلام فى جانب بعض منها وهى بالأساس الطبقات المسيطرة ... الخ) .

ونحن نرى انه انسجاما مع معطيات Data ضغط الطبقات المسيطرة فهى تملك وتحكم .. وعليه فنحن نرى تعديلات على هذه الجملة لتصبح متفقين تماما مع تعريفه فتكون (فحيث يكون المجتمع

منقسما الى طبقات ، يأتى الاعلام متحيزا فى الغالب لهـــا ولفكرها وهى بالأساس الطبقات المسيطرة ... الخ) .

ونود أن نشير الى أن البعض يرى أن الاعلام هــو (نشر الحقائق والأفكار والأخبار والآراء بوسائل الاعلام المختلفة كالصحافة والاذاعــة والسينما والمحاضرات والندوات والمعارض وغير ذلك بهــدف التفــاهم والاقتناع وكسب التأييد) .

ان هــذا التعريف فى رأينا ــ حيث هــو السائد لدى العــديدين من المختصين بالاعلام ، ليس علميا بالدرجة الكافية ، فهو منذ البداية يرى أن الاعلام يسعى الى نشر الحقائق ، ولو كان الأمر على هــذا النحــو ، فما الذى يؤدى بالاعلام فى بعض الحالات الى تزييف بعض الأمور وعرضها بطريقة خاصة مخادعة ؟ وهــذا الكلام ليس من عندياتنا ولكنــه أمر معروف وشائع ومستقر عليه فى كافة أجهزة الاعلام الرأسمالية . كما أن التعريف السابق وان كان يبدو مركزا على المعنى الوظيفى للاعلام ، الذى يسعى الى تحقيق التفاهم وكسب التأييد ، فانه هنا يلغى وظائف أخرى للاعــلام قــد يكون هــدفها تحريك ابداعــات المستقبلين وتسليحهم بمعطيات تساعدهم فى تجاوز واقعهم .

وبصفة عامة يبدو التعريف السابق ــ والسائد أيضا لــدى معظم المشتغلين بالاعلام والموجهين له ــ كما لو كان شيئا خارجا عن السياق الاجتماعى والتاريخى للانسان .

ذلك لأن العمليات الاعلامية بوصفها عمليات انسانية تعكس مضمونا يحــدده النمط البنائى ، وطبيعة القوة المسيطرة فى المجتمع من جانب ومبلغ تطور الفن الانتاجى الذى تعكسه الوسيلة الفنية القادرة على التأثير بدورها فى وسط محــدد ومن جانب آخر فالتليفزيون مثلا من المؤكد أنه أكثر تأثيرا من الاذاعة لاحتوائه امكانات الصوت والصورة ، بجانب عناصر الابهـار الأخرى . وهــذا بالطبع يتحــدد بالظروف المجتمعية . فالأمية فى مصر

مثلا — المنتشرة فى القطاع الأعظم البنائى — تعزز من سطوة التليفزيون والاذاعة وانتشارهما فى الوقت الذى تحد فيه من اسهام الكلمة المكتوبة .

* * *

وعليه وبعد ان عرفنا الوعى والاعلام علنا أن نجمل القول ، قبل الدخول فى صلب النقطة التى نبحثها على النحو التالى :

أولا — لا توجد العملية الاعلامية ، أيا كان مستواها التكنيكى ، أو وجهتها السياسية فى فراغ اجتماعى ؛ لأنها نتاج لبناء اجتماعى اقتصادى حتى مرحلة بعينها من مراحل تطور المجتمع الانسانى . فحيث الانتاج السلعى الهادف الى الربح ، فى ظل علاقات انتاجية تقوم على الملكية الفردية .

تكون العملية الاعلامية منتجا شبيها ، وصناعة تحكمها نفس العلاقات ، ومسعاها الربح ، ومزيد من الربح ، سواء كان ذلك بطريق مباشر من خلال تحول العملية الاعلامية الى صلة صراع بين صنوف الانتاج — الاعلانات مثلا — . او تسعى الى قيم وأفكار ، أو قل أنماط ثقافية تثبت أوضاعا بعينها(٤) ولنا أن نطبق ذلك على المجتمع المصرى من خلال الشواهد الثابته الآتية :

١ — حيث المجتمع المصرى مجتمعا طبقيا متخلفا ، يقود العملية الاعلامية فيه اسما وفعلا الاناس من الطبقات العليا نجد :

(أ) الاعلام اكثر توجها — كما وكيفا — لساكنى الحضر عن الريف المصرى .

---

4 — N. Movikon, organizational society : Social Mechanisms and Ideology, Novasti press Agency Publishing House, Moscow, 1972.

(ب) الاعلام فى خـــدمة تطلعات الطبقات العليا .

(جـ) الاعلام فى خـــدمة ومغازلة تطلعات المرأة فى الطبقات العليا .

٢ ـــ محاولة الاعلام المصرى جر المرأة المصرية الكادحة (٨٥٪ من نساء مصر) الى أن تتطلع وتحيـــــا حلم اليقظة Day-Dreams وسط اعلانات مستحضرات التجميل والسيارات والديكور ... الخ . من خلال الاذاعة والتليفزيون .

ثانيا ـــ بوصف السياسة فى كل مجتمع انســـانى تجسيد لبنـــائه الاقتصادى يأتى الاعـــلام تعبيرا واضـــحا عن الاقتصـــاد والسياسة(٥) بوصفهما عملة واحـــدة . فكما يذهب « وليرت شرام » W-Schram. ليس هناك نظرية للدولة وأخرى لوسائل الاعلام . بل هناك أيديولوجيـــة واحـــدة تحـــدد الخط العام للدولة ولوسائل الاعلام(*) .

ثالثا ـــ أن العلاقة بين البناء الاجتماعى ـــ فى مرحلة تاريخية محددة ـــ خاصـــة فى أساسـه الاقتصادى علاقة جـدلية ، مـــع ملاحظة أنه برغم وجود هـــذه العلاقة فان ثمة استقلال نسبى للوعى عن مجمل ظروف البناء الاجتماعى . بمعنى أن الوعى قـــد يكون متقـــدما أو متأخرا عن هـــذه الظروف نتيجة لظروف نوعية تتعلق بهـــذا البناء أو ذاك . يأتى فى مقدمتها تعمد تشـويه هـــذا الوعى ، وتعطيل ارتباطه بالوجود الاجتماعى ، وهـــذا التشـويه يأخـــذ صورا ومسالك عـــديدة ، بعضها مترسب من تكوينـــات اجتماعية اقتصادية سابقة ، وبعضها موجه من الداخل أو من الخارج من خلال بعض مواقف الصراع الاجتماعى بين الأطراف المتعارضة سواء كانت طبقة أو حتى دولة أخرى .

---

5 — P. Thompsen (ed) Pisrimination and Papular Culture; Penguin Books, 1973.

(*) د. ناهد حسين صالح « الاعلام والتنمية الاجتماعية » بحث مقدم ضمن أعمال مؤتمر علم الاجتماع والتنمية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى المدة من ٥ ـ ٨ مايو ١٩٧٣ .

رابعا ــ نظرا لارتباط الاعلام وعملياته بالظروف الاقتصادية والسياسية السائدة فى المجتمع الانسانى فيمكن له أن يلعب أدوارا متناقضة، يحددها المضمون الاقتصادى ــ السياسى لهذا البناء الاجتماعى أو ذاك .

خامسا ــ ان حقيقة وسائل الاعلام تتجلى اذا ما وضعت فى أيدى لها مصالح خاصة ، من خلال التحليل الذى تقدمه « تيودور بيترسون » T. Peterson عندما وجه الانتقادات التالية الى وسائل الاعلام فى المجتمعات الرأسمالية التى تسم نفسها بالديمقراطية :

١ ــ ان المسيطرين ــ حائزى السلطة ــ على هذه الأجهزة يروجون لآرائهم ، خاصة فى الشئون السياسية والاقتصادية .

٢ ــ انها تقاوم التغيير الاجتماعى لأنها ترى أنه يهدد مصالحها .

٣ ــ أنها كثيرا ما تشغل الجماهير بالمبالغة فى الأمور التافهة والمثيرة .

٤ ــ انها تسعى الى القضاء على قيم فى الوقت الذى تنمى فيه قيما أخرى .

وسوف نرى ما اذا كانت النقاط المشار اليها سابقا واردة فى الاعلام المصرى أم لا ؟

* * *

كانت المقدمة السابقة ــ من وجهة نظرنا ــ ضرورية قبل الدخول فى صلب النقطة التى بين يدينا والموضوعة على بساط البحث . وسوف نطوع ما سبق ونأخذ منه ــ أو لنأخذه كله ــ لنوضح ما تعانى منه المرأة المصرية اليوم فى المجتمع المصرى المعاصر .

* * *

وسوف يشمل بحث النقطة التى بين يدينا الآتى :

١ — نموذج لدور التليفزيون وتأثيره على المرأة المصرية المعاصرة .

٢ — نموذج لدور الاذاعة وتأثيرها على المرأة المصرية المعاصرة .

٣ — نموذج لدور السينما وتأثيرها على المرأة المصرية المعاصرة .

٤ — نموذج لدور الكتاب وتأثيره على المرأة المصرية المعاصرة .

٥ — نموذج لدور الصحافة وتأثيرها على المرأة المصرية المعاصرة .

وتعتبر النماذج الخمس السابقة هى نماذج لأجهزة الاعلام .

اولا — نموذج لدور التليفزيون وتأثيره على المراة المصرية المعاصرة :

التليفزيون كأحد وسائل الاعلام يمكن لنا ان نوجزه فى الآتى :

وسيلة جذابة ، مبهرة ، رقيقة ، تجمع بين الصوت والصورة ، تنقل المشاهد هنا وهناك يمكن أن تؤدى أدوارا خطيرة ، تبدو خطورته فى انه جهاز لا يستلزم اى جهد من المشاهد كى يشاهده : فهو لن ينتقل الى خارج بيته ، ولن يدفع ثمنا ليشاهده ، ولن يتكبد عناء وسائل المواصلات كى ينتقل اليه . باختصار انه فى متناول يد المشاهد دوما وفى اى وقت .

ونادرا ما نجد بيت مصرى يخلو من هذا الجهاز (ليس معنى ذلك أن البيت المصرى مكتفيا وميسورا اقتصاديا ولكن هذا الجهاز من السهل جدا شراؤه بالتقسيط ، علاوة على أن التقليد وعدواه دفعا معظم البيوت المصرية الى شرائه حتى ولو دفع ثمنه من اقواتهم) وهنا تكمن خطورته أيضا .

واذا كانت العاملات فى مختلف الوظائف تبلغ نسبتهن ٩ر٨٪ من بين كل نساء مصر ٩ر٤٩٪ ، فهنا أيضا مؤشر خطير غاية فى الخطورة ، بالنسبة للمراة غير العاملة حيث أن لا شىء يقطع عليها حبال الفراغ غير هذا الجهاز نظرا لاستشراء الأمية بين النساء .

اذن هـــذا الجهاز يؤدى دورا بالغ الخطورة بين النساء على وجـــه الخصـــوص .

التليفزيون من حيث المضمون :

لن نناقش مضمون ما يقـــدمه التليفزيون تفصيليا ، ولكننا ســوف نناقش أهم ما يقـــدمه من مضامين على وجه الخصوص للمراة من خلال مواده التى يبثها :

١ ــ الأفـــلام :

أن تسود السينما منذ فترة طويلة ، الصبغة التجارية ، وأن تكون سلعة تحت رحمة العرض والطلب ، وأن تراعى أسواقها الرائجة وأذواق المستهلك (الأمى تعليما أو ثقافيا) ، تحت وهم الجمهور « عاوز كـــده » فتعرض افلام الجنس والاثارة الرخيصة والبذيئة ، وأن تكون المراة فيهـــا نموذج للانحطاط الخلقى فهى « المومس » وهى « العشيقة » وهى « الراقصة البلدية » ، وهى المقهورة من زوجها عاشق البار و « الخمارة » ، وأن تعجب المراة دائما « بالفتوة » « والولد الحليوه ــ الدون جوان » ، وأن كل فقيرة يجب أن تنحرف ... الخ من كافة اشكال والوان الانحطاط فهذا اجرام . (وسوف نناقش ذلك بالتفصيل عندما نتناول دور السينما) .

اما ان يسير التليفزيون فى ركابها هـــذا هـــو الأشـــد جرما ، فكمـــا قلنـــا فان التليفزيون يدخـــل وتقتحم شاشته معظم البيـــوت المصرية ، فالتليفزيون يصر اصرارا متعمدا مع « سبق الاصرار والترصد » على عرض افلام السينما التجارية القديمة والحديثة ، ذات المفاهيم البالية والرخيصة التى ذكرناها من قبل ، ولا يكتفى بعرضها مرة أو مرتين ، بل انه يطارد بها المشاهد على الدوام .

ان معظم الأفلام وهى اكثر المواد التليفزيونية التى تشد المراة المصرية الشعبية الفقيرة ، تضع المراة فى أحـــد ثلاث صور :

(أ) المرأة هى اساس كل المصائب (الراقصة ــ العشيقة ــ الخائنة التى تدفع زوجها لارتكاب الجريمة ... الخ) .

(ب) المرأة دائما هى الضعيفة البلهاء أو « المضحوك عليها » التى سرعان ما تقع فى براثن الوحش الكاسر « الرجل » . فهى درجة « ثانية » .

(جـ) المرأة المغلوبة على أمرها التى تسكت على « الويل » من زوجها من اجل أولادها المضحية دائما بلا هــدف وبلا غاية .

٢ ــ التمثيلية التليفزيونية :

مسلسل او سهرة كما يعلن عنها التليفزيون :

ما زال التليفزيون مع سبق « الاصرار والترصد » للمشاهدات ، يصر فى الغالب ودائما على عرض تمثيليات ذات خط لا تحيد عنه فى معظمها : خط أساسى مضمونه :

رجل بين امراتين ، أو امراة بين رجلين .

المراة دائما خائنة ، شريرة ، مغلوبة على أمرها .. هى دائما مفضل عليها الذكر ، المباح له كل الوان النساء والمحرم عليها كل الأشياء . فكان كل أدوار المرأة فى الحياة هى أن تكون عاشقة « ولهانة » أو محبة « متيمة » . وبين بحر من دموعها تحيا حياتها . دون ابراز أى دور آخر من أدوارها العـديدة والمتعـددة التى تمارسها فى حياتها كأم وكعاملة وكفلاحـة ... الخ ، أو ما يجب أن تمارسه من الوان الحياة العامة ، أو ما يجب أن تناضل من أجله : قيم ومبادىء تدفع المجتمع خطوة للامام .

ولكن دائما هى فى نظر السيد « تليفزيون المتطفل على كل بيت » هى التى تدفع المجتمع آلاف الخطوات الى الوراء .

علاوة على ابراز المرأة بأنها لعبة فى يد القــدر والصدفة ، وهى دائما فى مهب الريح بلا رجل ودائما هى فى كل الحماية ما دامت فى احضان الرجل ، وكأنها تؤكد المثل الشعبى العجيب « ضل راجل ولا ضل حيطة » .

٣ ــ المنـــوعات :

هــذه واحــدة من أهم الفقرات التى يعتنى بتقــديمها التليفزيون المصرى وهي ســواء أكانت مصرية أو أجنبيــة فهى تركز على الأغنيــة الاستعراضية التي لا تحمل أى مضمون سوى مضمون « الحب فى ارتباطه باللقاء والفراق والعــذاب » كأن الحب لابد أن يرتبط بالهوان على الدوام هــذا فى الأغنية المصرية .

اما الأغنية الأجنبية مضمونها دائما عبثى عن الحب للحب والجمال للجمال والجنس للجنس اى الشيء لذاته وليس لأى غرض آخر او هدف او نتيجــة .

وتهتم برامج المنوعات هــذه بتقــديم « الفخــامة » الاستعراضية البعيدة كل البعــد عن احوال وظروف المعيشة التى تحياها المرأة المصرية فى ظل الأسرة المصرية الفقيرة وتتأثر ــ اكثر من غيرها ــ الانثى أو الفتاة الصغيرة بهــذه الأغانى الى حــد بعيد لدرجة أننا وجــدنا بين طالبات الثانوى والسنة الأخيرة فى المرحلة الاعــدادية هــذا بالاضافة لطالبات الجامعات من يجــدن ترديد الأغانى العبثية الأجنبية والغريب أننا اكتشفنا فى أكثر الأحيان أنهن لا يجــدن اللغة بل ضعيفات فى مستواهن الدراسى اللغوى ولكنهن يرددن هذه الأغانى كالببغاءات دون أى فهم للغة أجنبية ويسعين لمعرفة معنى الأغنية . ويظهر هــذا النمط فى الفتيات من أصول فقيرة ! انها قــوة التأثير على العقول من خلال أحــد أهم اجهزة الاعلام فى مصر واقــواها .

اما السيدات والفتيات غير المتعلمات فيحفظن عن «ظهر قلب» الأغانى العربية وخاصة التى يراد منها ملأ الأعين بالدموع !

هـــذا هـــو مفهوم المنوعات لدى التليفزيون المصرى . عبث يوضع فى أذهان الاناث بلا أى مبرر سوى شغل أوقات الفراغ فى مزيد من الفراغ .

نكتفى بهـــذا القـــدر من التعليق على بعض نماذج البرامج التى يقـــدمها التليفزيون المصرى ولقـــد اخترنا النماذج الثـــلاث حيث يحظى كل منها بالجمهور المتعـــدد المشاهد له .

والخلاصة التى يمكن أن نسجلها بعـــد استعراضنا السابق للمضمون الذى تقـــدمه هـــذه النماذج ، أن المضمون هـــو عبثى غير مدروس ولا منتمى . وأن هـــذا المضمون لأنه عبثى ــ فليست هناك خطة ثقافية واضحة بمعنى الثقافة العلمية والفن المدروس . ولكن المحصلة النهائية هى :

١ ــ عرض صور المـــاضى من خلال أفلام المـــاضى . المـــاضى بكل قيمة البالية والمنحطة .

٢ ــ عرض هـــدف الحاضر الذى يعبر عن انماط انحلالية ثقافية .

٣ ــ عرض المراة وتشويه صورتها على النحو الآتى :

ــ فـــردية Individualistic

ــ خائنة قابلة للانحراف Perversion

ــ تعانى من الانحلال Disintegration

ــ تعانى من الانانية Egoism

ــ شخصية هامشية Peripheric Persona

٤ ــ محاولة تلقين أو جعل المراة كائن ذو طبيعة ببغائية Verbalism

* * *

هكذا يتضح لنا بجلاء مدى التأثير السلبى الذى يمارسه التليفزيون على المراة المصرية المعاصرة فلعلنا نكون قـــد وفقنا فى طرح وجهة نظرنا

واثباتها من أن هـــذا الجهاز الاعلامى الخطير يزيف الى حـــد بعيد وعى المراة ويحاول ابقائها على ما هى فيه من تخلف وانحطاط تعليمى وثقافى .

ويمكننا أن نطلق على دور التزييف الاعلامى الذى يقوم به التليفزيون خاصة على المراة المصرية المعاصرة ، انه يقـــدم النموذج التالف الـــذى يتمثل فى الضغط على المراة بأن ما حـــدث لهـــا حتمى ولا مفر منه ، وليس له بديل ، فهـــذا هو قـــدرها ، لأن ما هى فيه غير قابل للتغير ... الخ . انه نموذج الايهام والمواربة .

ثانيا ـ نموذج لدور الاذاعة وتاثيرها على المراة المصرية :

لعل الاذاعة هى واحـــدة من أهم وسائل الاعلام خاصة فى مصر ، حيث تبلغ الأمية فيها نسبة مرتفعة كاسحة ، وتنتشر بين النساء بدرجـــة عاليـــة جـــدا .

ولتوضيح تأثير الوسيلة الاعلامية ـ مثل الاذاعة ـ على أدمغـــة المراة المصرية بل على ادمغـــة المستقبلين بشكل عام ، لابد من وضـــع معايير علمية نستطيع من خلالها تقويم هـــذه الوسيلة والحكم عليها . وسوف نحتكم لأحـــد معيارين أساسيين هما :

١ ـ انه لابد من أن يضع المرسل ـ معـــد البرامج ومقـــدمه ـ فى اعتباره اعـــداد رسالته بطريقة تساعد فى تحقيق التناغم والتوافق مـــع المستـــقبل ـ أى مـــع الجمهور ـ ولن يتحقق ذلك الا بربـــط الرســـالة بجـــوانب خبرة تشبه الى حـــد كبير خبرة المستقبل . ولهـــذا يؤكد « دافيون » على أن الجمهور سلبيا فى العملية . وان رجل الاتصـــال ـ الاعلام ـ الذى لا يعرف جمهوره وواقعه ليس له أن يتوقع النجاح فى التاثير على هـــذا الجمهور .

٢ ـ يعـــد ربط الناس بقضايا مجتمعهم ربطا حقيقيا وصادقا وخلق ما يسمى بالوعى بالمجتمع أو الاحاطة الصادقة بما يدور فيه من سلبيات ،

يعـد هـذا من الوظائف الأساسية للاتصال الجمعى الذى يحـوى بين وسائله الاذاعة ».

ولكى نستطيع تحـديد التأثير وتبيانه يكون السؤال المطروح هـو الآتى :

هل يراعى المسئولون عن الاذاعة خصائص المراة المصرية وهـل يسعون فعلا الى خلق وعى مجتمعى حقيقى لديها أم أنهم بعيدون عن ذلك ؟

وسوف نعتمد على احصائيتين نحلل بهما المضمون للمـادة الاذاعيـة لكى نستطيع الاجابة عن سؤالنا المطروح .

— هناك بحث(*) اجرى عام ١٩٧٠ حول مواد البرنامج العام وجـد من خلاله ان البرامج التثقيفية لا تشكل سـوى ٩٫٣٪ من الاهتمامات فى الوقت الذى كانت فيه نسبة البرامج الترفيهية ٤٥٫٢٪ من وقت الارسال الاذاعى ، والبرامج الخاصة بالأسرة والطفولة تبلغ نسبتها ٤٫٧٪ .

— هناك احصائية أخرى(*) اجريت عام ١٩٧٦ حول مواد البرنامج العام وجـد من خلالها أن البرامج التثقيفية لا تشكل سـوى ١١٪ من الاهتمامات فى الوقت الذى كانت فيه نسبة البرامج الترفيهية تغطى ٥٠٪ تقريبا من وقت الارسال الاذاعى ، والبرامج الخاصة بالأسرة والطفـولة تبلغ نسبتها ٥٫٢٪ .

ان الاحصائيتان السابقتان يعطيان عـدة مؤشرات غـاية فى الخطـورة :

(*) بحوث مراقبة البحوث باتحاد الاذاعة والتليفزيون خاصة بحث مكافحة الأميـة بالراديو « بحث غير منشور » ١٩٧٠ .

(*) احصائية جاءت فى كتاب د. عبد الباسط عبد المعطى « الاعلام وتزييف الوعى » دار الثقافة الجـديد ١٩٧٩ .

١ — أن الهـدف الأول الذى يحققه البرنامج العام هـو الهـدف الترفيهى حيث يبلغ تقريبا ٥٠٪ من ساعات الارسال مقسم على النحـو الآتى :

(أ) بث الأغانى حوالى ٣٠٪ من ساعات الارسال .

(ب) برامج المنوعات والتمثيليات والبرامج الموسيقية حوالى ١٣٪ من ساعات الارسال .

(جـ) الشباب والرياضة والأسرة والطفولة ٧٪ تقريبا من سـاعات الارسـال .

٢ — أن معظم الأغانى فردية حـوالى ٢٩٪ ونسبة ١٪ فقط أغانى جماعية وهـذا يعنى سيطرة الأسلوب الفردى على نشاط الاذاعة .

٣ — أن نسبة الأسرة والطفولة نسبة لا تذكر ٢ر٥٪ من سـاعات الارسال وتدخل فيها برامج المرأة .

٤ — أن برامج التثقيف تبلغ ١١٪ من ساعات الارسال .

هـذه المؤشرات سوف نخضعها للتحليل الكيفى لنحاول أن نصل الى تحليل علمى واقعى لمضمون أهم ما تقـدمه الاذاعة : (مراعين فى ذلك ما يهم مبحثنا هـو المضمون بالنسبة للمرأة) :

١ — أن معظم الأغانى التى تقـدمها بالاذاعة هى أغانى عاطفيـة وكلها ذات مضامين هادمة عن الحب فهى فى معظمها : نواح وبكاء وسهاد . أو هى تهتم بالخيال والخرافات فى تناول فى موضوع الحب ، فهو حب دائما مهزوم وذليـل .

٢ — أن معظم برامج النساء تقـدم الى توعية خاصة من النساء هن من يعشن من أجل المـاكياج والموضة وافخر الأطعمة . واذا — سـقط

سهوا – ذكر أو محاولة مخاطبة الفلاحة مثلا جاء الأسلوب أميـــل الى الاسفاف والاستهانة بها كأمرأة . وكذا المرأة العاملة من الطبقات الدنيا .

٣ – أن النشاط الترفيهي يدخل فيه الاعلانات سواء بشكل مباشر او غير مباشر عن أشياء استفزازية مثل أنواع المـأكولات التى تحلم بهـا المرأة الفقيرة (غالبية نساء مصر) لهـا ولأسرتها أو أفخر أنواع الاثاث وبيوت الأزياء والأماكن السياحية ... الخ .

٤ – أن معظم التمثيليات تحكى عن موضوعات وأطر لا تخرج عنها . مثل : حبيبترك حبيبته أو العكس واظلمت الدنيا وضاع الأمل ، أو الزوج المتغطرس والزوجة المقهورة ، أو الأم المظلومة من ابنائها ، أو الحب غير المتكافىء (غنى يتزوج فقيرة أو العكس وهـو واحـد من أبشع مفاهيم الحب ان نخضعه للطبقية ... الخ) .

٥ – أن ساعات الارسال التثقيفية لا يأتى فيها ذكر للمرأة الا فيما ندر واذا جاء ذكرها فيأتى مستعيرا نمطا غير معتاد من النساء مثل الحديث عن الممثلات وتواريخ حايتهن ، أو نساء لم تسمع بهن المرأة من قبل ولسن ذوى شأن فكرى أو عملى .

ومن لاستعراض السابق يمكننا القول ان تأثير الاذاعة على المرأة المصرية المعاصرة تأثيرا سالبا يتضح فيما يلى :

١ – غرق الأغانى فى « الحب والغرام » المهـزوم تعنى بالضرورة اشاعة جـو الهروب من الواقعية . وبالتالى ابعاد المرأة عن الواقعية نظرا لأن الأغنية ككلمة ملحنة ومنغمة ذات اثر بالغ على المستمع .

٢ – أن غلبة الأغانى الفردية والعاطفية يعنى شغل النساء عـن واقعهن وقضايا مجتمعهن الحقيقة وقضية المرأة ذاتها من أنها جنس أدنى وأقـل من الرجل حيث ينظر اليها المجتمع هكذا . وبالتالى فان غلبة هـذه

الأغانى تعنى نوع متعمد ومقصود من أنواع التأثير القوى على المراة لترضى بمـــا هى فيـــه .

٣ ــ أن برامج المراة ، لا تقـــدم لهـــا أى جـــديد فى حياتها من حيث نمط التغيير أو بمعنى آخر وضع المراة أمام مشاكلها . ومشاكل مجتمعها . بل تضعها فى دوامة الحلم والتطلع الغير واقعى بمـــا تقـــدمه من موضوعات سبق الاشارة اليها .

٤ ــ تخاطب معظم برامج الاذاعة المراة فى الحضر ، وبخاصـــة فى طبقات بعينها ، مستبعدة منها النساء فى الطبقات الشعبية استبعادا شبه كامل .

٥ ــ يلاحظ على أسلوب التقـــديم الثقافى بالنسبة لبرامج المراة انه حافل بالمصطلحات والمفهومات البعيدة كل البعـــد عن مفاهيم ومصطلحات المراة المصرية فى سوادها الأعظم .

٦ ــ يلاحـــظ أن معظم التمثيليات وهى تستحوذ على اذن المستمعة (المستقبلة) بدرجة كبيرة ــ ليست ذات مضمون هادف بل هى ترفيهيـــة او دراما سوداء .

وعليه يمكن لنا من الاستعراض السريع السابق أن نؤكد أن الاذاعة تعمل بعيدا عن تنمية الثقافة لدى المراة المصرية وجعلها عضوا فعالا فى المجتمع . مما يجعل دور الاذاعة فى مصر مفقـــود بالنسبة للمراة المصرية المعـــاصرة .

وتفسير ذلك نجـــده عند « ميشيل ارجابل » عندما يوضح العلاقة بين الاعلام والضبط الشعبى فيقول :

« عندما لا يكون الجهاز الاعلامى خاضعا للضبط الشعبى ، فـــان محتويات مثل هـــذه الأجهزة يحكمها الكسب المـــادى من ناحية ، والذوق العام فى صورته البدائية من ناحية أخرى » .

ولعل احد أهم الضوابط الشعبية هو الاطلاع وفهم وجهة نظر المرأة المصرية فى نفسها وفى عالمها الخاص وفى مجتمعها الذى تعيشه ، ومحاولة تطوير وجهة نظرها وفهمها بشكل علمى بما يقدم لها بشكل يتناسب مع مستواها الفكرى والاقتصادى . وهكذا تشارك المرأة فى صنع مستقبلها وحاضرها وهكذا تكون العلاقة الجدلية بين المرسل والمستقبل بين الاذاعة والمستمعة . وخاصة فى مجتمع كمصر نصفه تقريبا من الاناث .

ثالثا — نموذج لدور السينما وتاثيرها على المرأة المصرية المعاصرة :

أن أى فيلم ، ليس مجرد سرد ، أو مجموعة عناصر متجانسة تجرى مع الزمن . وانما هو أيضا ، ظاهرة بيانية طيعة ، تتجلى فوق بعدى الشاشة .

وكان لابد للسينما ، تلك المشاهد الشعبية ، التى نشأت فى اكشاك المعارض والقاعات الخلفية فى المقاهى .. أى كان لابد لظهورها من « رواية » . انها نبعا للحكايات بالنسبة **لفيدريكو فيللينى** ، ودراسة وجودية اليمة لدى **انجمار برجمان** ، وتعبيرا غنائيا فى رأى **برناردو برتولوتشى** ، وأيضا مجموعة اخبار تاريخية فى نظرا **فرانشيسكو روزى** ، وسلاحا سياسيا عند **كوستا جافراس** ، وتنقيبا فى الذاكرة وامكانيات اللغة لدى **آلان روزينه** ، وهى كذلك ، أداة تعليمية وعملية تستخدم فى الجامعات والمعامل .

وسواء كانت السينما طريقة للرواية ، أو أسلوبا طيعا للتعبير ، فانها مع كل ذلك احد أهم أشكال العرض على المستقبل (الجمهور) .

ومنذ نشأة السينما الناطقة عام ١٩٢٧ وحتى اليوم فان أحدا لا يستطيع انكار تاثيرها على المستقبلين (الجمهور) فى كافة وظائفها فى مجالات الفن والثقافة المعاصرين . ورغم عمر السينما القصير فانها قد لحقت بالفنون التى عاشت آلاف الأعوام ، فى البحث عن أشكال جديدة للغة الاتصال .

ومن ناحية أخرى فان السينما بالاضافة لما سبق ، هى صناعة يحكمها — فى كثير من الأحيان — العرض والطلب بالاضافة الى التمويل .

ما سبق ينطبق على السينما المصرية ، فهى قد ظهرت مبكرا فى بداية الثلاثينات فى مصر . واستمرت حتى اليوم .

ورغم ارتفاع ثمن الدخول الى صالة العرض فى مصر فى السنوات الأخيرة ، الا ان الجمهور ما زال يقبل على السينما كفن من الفنون السهلة التعبير والمشوقة والمثيرة لعقل المتفرج ولاحساساته .

ونحن لا ندعى اننا متخصصون فى فن السينما ، ولكننا نحاول قدر الامكان توضيح تأثير السينما فى مصر على نسائها المعاصرات ، ولذلك فنحن سوف نهتم بالفكرة والمضمون للأفلام المصرية دون الاهتمام بنفس القدر بعرض النواحى الفنية الأخرى . ونحن نعترف أن هذا قصور ولكن لنا عذرنا : فليس المجال هنا هو الخوض فى صناعة السينما بكل جوانبها ، وأيضا نحن نحاول نقل ما يهم موضوعنا من هذا الفن وعلاقته بالتأثير على المستقبلة (المشاهدة) وبالتالى فكلامنا قاصر ايضا على نوعية محددة من الجمهور هن الاناث .

وقبل ان ندخل فى تحليل المضمون الذى تقدمه الأفلام المصرية لنصل الى مدى تأثيرها على النساء فلنا ان نبدى ملحوظة :

قد يفاجئنا احدهم قائلا : أن النساء فى مصر وخاصة فى الأحياء الشعبية لا يذهبن الى السينما (صالة العرض) بحكم عديد من الأمور منها :

(أ) العرف والتقاليد التى ما زالت ترى أن ذهاب المرأة خاصة فى البيئات الشعبية الى السينما نوع من عدم « الاحتشام » .

(ب) ارتفاع ثمن تذكرة دخول صالة العرض وعدم وجود دور عرض كافية وتمركز صالات العرض فى أحياء معينة بعيدة

نسبيا عن الأماكن السكنية لنساء الأحياء الشعبية مما يدفعهن الى عـدم تكبد مشقة الذهاب والعودة . ومن النقطتين أ ، ب فلا داعى للخوض فى هـذا الجهاز الاعلامى فهو ليس ذو تأثير على المراة . لأن معظم جمهور صالات العرض من الرجال .

ان الرد على هؤلاء ببساطة ، أننا معهم فيما قالـوه ، ولكن البس التليفزيون كما سبق وأشرنا متواجـد لدى سيدات مصر ، وأن ساعات ارساله مقتطع منها جزء ليس بهين ومخصص لعرض أفلام السينما .

اذن السينما تسعى اليهن فى بيوتهن وان كن هن لا يسعين اليهـا . ذكرنا هـذه الملاحظة لأننـا سمعنا مثل هـذا الراى من كثير من الذين اطلعوا على مضمون هـذا العمل .

والآن نصل الى صلب النقطة التى بين يدينا :

ما هـو مضمون الأفلام التى تعرض فى مصر لنساء مصر ؟

ان مضمون معظم هـذه الأفلام خاصة فى العشر سنوات الأخيرة يدور فى العلاقة بين الرجل والمراة وموضوع الحـب مثيرة للغرائز الجنسية للرجل . اظهار اكبر كم من العرى وبشكل (الزووم) أى اللقطة المباشرة .

ومضمون الحب هـو الاذلال من الرجل للمراة ، ولابد أن تكون المراة مسلوبة الارادة ، وهى من السهل جـدا ارتمائها فى أحضان أى رجل ثم آخر ثم تالى حتى تجـد من تحبه حبا صادقا مستفيدة من تجاربها !! وهى لا تقـدم أى مفهوم راق عن الحب بمعناه العلمى وهناك افـلام الحب الرومانسية الخيالية التى تحب فيها المراة رجلا « دون جوان » لشـكله ومركزه (فى معظم الأحيان يكون الرجل غنى والمراة فقيرة) وهو لا يشعر بهـا ، وتطارده فيتواضع ويتزوجها أو يتركها لتحبيها .

٢ — افـلام الاثارة والعنف :

هى ما يسميه الجمهور المصرى افلام « الشجيع » ومضمونها ان هناك رجل كاسر وحش يضرب « بالكرسى وبالمطواة وبالطبنجة » او « يقفل قهاوى » (تعبير منقول عن الجمهور المصرى ونعنى به « الفتوة » او الرجل القوى الذى يهابه الناس لجسده وقوته العضلية) .

ويظهر « الشجيع » محاطا بهالة من المعجبات ، ولابد أن يقـع فى قبضة القانون !! اذا كان خارجا عنه ، وفى كل الأحوال « تهـديه » أمرأة يترك العالم من أجل « سواد عيونها » (نحن نحاول نقـل تعابير الجمهور المصرى) . ولا تجـد اى مضمون فى الفيلم ممكن أن تخرج به سـوى الاعجاب بالشجيع او كراهيته .

٣ — الأفـلام الاستعراضية :

وهى على قلتها افلام مخصصة (متفصلة) على مطرب أو مطربة من اجل أن يغنى عـدداً من الأغانى وسط حكايات مفتعلة ومهرجة لا معنى لهـا . ويعجب به النساء ويعيش ممزقا لحبيبته التى يتزوجها دائما فى النهاية والعكس صحيح .

ما سبق تقريبا هى مضامين الأفلام فى السينما المصرية المعاصرة ، او أن هـذا هـو الأعم والأغلب وما عـداه اعمال شاذة عن القاعـدة المعمول بها فى السينما المصرية .

وكما جاء فى الطبعة الأخيرة من « دليل السينما » الذى يصدره مركز الثقافة السينمائية ، فانه فى خلال ٤ سنوات تبدأ من ٧٦ حتى ٧٩ أنتجت السينما المصرية ١٨٧ فيلما . والمتأمل لهـذا الكم من الأفلام يلاحظ خلوها من النوع الذى يسمى « الجرائد ميزانسين » فكلها من الأفلام المتوسـطة القيمة والمستوى الهابط فكريا وانتاجيا)(*) . وهـذا ما يؤكد وجهـة نظرنا السابقة .

(*) رأفت الخياط ، عمود نقطة فوق حرف ساخن ، جريدة الجمهورية ، القاهرة ، العدد ٩٠١٧٠ لسنة ٢٨ الثلاثاء ٣ نوفمبر ١٩٨١ .

ومن السابق يمكن أن نحصر تأثير السينما المصرية على أدمغة النساء المصريات المعاصرات فى الآتى :

١ ــ أن السينما لا تضع فى عقول النساء سوى مضامين هادمة سواء فى الحب أو غيرها .

٢ ــ السينما لا تحاول تثقيف عقول المشاهدات والارتفاع بوعيهن .

٣ ــ السينما تدعم عن قصد أن تبقى عقول المستقبلات (المشاهدات) واهنة ، أمية ثقافيا ، راضية بما هن فيه .

٤ ــ السينما تضع أمام المشاهدات اسوأ النماذج للنساء وتمجدهن .

٥ ــ السينما عامل افساد (فى مصر اليوم من خلال الفيلم التجارى) للنساء فهى تدفعهن الى الطموح الزائف بالتمنى أن تحيا المرأة نفس حياة الممثلة على الشاشة ، وهى عادة اما حياة مرفهة أو حياة زوجها الذى سوف تنتقل اليها وهو غنى عادة فى كل الأفلام المصرية أو معظمها ، وهى تبعد المرأة عن واقعها المتخلف وظروف حياتها السيئة التى تحياها .

أن ما سبق ينطبق أيضا على الأفلام الأجنبية التى تعرض فى مصر ، فمستوردوها هم نفس صناع السينما فى مصر أو على شاكلتهم ، وبالتالى فهم يختارون نوعية منحطة من الأفلام من حيث المضمون وهى دائما أفلام « للكبار فقط » فالمصرح بها يعلم جيداً أنها تخاطب الجنس بشكل منحط وليس داخل سياق الموضوع ، فيكتفى من وجهة نظره بأقل الضررين وهم الكبار . علاوة على أنها أفلام تمجد عالم الجريمة والاثارة والعنف بلا معنى ولا مضمون انسانى عملى واحد يرتقى بأذهان النساء . هذا اذا صادف ودخلت امرأة فيلما أجنبيا فمعظم نساء مصر اميات . (ملحوظة ما قلناه على الفيلم المصرى ينطبق على الفيلم الأجنبى فاذا عرض فيلم ذات مضمون جيد فهو شاذ عن القاعدة) هكذا يمكننا ان نقول أن السينما فى مصر ذات مضمون سىء بل مدمر على عقول النساء

المصريات . دون ان نبذلجهدا فى توضيح ذلك فالأمر واضح من استعراض اى فيلم فى السينما المصرية المعاصرة .

ونكرر أن هـذا المضمون المدمر مضاعف فى السينما بالذات كأحـد أجهزة الاعلام ، حيث يشترك معها التليفزيون فهو الناقل عنها وهو الموسع لمجال عروضها من خـلال شاشته ومن خلال مطاردته بأفـلام السينما للمشاهدة حتى وهى فى بيتها . ومن هنا تأتى الخطورة المضاعفة للسينما والأثر المدمر على نساء مصر المعاصرات .

رابعا ـ نموذج لدور الكتاب وتأثيره على المرأة المصرية المعاصرة :

لن نستفيض فى شرح دور الكتاب وتأثيره على المراة المصرية المعاصرة لأسباب نجملها فى :

١ ـ أن معظم النساء المصريات أميات وهن بالتالى بعيدات كل البعد عن الكتاب .

٢ ـ انه حتى المتعلمات من النساء المصريات أو من هن فى دور العلم لا تهتم الواحـدة منهن بالثقافة فلم يرشدها احـد الى ذلك حتى التعليم نفسه فى مصر لا ينصح بذلك فى المدرسة بمراحلها الثلاث والمحصلة حتى فى الجامعة حتما سوف تكون ضئيلة جـدا .

ولكن رغم ذلك فهناك قارئات للكتب المصرية تحت بندين : (فى الأغلب الأعم) .

(أ) قارئة كتاب للتسلية وقطع وقت الفراغ وهن بعض النسوة اللاتى يجـدن القراءة .

(ب) قارئة كتاب اجباريا وهن من فى دور التعليم ، والكتاب هنـا مدرسى أو جامعى .

وعليه فسوف نتناول بالشرح من وجهة نظرنا دور الكتاب من خلال كتاب التسلية ، فقط نظرا لأنه ليس اجباريا ولكنه اختيارى . أما الكتاب المدرسى فانه كتاب تعليمى اجبارى لمن أراد التعليم وليس مصدره الاعلام وليس هــو أحــد وسائل الاعلام . ولكنه أحــد وسائل التعليم . ولكى نتناوله فلابد أن نتناول فلسفة التعليم فى مصر بشكل عام من خلال الكتاب المدرسى والعكس صحيح .

وهــذا ليس مجال بحثنا ولا النقطة التى بين أيدينا بالتالى .

(أ) كتاب التسلية : (الشكل والمضمون) :

يتنوع شكل كتاب التسلية ، الذى تستعمله المرأة فهو يأخذ أشكال محــدودة منها :

١ ــ القصــة القصــيرة .

٢ ــ الــــرواية .

٣ ــ سيرة بعض الرجال أو النساء .

٤ ــ كتب نوعية مثل : كتب فنون الطبخ والتطريز والتفصيل .

هــذا فى راينــا هــو شكل الكتب التى سنتناولها من حيث المضمون والتى تستعملها النساء الغير أميات فى التسلية .

(ملحوظة : قلنا تستعملن بدلا من تقرأن لأن القراءة يجب أن تكون هادفة ، أم التسلية فيستعمل لهــا ما يسلى كى يستهلك بعــد ذلك ، والاستهلاك بالنسبة للكتاب هــو نسيانه) .

ومن حيث المضمون فمضمون :

١ ــ القصة القصيرة التى تقرأها المرأة دائما للتسلية يدور فى فلك التحــدث عن مآسيها التى تعايشها دون بث أى أفكار حتى ولو اصلاحية

فى ذهن المرأة من خلال مضمون القصة القصيرة التى تقرأها ، فهى قصص مستهلكة تتناول صور مشوهة للمرأة فى الحب والزواج والتعاسة ، دون أن تقــدم حلولا أو ردودا بديلة وتخاطب فى أحيان كثيرة المرأة كجسد .

٢ ــ أما فى الرواية التى تقرأها المرأة دائما للتسلية ، فهى أيضــا تتحــدث فى عــديد من صفحاتها عن عالم رومانسى غير واقعى حالم ، تميل اليها النساء دوما فى مصر حيث عالمهن الملىء بالتعاســــة والألم ، الشخصية الأساسية Basic Personality فى معظم هــذه الروايات هى الرجل أما الشخصية الهامشية Peripheric Personality فهى المرأة ، عكس ما يبدو عند قرائتها بشكل متسرع ، فالسرد عن المرأة أكثر من حيث الكم ، أما من حيث الكيف Quality فيستحوذ الرجل ــ فى هــذه الروايات ــ عليه . وهى روايات تحكى عن الحب العــذرى الأبدى ، التضحية فى سبيل الرجل ، والكفاح والنضال من اجل اصطياد الحبيب (الرجل) . ودائما فيها الرجل ذو شخصية سادية Sadism والمرأة ماسوشية Masochism .

٣ ــ أما سيرة بعض الرجال والنساء ، فهى كتب ذات طبيعيـــة تصصية ، وهى فى غالبها تتحــدث عن ما يسمى بمشاهير الرجال والنساء وفى نواحى معينة بالذات ، فهى غالبا كتب تتحــدث عن حيــاة الممثلين والممثلات ، وتتناول جوانب : الحب ، والعصامية للوصول الى الشهرة ، وتعــدد العلاقات النسائية فى حياة الممثل ، وفشل العلاقات الاجتماعية فى حياة الممثلات ، وكيف بدأن طريق الطموح والتطــلع Aspiration ووصلن اليه . وتتناول كذلك حياة الراقصات وتصويرهن على أنهن ــ رغم فكرة الآخرين عنهن ــ يملن الى التأبى والتعفف Abstinence .

وتتسم مثل هــذه الكتب بمضامين فارغة ومزيفة لواقع من تحكى سيرته أو سيرتها .

٤ ــ أما فى كتب فنون الطبخ والتطريز والتفصيل فنجـــدها تتناول موضوعات حول الأطعمة التى هى دائما مضرة بالصحة مثل : « الأكــل

المسبك » « الفطير المشلتت » « الحمام المحشى » ... الخ ولكنها مكلفة جدا ولنوعية خاصة من النساء ذوات المستوى الاقتصادى العالى . أو الأطعمة ذات الطابع الغير مصرى مثل اكلات المطبخ الايطالى والفرنسى والانجليزى ... الخ . وكذلك كتب التطريز والتفصيل فهى تتناول عالم الموضات والأزياء وآخر صيحاتها وبيوت الأزياء الأجنبية .

وكلها كتب تخاطب نوعية خاصة جدا من النساء . ولكنها تركز على قيمة المطبخ فى حياة المرأة حيث هو عامل استقرارها خاصة المتزوجة ويستشهد مؤلفو هذه الكتب بحكمتهم المأثورة : اقصر طريق الى قلب الرجل معدته . فهى تركز على مضمونين :

١ — اقتناص الرجل من غرائزة وطرح عقله جانبا .

٢ — اعلاء قيمة المطبخ رغم أنه العدو الأبدى والأول للمرأة حيث تقضى أوقاتها فى أعمال حقيرة وغير منتجة .

انها كتب توقع المرأة فى الحتمية Determinism المفروضة عليها كأنثى من وجهة نظر هؤلاء السادة وظيفتها الأولى خادمة فى منزل الزوجية ، كائن لا يصلح فى شىء قدر صلاحيته فى اعمال الكنس والمسح والطبخ وما أحقرها من اعمال .

وهى تجسد بحق وجهة نظر المجتمع المصرى فى نسائه .

من الواضح من خلال الاستعراض السابق أن هذه الكتب الخاصة بالتسلية والتى تقرؤها المرأة المصرية غير الأمية ، يغلب عليها الطابع التجارى الرخيص .

ويمكن أن نلخص المضمون السابق فى :

١ — أن دور الكتاب فى حياة المرأة ليس للتثقيف ولكنه للتسلية .

٢ ــ أن مضامين كتب التسلية لا تخرج عن حـــدود توقع المرأة فيما هى فيه من بؤس وذل وشقاء .

٣ ــ لاتملك تلك الكتب المرأة أى مفاهيم تنتشلها من واقعها الى واقع أفضــــــل .

٤ ــ لا تضيف تلك الكتب للمرأة جـــديدا سوى التحريض على بقائها كما هى والايحاء لها بأن ما هى فيه هـــو الأفضل والأحسن والحتمى والمصير ولا بديل عنه فى حياتها .

■ ــ تركز مثل هـــذه الكتب على أبعاد المرأة عن أدوارها الطبيعية من وجهةنظرنا ككائن اجتماعى كامل ، كمشاركة فى حل مشاكل المجتمـــع وعضو فعال فيه .

ويلاحظ أن تلك الكتب موجودة لقتل وقت الفراغ الذى تعيش فيه المرأة المصرية المعاصرة والتى لا تستطيع استثماره لقيود المجتمع المفروضة عليها والتى أدت بها الى الأمية الثقافية حتى وان كانت متعلمة .

وبناءا على ما سبق يتضح أثر الكتاب على المرأة المصرية المعاصرة ، أنه يزيف الوعى ولا يتجه بالمرأة الى التخلص من سلبياتها وتخطى واقعها وتغييره مثله مثل باقى أجهزة الاعلام التى تكلمنا عنها سابقا .

خامسا ــ نموذج لدور الصحافة وتأثيرها على المرأة المصرية المعاصرة :

من البديهى أن وسائل الاعلام يمكن أن تلعب دورا خطيرا فى عالمنـــا المعاصر ، ذلك أنها تسهم فى تيسير الاتصال بين قطاعات المجتمع الواحد ، وبين مجتمعات العالم . وهى تساعد على تداول الأخبار والأنباء والمعارف ، وهى تؤثر فى الوعى الجماهيرى سواء بترشيده وتنميته وانضاجـــــه أو بتخـــديره وتزييفه .

أن هـذا هو دور وسائل الاعلام بصفة عامة ، وعلى وجه الخصوص فان دور وسائل الاعلام يصبح ذو حساسية خاصة فى بلدان العالم الثالث المتخلفة ومنها مصر .

ولعل الصحافة فى مصر هى واحـدة من الوسائل الاعلامية الخطرة التى تؤثر فى قضايا المجتمع . واذا كان الفصل يتناول قضية نوعية هى قضية المرأة ، فان ما سوف نبحثه هو مدى تأثير الصحافة — كواحـدة من وسائل الاعلام فى مصر — على المرأة المصرية .

ولنا ملاحظات عن مدى تأثير الصحافة — كواحـدة من وسـائل الاعلام — على المرأة المصرية :

١ — تنحصر الصحافة النسائية الى درجة المهزلة ، فليست هناك غير صحيفة واحـدة نسائية فى مصر هى « مجلة حـواء » التى وجـد أن ٨٥٪(٦) من موضوعات اعـدادها مخصصة للمكياج والموضة والمطبخ ، ١٠٪ قصص قصيرة عن فـداء وتضحية المرأة من أجل حبيبها أو عن زوج خائن أو زوجة لعوب ... الخ بمفهوم غاية فى الانحطاط ، ٥٪ أخبـار فنانين وفنانات (تجاوزا) وأخبار جمعيات ونوادى نسائية ابعـد ما تكون عن اهتمامات المرأة المصرية المطحونة مثل سيدات الليونز وسيدات نوادى السوروبتسمت ! فى حين انه عام ١٩١٣ كانت هناك ثمـان مجلات نسائية (مجلة الفتاة — مجلة الهوانم — مجلة شجرة الدر — مجلة السعادة — مجلة السيدات والشباب — مجلة فتاة الشرق — مجلة ترفيه المرأة — مجلة فتـاة النيـل) .

٢ — تخلو الصحف اليومية من باب للمرأة يومى عـدا صـحيفة الأهرام .

٣ — يمكن دون استطراد أن نقول أن الصحف تمارس دورا سالبا

(٦) احصائية وارده فى : د. محمد عوض خميس ، دفاعـا عن المرأة ، العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ .

على المراة المصرية فهى أبعد ما تكون عن قضاياها ومشاكلها وهى لا تسهم فى تدعيم الوعى لديها .

٤ — عدم قدرة الصحافة على غرس مضامين إيجابية فى أدمغة النساء ونزع المضامين السلبية منها .

■ — أن الموقف السلبى للصحافة من المراة يساهم فى تزييف الوعى .

من العرض السابق يمكن لنا أن نقول أن الصحف مثلها مثل باقى اجهزة او وسائل الاعلام تمارس دورا سالبا على المراة المصرية المعاصرة فهى ابعد ما تكون عن قضاياها ومشاكلها ، وهى لا تسهم فى تنمية الوعى لديها ، وهى مزيفة للوعى بما تضعه فى أدمغة النساء مجافيا للحقيقة ومحدثا للتعمية عن المشكلات الجوهرية للمراة المصرية . وهى أن اهتمت بالمراة او قدمت لها خدمة أخبارية أو اعلامية فهى تقدمها لنوعية خاصة من النساء هن النساء الغنيات ولا تحظى النساء فى الطبقات الشعبية بأى قدر من العناية ولا تحتل شيئا يذكر فى سطور الصحف .

ذلك عدا عدم قدرة الصحافة على غرس مضامين ايجابية ونزع المضامين السلبية من أدمغة النساء .

وفى النهاية أن الصحافة تشترك فى تزييف وعى النساء مع باقى اجهزة الاعلام فى مصر .

فى ضوء تعريفنا للوعى ، وفى ضوء الاستعراض السابق لدور وسائل الاعلام من حيث تأثيرها على المراة فى المجتمع المصرى المعاصر ، يلزم علينا أن نحدد نوعية الوعى الذى تستقى منه المراة المصرية اليوم ثقافتها من خلال وسائل توصيل هذا الوعى « وسائل الاعلام » .

ولنا أن نؤكد أن الوعى الذى يوجه الى المراة هو وعيا زائفا ، بمعنى أن هذا الوعى ما هو الا تصورا جزئيا ومشوها ومغلوطا .

للواقع المحيط بالمرأة ويرسم هـذا التصور بعنـاية حتى لا ينفـذ الى الحقائق من خلال أجهزة الاعلام التى تستخدم التكنولوجيا والابهار لتحقيق عملية تزييف الوعى تلك . وينطبق على دور أجهزة الاعلام فى تزييف وعى النساء فى مصر نموذجين هما :

١ ــ النموذج التالف الذى يتمثل فى الضغط على أعضاء المجتمـع وترسيخ ما هـو فيه من تخلف تحت دعوى نأ هـذا التخلف حتمى ولا مفر منه وليس لـه بديل وانه لا يقبل التغيير . ومن الأمثلة على ذلك اقتنـاع النساء بعـدم خروجهن الى العمل وأن المكوث فى البيوت هـو الأفضل لهـن ــ « اللى تخرج من دارها يتقل مقـدارها » ــ انه نموذج يستخدم فيه عنصرى الايهام والمواربة .

٢ ــ نموذج التعمية ، هـذا النموذج الذى يتمثل فى الحيلولة دون أن يقيم الناس انفسهم واوضاعهم وأحوالهم . وذلك بمقارنتها دوما بأوضاع أسوأ ، أو بخبرات سابقة أكثر ألمـا . ويحـدث ذلك عندما تقارن المرأة المصرية اليوم احوالها بأحوال المرأة فى العشرينات فمثلا حيث كانت محجبة لا تتقلد اى وظائف من الصعوبة الشديدة أن تتعلم أو أن يقبل المجتمع ذلك منها ... الخ .

ولنا أن نضيف ختاما لهذه النقطة من هذا الفصل ، ان الاعلام يسطح الوعى ، ويجعل المرأة المصرية المعاصرة تسير فى مدار مقصود خاو من المضمون الأصيل ، ذلك أن معظم المواد الاعلامية لا تهتم بالوعى ، قـدر اهتمامها بالترفيه فى غير موضوعه ، فهو ترفيه سطحى لا يتضمن قيمـا أو مبادىء عـدا تلك القيم المثبته اصلا فى ذهـن المرأة المصرية ومؤدية بالضرورة الى تخلفها .

وأن هـذه هى حقيقة الاعلام المصرى وتأثيره على المرأة المصرية السالب ، ونتيجة تسطيح وعى المرأة واغفال ادوارها الأساسية من كونها كائن اجتماعى كامل مؤثر ومشارك ومغير المجتمع الى الأفضل .

* * *

ولنا ان ننهى هـذا الفصل آملين أن يكون هد المدخل الصحيح لمـا يتلوه وأن يكون فى خـدمة البحث كـكل .

مراجـــع المبحث الأول العربية

١ — د. عبد الباسط عبد المعطى ، الاعلام وتزييف الوعى ، القاهرة ، دار الثقافة الجـــديدة ، ١٩٧٩ .

٢ — د. محمود عودة ، اساليب الاتصال والتغيير الاجتماعى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١ .

٣ — روجر كلوس ، الجمهور ووسائل الاتصال ، مقال ، ترجمة تمـــاضر توفيق . المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، يناير ١٩٧١ .

٤ — دفيد ريدل ، مرجريت كولسون ، معرفة نقـــدية فى علم الاجتماع ، ترجمة د. سيد غريب و د. عبد الباسط عبد المعطى ، القاهرة ، دار النشر الجامعية ،١٩٧٢.

٥ — ميشيل آرجابل ، علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية ، ترجمة د. عبد الستار ابراهيم ، القاهرة ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ .

٦ — شاكر ابراهيم ، الاعلام ووسائله ودوره فى التنميـــــة الاقتصادية والاجتماعية ، القاهرة ، مؤسسة آدم للنشر والتوزيع فى مالطة ، ١٩٧٥ .

مراجـــع المبحث الأول الأجنبية

— G. Lukace, " Marxism " in P. Hamilton, (ed) Knowledge and Social Structure, Routledge, Kegan Paul, London, 1974.

— M. Movikov, Organizational Society : Social Mechanisms and Ideology, Novasti Progress Agency Pulishing House, Moscow, 1972.

الفصل الثاني

العادات والتقاليد التي تمارسها المرأة المصرية المعاصرة

"الأكثر شيوعا"

فى بداية هـذا الفصل « العادات والتقاليـد التى تمارسها المرأة المصرية المعاصرة » ، يجب أن نشير الى أنه وان كان نفسيا بالدرجـة الأولى ، الا أنه لا يمكن لأى بحث يتناول دراسة أمر من أمور الانسـان ، الا أن يحيـط الباحث بجـوانب الانسان جميعها أو معظمها : النفسية والجسدية والتاريخة والاجتماعية ، ونحن نعتقد أنه بدون الربط بين هـذه العلوم الانسانية المختلفة ، فان الباحث لا يمكنه أن يلمس جـذور الدوافع والعوامل التى تشكل نفسية الانسان بوجه عام .

وسوف يبدو ذلك واضحا على الفور الآن عندما نحاول البحث عن اصل ومعنى كلمة عادة وكلمة تقليد :

فكلمة عادة Habit تتعـدد مفاهيمها :

— فنحن نجـدها عند « ارسطو » : الفضيلة وهى عادة الوسط الراقى .

— ونحن نجـدها عند « رافيسون » : العادة حاجة حيوية وميل يخرج الى الفعل من تلقاء ذاته .

— ونجـدها عند « مين دى بيران » : العادة نوعان عادة منفعلة Passive وعادة فاعلة Active . والاحساسات عادات منفعلة من حيث أن تكرارها يضعف قـدرة العضو الحساس على مزاولة الجهـد أو الشعور بالمقاومة . والأفعال Operations عادات فاعلة من حيث ازدياد الحاس مع التكرار .

— اما فى علم النفس فان العادة هى قـدرة مكتسبة على اداء عمـل بطريقة آلية مع السرعة والدقة والاقتصاد فى المجهود .

أما كلمة تقليد Tradition فهى أيضا تتعـدد مفاهيمها :

— ما يتناقل بالقول او بالكتابة أو بالعمل فى جماعـة . ولهـذا يترادف التقليد مع النقل ويتعارض مع التأويل . ولهـذا فالتقليد اخـذ مباشر او نقـل عن السنة .

Traditio — ونجـد ايضا انه الأصل اليونانى للفظـة أجنبية ومعناها فعل النقل ، ويراد به دينيا « اتباع الانسان غيره فيما يقـول أو يفعل ، من غير نظر الى الدليل ، كأن هـذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقة » .

ونستطيع على ضوء ما سبق ان نرى التشتت فى تحـديد المعنى او المفهوم لكلمة عادة وكلمة تقليد .

ولكننا نرفض « اللاارادية » سواء فى العادة أو التقليد .

فنحن نرى العادة :

« هى القـدرة على فعل شىء ما بشكل ارادى ولكنه متكرر ولذلك فالفعل يمارس بشكل يبدو آليا . ولأنه فعل متكرر فيستلزم وقتا طويلا حتى يمارس آليا » .

ونرى التقليـد :

« عمل ارادى يتبع فيه الانسان غيره ولأن فيه تباعية فهو قـوى السلطان على الانسان » .

من هنا نبدأ . بعـد أن حاولنا تعريف العادة والتقليد .

ان عادات المراة المصرية وتقاليدها ، من التعـدد بحيث أنه من الصعب حصرها ومن الصعب ايجاد الأصل التاريخى لهـا أيضا ، هـذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى من الصعب أن نحـدد أى العادات هى الأكثر ممارسة حيث أننا سوف نجـد العـديد من هـذه العادات تمارس جميعا فى مناسباتها بلا توأن .

ورغم ذلك فاننا سوف نحاول قـدر الجهد وقـدر الطاقة وقـدر المتاح لنـا من المراجع ذكر العادات والتقاليد بشكل الأكثر أهمية مـع محاولة العثور على الأصل التاريخى لهـا .

ولما كنا قد حددنا رأينا فى معنى العادة والتقليد ووجدنا ان الفرق بينهما هو أن التقليد له قوة أكثر من العادة ، ولكن كلا من العادات والتقاليد تمارس فى أوانها فاننا نرى أن هذا الهامش لا يدعونا الى فصل العادات وحدها والتقاليد وحدها وسوف نشير الى ذلك فى مجمل استعراضنا .

أولا — السبوع :

هو واحد من أهم التقاليد التى تمارسها المرأة المصرية المعاصرة تمارسها فيما بعد الولادة . فان الأغلبية الساحقة من المصريين على اختلاف وضعهم الطبقى ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية يحتفلون بـ « سبوع المولود » ، كل حسب امكاناته ومقدرته ونلخص طقوس هذا التقليد فيما يلى :

فى اليوم السادس للوضع ليلا ، توضع « قلة السبوع » اذا كان المولود بنتا أو يوضع « ابريق السبوع » اذا كان المولود ولدا ، بجوار المولود ، ويوضع فى القلة أو الأبريق شمعة كبيرة وعدد من الشمع حولها وتشعل الشموع . ويوضع الكل فى صنية بها ماء ، ثم توضع فى الماء حبوب من الفول ، وذلك تيمنا به (يلاحظ ان حبة الفول بوجه عام يوجد بها علامة سوداء تشبه حرف الألف : أول حرف لفظ الجلالة : الله) .

وينقع الفول فى الماء ، ويعطى المحتفلون فى اليوم التالى (السابع) سبع فولات يضعها كل واحد منهم فى كيس نقوده أو فى جيبه طلبا للرزق والبركة ..

والملاحظ ان القلة أو الأبريق يكون به ماء يشربه أعضاء الأسرة فى صباح يوم السبوع من أجل أن تزيد الروابط الأسرية فيما بينها وبين المولود الجديد . ويكون أول الشاربين فى العادة شخص يكون (باله طويل) . وتغطى القلة أو الأبريق بيضه مسلوقة عادة ، يأكلها فى الصباح شخص مسن حتى عيش المولود الجديد طويلا .

ومع القلة او الأبريق والشموع والفول ، يهتم اهـل المولود باحضار سبع عينات من الحبوب عادة ، مثل العـدس واللوبية والأرز والحلبة والقمح ... الخ .

ويضاف اليها كمية من الملح . وتوضع هـذه الحبوب ومعها الملح ولقمة من الخبز فى كيس قماش صغير ، ويخيطه أهل المولود على شكل حجاب يوضع تحت راس المولود من أجل حراسته وبخاصة اذا ترك فى الحجرة وحـده . ويرى اهل المولود فى هـذا العمل أن « ملحه يحرسه » ويلاحظ أن ما يتبقى من عينات الحبوب المشار اليها يختلط بالملح بعضه ببعض ، ثم يرش المسحوق فى أرجاء المنزل منعا للحسد . ويعتبر الملح من اهم هـذا الخليط .

ويبدأ الحفل عادة باطلاق البخور ، ثم تزف الأم وهى حاملة طفلها من على عتبة البيت حتى الحجرة التى يتم فيها السبوع ، وذلك بأن يسير وراءها أطفـال البيت وأطفـال الجيران يحمـلون الشموع المضيئة وهم يترنمـون :

(حرجالاتك برجالاتك .. حلقة دهب فى ودانانك) هـذا اذا كان المولود بنتا .

وهم يترنمـون أيضا :

(يا ربنا يا ربنا يكبر ويبقى أدنا) .

أو : (شفنا وش جـديد يرزقنا برزق جـديد) هـذا اذا كان المولود ذكراً .

(يراعى هنا أن الكلمة « حرجالاتك » مشتقة من حرجل ومعناها عـدا يمنه ويسره ، فيكون معنى الأغنية حينئذ : برجليك الصغيرتين سوف تعدو وتسير حتى تشب عن الطوق وتكبر) .

وبعـــد « الزفـــة » تدخل الأم فى الحجرة التى يتم فيها السبوع ، ويوضــــع المولود أو المولدة فى « غــربال » وتمسك احـــدى السيدات يد « هون » من النحاس وتدق به وتقول للمولد اذا كان ولدا « اسمع كلام أمك واسمع كلام أبوك » واذا كان الطفل بنتا تقول « اسمعى كلام أمك ولا تسمعى كلام أبوك » .

ويرى المحتفلون أن دق الهون له فائدة : هى عـــدم فزع المواود فيما بعـــد من الأصوات العالية . ويقال أيضا أن « ضوضاء » الهـــون هـــو وسيلة لابعاد الأرواح الشريرة .

ويلاحظ انه فى أثناء دق « الهون » تقوم سيدة أخرى بهز « الغربال » الذى به المولود حتى يتقى الفزع فيما بعـــد . ثم تخطى السيدة فــــوق « الغربال » الذى به المولود سبع مرات حتى لا يصاب فيما بعـــد ببعض الأمراض مثل « القراع » او « الكساح » اذا خطت عليه الأم وهى تمسر بفترة « الدورة الشهرية » أو حتى تمنع « المشاهرة » .

(« المشاهرة » كلمة عامية تعنى اضطراب المراة ومنعها من الحمل القادم) وبعـــد أن تحمل الأم طفلها من الغربال ، تقوم احـــدى السيدات بدحرجة الغربال حتى يمشى الطفل فى أوانه .

ويلاحظ ان « القلة » أو « الأبريق » قـــد يزين بقطع من الذهب التى تملكها الأم أو اعضاء الأسرة (سواء التناسلية أو التوجيهية) حتى يكون المولود سعيد الحظ ويصبح من الأغنياء وتوزع اسرة المولود على الأطفال من حاضرى الاحتفال وغيرهم اكياسا بها بعض : « حمص » كعنصر أساسى (للونه الأصفر شبيه الذهب تيمنا بمستقبل سعيد للطفل) و « سودانى » وبعض الحلوى أو ما شابهها . ويتوقف نوع ما تضمه هـــذه الأكياس على المستوى الاقتصـــادى للأسرة . ويبدو أن توزيع هـــذه الأكيـــاس يذكر الأطفال بانضمام طفل جـــديد اليهم من خلال استمتاعهم بما فيها .

وينتهى الاحتفال عند ذلك .

ان هـــذا التقليد هـــو واحـــد من اقـــدم التقاليد التى تمارســـها المرأة المصرية ، ويرجع بدايته الى العهد الفرعونى حيث كان يعمد الطفل وتقام له احتفالات مشابهة للسبوع .

وأيضا يتم الاحتفال به فى اليوم السابع من ولادة الطفـــل وكانت اهم مراسم هـــذا الاحتفال هى رش الملح وملأ وعاءا من الفخار بدلا من « الهـــون » بالنبيذ « كمية قليلة » والضرب على الفخار تماما كما يحـــدث الآن بالضرب « بيد الهـــون » .

ان شيوع هـــذا التقليد واهميته ترجع الى مكانة الطفل فى الأسرة المصرية حيث هـــو واحـــد من عصبة العائلة . وتشتد أهمية هـــــذا الإحتفال فى الريف عنه فى الحضر حيث الاهتمام بالانجاب أشـــد حيث هم عادة عمـــاد الأسرة والقـــوى العاملة فيها . ويصبح الاحتفال أكثر بهجـــة ومودة واكثر تكلفة حينما يكون المولود ذكرا سواء فى الريف أو الحضر وعلى وجه الخصوص فى الأحياء الشعبية .

ولكن على اى حال فانه سواء كان المولود ذكرا أو انثى فان السبوع لابد أن يتم .

ثانيا ــ عادات وتقاليد تتصل بالموت :

(الجنازة ــ المـــأتم ــ الأربعين ــ زيارة القبور) .

من الملاحظة المتأنية أننا نحزن كثيرا .. أننا نبكى اذا حزنا ، ونبكى كذلك اذا فرحنا ومشاعرنا الحزينة تبدو عميقة عمق ما تعكسه عيـــون أمهاتنا ونسائنا . ان ما تعكسه هـــذه العيون فى معظم الأحيـــان يدمى القلوب . ولقـــد أبدع المجتمع المصرى على مر العصور وحتى وقتنا هـــذا نظما اجتماعية فريدة تنسق البكاء والصراخ !!

واذا كنا بصدد عادات وتقاليد تتصل بالموت والموتى فسوف نتناول الآتى :

(أ) الجنـــــازة :

عقب حـــدوث الوفاة واعـــداد المتوفى يحمل فى تابوت « نعش » ، استعدادا لنقله الى المقبرة ، ويسير وراء التابوت الأقارب والمعارف وفى أحيان كثيرة يتطوع آخرون للمشى فى الجنازة وهم يعتقدون أن ذلك يؤدى الى نوالهم ثوابا من الله وهم فئة يطلق عليها « أولاد الحلال » . ويسير وراء الرجال النسوة من المعارف والأقارب . وفى أحيان كثيرة يلطخـــن وجوههن بالطين والتراب ويتعمدن السير حفاة . وفى معظم الأحيان توجـــد من بينهن امرأة أو أكثر مرتديه نفس الملابس السوداء ، ولكنها تقوم بدور آخر ، يشبه دور قائد « الاوركسترا » ، مع اختلاف بسيط أنها لا تقـــود فرقة من العازفين ولكنها تقـــود النسوة فى الصراخ والعويل بشكل منغم وموزون . أنها « الندابة » . تستجيب لهـــا النسوة جميعا ويرددن وراءها ما تقول ويقلدن نفس حركاتها بدءا من شد رداء الرأس الأسود وهـــو ما يطلق عليه « القمطة » وقـــد ينفعل وراءها النسوة فبدلا من شد « القمطة » يمزقن شعورهن . هـــذا بالاضافة الى لطم الخـــدود بشكل منتظم على نمط « الرتم » الذى يبدأ سريعا ثم يبطىء ثم يسرع وهكذا .

ذلك يحـــدث أثناء سير المتوفى تجاه مكان دفنه وطوال مسيرته لا تكف الندابة عن أعمالها تلك ولا تكف النسوة عن تقليدها .

أما عند وصول جثمان المتوفى الى قبره تتعالى صرخات الندابة وتبدأ فى شق الملابس خاصة عند الصدر (الصـــدر جزء حساس فى جسد المرأة ومعنى اظهاره أو اظهار ما يخفيه من رداء أن لاحياء مع الموتى وفى نفس الوقت أن المتوفى عزيز تماما كما أن هـــذا الجزء من الجسم عزيز على المرأة) وتستمر فى هـــذه الحالة ومعها النسوة المشيعون للجنازة حتى انتهائها .

هـــذا يتم فى الريف والحضر بلا اختلاف يذكر .

(ب) المـــــأتم :

يبدأ المـــأتم مساء دفن المتوفى عادة بعـــد صلاة المغرب ، باقامة صوان يحضره الرجال ومقرىء او اثنان أو أكثر حسب مقـــدرة أهل المتوفى الاقتصادية وأيضا اتساع حجم الصوان أو صغره يتبع تلك المقـــدرة .

وتتجمع النساء وحـــدهن لمزيد من البكاء والعويل واللطم .

يعقب هـــذا المـــأتم ما يسمى (بالصبحة) أى الصباح التالى ليوم الوفاة ، حيث تتجمع النسوة لتعظهم واعظة عن حكمة الموت وهى فى نفس الوقت مقرئة قرآن .

ثم تبدأ « المعـــددة » عادة سواء فى الريف أو الحضر قيادة جمـــع الحاضرات من النسوة من جـــديد فى التذكير بموت الميت ، مما يدعـــــو الحاضرات من النسوة الى اللطم والصراخ والعويل مرة أخرى . ولـــكن « المعـــددة » هنا دورها يختلف عن الندابة ، فهى حافظة ما يشبه الموال أو المواويل (وخاصة فى صعيد مصر) . وتبدأ فى القاء مواويلها البكائية التى تشعل جـــذوة الحزن فهـــذا تخصصها .

وعلى سبيل المثال سوف نروى ــ مستعنين بالدكتور/سيد عويس فى كتابه (حـــديث عن المرأة المصرية المعاصرة ــ دراسة ثقافية اجتماعية) ــ بعضا من مواويل « المعـــددة » :

« أروح يا اخـــويا وأخرق القبر بالدبوس
واخش عليـــــك وأغـــــير الملبـــوس
أروح يا اخــــــويا وأخرق القبر بالأبرة
وأخش عليـــــك وأغـــــير البـــــدلة »

(يلاحظ هنا أن هناك كلمات جاءت للسجع والوزن والقافية بلا أى مدلول مثل « وأغير البدلة » فالميت المسلم ينزع عنه جميع ملابسه ويكفن فقط . ولكن ذلك لزوم ما يلزم)!

ومن المواويل أيضا :

« ما أحلى حبـــايبى فى الحى محــــــلاهم
يا فانوس دهــــــب والريح طفــــاهم
ما أحلى حبــــــايبى فى الحى ما أحسنهم
يا فانوس دهـــــــب والريـــح كسرهم »

(يلا حظ عنف كلمة « طفاهم » وكلمة « كسرهم » وهــــذا لمزيد من جلب الألم ولارتفاع الصريخ والعويل وقـــد تتمايل النسوة وراء المعـــددة وبدلا من كلمة « الله » التى تقال للاستحسان ، يقـــــلن « يا أختى » أو « يا أخـــويا » للاستحسان ولهياج المعـــددة أكثر) .

ومن اقـــوالها ايضا :

« يا أمـــــــــه يا طـــــــــرحتى الزيتى
اخـــويا القـــاسى ما تحننـــــوا الا أمى
نص الليالى تقـــــوله خيتـــــك يا ابنى
متهورة يا أمة والقهر طلــــــع على وشى
وخـــلا خلى البـــال يا أمة ما يشـــوفنى
يا امـــــــة دا البخـــت لمــــــا مـــــال
كمـــــــا مـــــــا السرج ع الخيــــال
والله ان شيلونى يا أمة حمل الجمال لأشيل
وعيب يا أمة ان قلت حمــــل تقيــــل

ان شيلوتى يا أمة حمـل الجمال لأمشى

وعيب على يا أمة ان قلت مقـدرشى »

(يلاحظ كم هنا تشتعل النسوة هياجا وحزنا لطما وكمدا عندما يسمعن ذلك عن الأم وهى بطبيعتها مثال الحنان والعطف دائما) .

وهـذا هـو دور « المعـددة » وصناعتها والعجيب هو استجابة النسوة لكل ما تقوله ويرددن وراءها النحيب والتشنج كفرقة الكـورال أو الكومبارس .

(جـ) الأربعـــين :

بعـد مرور أربعين يوما على وفاة الميت سواء رجلا كان أو امرأة ، تبدأ طقوس من نوع جـديد هى طقوس الأربعين . حيث يتجمع الرجال مستمعين للقرآن . والنسوة مستمعات للقرآن فى مكان منفصل عن الرجال تعظهم مقرئة القرآن نفسها . ويتجـدد الحزن والبكاء وأحيانا كثيرة خاصة فى الريف تعـود « المعـددة » من جـديد لتجـدد « سيموفونية » البكاء والعـويل .

(د) زيارة المقـابر :

عقب وفاة الميت سواء رجلا أو امرأة ، نجـد أهل المتوفى والمعارف والأحباء « وأولاد الحلال » المتطوعين من النساء يزرن المقبرة كل اثنين وخميس من كل اسبوع . يوزعن أقراص من العيش « قرص » وبلح مجفف وفاكهة وما جادت به الأحوال الاقتصادية لأهل المتوفى . يوزعن تلك الأشياء على المحترفين من ممثلى أدوار الشحاذين ترحما على روح المتوفى وفى بداية الأسابيع الأولى من الوفاة تستمر هـذه الظاهرة مع بعض الحزن المترجم الى لطم وعـويل وصراخ .. ثم يبـدأ العـد التنازلى فتقـل الزيارات وتقتصر على أوائل الشهور العربية وفى الأعياد والمواسم .

ومن المفارقات الغريبة أنه خارج وداخل أسوار أى مدفن عام تجـد الباعة على الأبواب معهم رق أو « تار » وطبلة وقلل « وشخاليل » تشتريها النسوة المحمرة أعينهن بالدموع عقب خروجهن من تلك الزيارة للمقابر .

ولنا ملاحظة أن تلك الطقوس من العادات المتعلقة بالوفاة تمارس على النحو الذى ذكرناه سواء بين المسيحين والمسلمين مع بعض الاختلاف فى التراتيل والموايل أما الأدوار فهى ثابته .

وتعود أصول تلك العادات الى العصر الفرعونى ، من حيث أن عبء الحزن على الأموت كان ولا يزال على عاتق النسوة المصريات . ونطالع آثار تلك العادات فى الأسطورة الخالدة المعروفة التى تصور لنا مأساة أمام الشهداء عند آل فرعون « أوزوريس » . حيث كانت أختاه : « ايزيس » و « نفتيس » فى مقدمة المحزونين لمصرعه ، فقد رمز المصريون اليهما بحداتين نواحتين ، تركع الأولى عند رأسه وتضع يديها عليه ، وتركع الأخرى عند قدميه وتضع يديها على صدرها .. وتلك صورة مألوفة فى مناظر الجنازة التى رسمها القوم منذ الماضى السحيق ، فى قبور موتاهم ومن حولها صور لطوائف من النساء باكيات معـولات صائحات ، وقد حللن شعورهن ، وشققن جيوبهن ، وأرسلن دموعهن . وكان أقارب المتوفى ــ كما هو الحال اليوم ــ يذهبن الى المقابر فى المواسم والأعياد (الطلعة عندنا اليوم) ومعهم القرابين لتقديمها (رحمة) على أرواح الموتى . ومن العجيب أن كلمة الطلعة هى ترجمة للكلمة المصرية « برت » التى تحمل نفس المعنى . كما أن كلمة رحمة هى الأخرى ترجمة للكلمة المصرية « حتب » . أما كلمة نور فتشير الى العقيدة المصرية القديمة بتمنى خروج أرواح الموتى من القبر المظلم الى ضوء النهار . ولاستدعاء هـذه الأرواح كانت تقدم اليها القرابين فتخرج من ظلام القبر الى نور الشمس للتمتع بهـذه القرابين هكذا ما زال الحاضر يقبع فى ثنايا الماضى .

ويؤكد استمرار الحزن بعامة ما جاء فى آيات الكتاب المقـدس :

« طـوبى للحزانى .. لأنهم يتعزون » ..

(مت ٥ : ٤)

« الحزن خير من الضحك لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب » ..

(جا ٧ : ٣)

« وكمل له أربعون يوما .. لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين .. وبكى عليه المصريون سبعين يوما » ..

(تك ٥٠ : ٣)

« الذهاب الى بيت النواح خير من الذهاب الى بيت الوليمة ، لأن ذلك نهاية كل انسان والحى يضعه فى قلبه » ..

(جا ٧ : ٢)

« فانزعج الملك وصعد الى علية الباب وكان يبكى ويقول هكذا وهو يتمشى : يا ابنى ابشالوم يا ابنى يا ابنى أبشالوم يا ليتنى مت عوضا عنك يا أبشالوم ابنى يا ابنى » ..

(٢ صم ١٨ : ٣٣)

« يا ابنة شعبى تنطقى بمسح وتمرغى فى الرماد . نوح وحيد اصنعى لنفسك مناحة مرةلأن المخرب يأتى علينا بغتة » ..

(أر ٦ : ٢٦)

والملاحظ انه قد ذكر الموت بصوره وأنواعه فى مواضع متعددة فى أسفار الكتاب المقدس واصحاحاته ، فنجد ذكره فى الآيات المتعلقة بالموت الطبيعى (٦٣ مرة) وبما يسمى بالموت الروحى (٢٩ مرة) وبما يسمى بالموت الأبدى (٤٣ مرة) وبموت المسيح (٥٦ مرة) وبموت القديسين (٤٢ مرة) وبموت الأشرار (٤٤ مرة) وبالموت العقابى (٢٠ مرة) ، وبالموت الجسدى (٦ مرات) وبالموت للخطية (٤ مرات) فضلا عن آيات أخرى تتعلق بموضوع الميت (٢٤ مرة) أى أن الموت بأنواعه وصوره قد ذكر فى الكتاب المقدس (٣٣١ مرة) .

وتعاليم الاسلام واضحة فى شأن عادات الموت السابق ذكرها :

— عن أحمد ومسلم قال ص.ع (النائحه اذا لم تبت قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) .

ـ عن ابو داود قال ص.ع (لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار) .

ـ عن زيد بن أرقم قال ص.ع (ان لله تعالى يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنازة) .

وفى تعاليم الاسلام يجوز للمراة أن تحـد على قريبها الميت ثلاثة أيام ما لم يمنعها زوجها . ويحرم عليها أن تحـد عليه فوق ذلك الا اذا كان الميت زوجها فيجب أن تحد عليه مدة العدة (كما رواه الجماعة : أربعة اشـهر وعشر) .

ـ وعن الترمذى عن أم عطية أن النبى ص.ع قال : (لا تحـد المراة على ميت فوق ثلاث الا على زوج فانها تحـد عليه أربعة أشهر وعشرا ولا تلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب (بروديمانية) ولا تكتحـل ، ولا تمس طيبا ولا تختضب ولا تتمشط الا اذا طهرت ، تمس نبـذة (قطعة) من قسط أو أظفار (نوعان من العود الذى يتطيب به) .

والحزن هنا ، اى حزن المراة ، يعنى ترك ما تتزين به من الحلى والكحل والحرير والطيب والخضباب ويقع عبؤه على عاتق المراة مدة العدة من اجل الوفاء للزوج ومراعاة لحقه .

ورغم ذلك نجـد المراة تلبس سوادا (علامة الحزن) على اقاربها وعلى زوجها وخصوصا أبنائها مدى الحياة (حياتها) فى أحيان كثيرة بل أن هـذا هـو الشائع بين المراة المصرية .

بذلك نكون قـد وفينا عادات الموت التى تقرب من حـد التقاليد فلا تخلو أسرة مصرية من مثل هـذه العادات ونقول أنها تقرب من حـد التقاليد لأنها عمل متكرر قـد تتبع فيه نفس الأفعال المـأخوذة عن الغير والمقلـدة وفيها التبعية المطلقة .

ثالثا ـ زفـة العريس و « العروس » :

أعقبنا عادات الوفاة بزفة العريس مباشرة ، فيرتبط الحزن والفرح ارتباطا غريبا فى المجتمع المصرى المعاصر يعبر عنـــه الأنشودة المصرية المعـاصرة :

(اذا حزنا ... نحزن مـوت
واذا ضحكنا ... نضحك موت
واذا فرحنـا ... نفرح موت
ايه حـكاية الموت معـانا ؟
يا ترى هى صـــــدفه) !

الحقيقة أن الأمر ليس صدفة ، ولكن كما قلنا فان الموت مرتبـــط بالشعب المصرى كقيمة اجتماعية وخاصة فى حياة المراة المصرية ، حتى أن الفرح نفسه ليغالى فيه يشبه بالموت أو يقترن به « فرحان موت » . ونسمع أيضا : « احبك موت » . وسوف نوضح دلالة هــذه الظاهرة فى فصــل منفصل وهــو الخاص بسيكولوجية المراة المعاصرة من خلال عاداتهـــا وتقاليــدها .

وعند دراستنا لعادة زفـة العروس نذكر على الهامش أن المجتمع المصرى المعاصر فى ضوء التراث الثقافى المصرى ، أن جسم المراة كله او بعضه له حساسية معينة لدى المصريين المعاصرين من الرجال ، ورغم ذلك كثيرا ما نلاحظ أن الرجل يستمتع باستماعه لألفاظ تمجد جسد المراة وتتغنى به وتعريه تعرية فاضحة . من هنا يبرز تناقضا واضحا بين الظاهرتين . فكثيرا ما نسمع تعبيرات مثل :

« أوعى المحل » « ده ستة تخينه قشلة » تقال للانثى السمينه .

« يا أبو سنه دهب لولى » للانثى الجميلة .

« يا أرض أحرسى ما عليك » للانثى الجميلة .

« امراة لهـــا عرقوب » للانثى الرفيعة .

« يسلم اللى عبا الجميل » للانثى الحامل .

وزفة العروس ، قـــديمة منذ عهد الفراعنة الأوائل ، كانت تأخـــذ شكل الاحتفالات المتواصلة مثل « ليلة الحنة » والمرور فى المواكب واقامة الأفراح ودق الطبول .

اما فى مجتمعنا المصرى المعاصر وخاصة فى احيائنا الفقيرة (٨٥٪ من تعـــداد مصر) استحدث الرجال زفـــة ترجع اصولها الى التراث المصرى القـــديم . مع تنويعات جـــديدة فى الكلمات .

وسوف نذكر بعض ما يقال فى هـــذه الزفـــة وسوف نعلق عليهـــا بما يسمح السياق وبما لا يخل بمضمونه .

جـــزء من زفـــة ١ :

ادحرج واجـــرى يا رمـــان	وتعالى على حجرى يا زمان
يا منفلـــــوطى يا رمـــان	من جـــــوه لولى يا رمان
ملى البقـــــوطى يا رمـــان	وادحرج واجـــرى يا رمان

(نلاحظ هنا ان كلمة « رمان » هـــذه تعنى ثدى المراة ويلاحظ هنا معنى الدلالات الجنسية الواضحة وراء هـــذه الكلمات خاصة « تعالى على حجرى » وهو الجزء الأسفل من الرجل) .

وليس امامنا الا أن نسجل ـــ قبل استعراض زفة ٢ ـــ أن لاحياء فى علم وان أمانة البحث العلمى تتطلب منا أن نسجل ـــ ما أورده الباحثون الحقليون ـــ لتوضيح صلب موضوعنا وهو البحث فى سيكولوجية المراة المصرية المعاصرة من خلال مثل هـــذه العادات .

زفـة ٢ :

السكس بان والشـــعرية
يا أمه ناس متغاظــه ومهريه
حط أيده على شــــعرى
يا حبيب قلبى تحت شـوية

* * *

حط ايده علـــى أورتـــى
يا أمـــــه يا أورتــــى
يا حبيب قلبى تحت شـوية

* * *

حط ايده علـــى بقـــى
يا امــــه يا بقـــى
يا حبيب قلبى تحت شـوية

* * *

حط أيــده على بذى (ثديى)
يا امــــه يا بـــذى
يا حبيب قلبى تحت شـوية

* * *

حط ايده ع الصـــــوة
وده هـــد القـــوة
يا حبيب قلبى تحت شـوية

* * *

نكتفى بهــذا القــدر من زفــة ٢ لأن ما بعــد هــذا لا نسمح ولا يسمح لنا القلم ان نسجله فهو يستعرض اشــد اعضاء المراة حساسية .

والواضح هنا الاستهانة المتناهية بأعضاء المرأة وأكثرها حساسية وقــدسية رغم تزمت الرجال وحميتهم الفارغة التى يبدونها ازاء «حريمهم» او سيـداتهم .

زفــة ٣ :

يا مقطع يا قميص النـــوم
يا مبهــدل شــبان اليــوم A
حط شــعره على شــعرى
وده طــير من عينى النـــوم

* * *

يا مقطـــع يا قميص النــوم
حط أورتــه علــى أورتــى B
وده طــير من عينى النــوم

* * *

حط خــــده على خــــدى
اهو طــير من عينى النـــوم C
يا مقطـــع يا قميص النــوم

* * *

يا مجنـــن شــبان اليــوم
حط بقــــه علــى بقــــى D
وده طــير من عينى النــوم
يا مقطـــع يا قميص النــوم

* * *

حط بطنــه علــى بطــنى
واهــو طير من عينى النــوم E
يا مقطـــع يا قميص النــوم
يا مبهــدل شــبان اليــوم

* * *

حط عنيه علــى عنيه
واهــو جالى النـــوم F
يا مقطـــع يا قميص النــوم
يا مبهــدل نســوان اليــوم

* * *

نكتفى أيضا بهـذا القـدر من زفـة ٣ ومن الواضح كم هى صراحة التعـابير التى تتناولهـا والايمـاءات الجنسية الصريحة المسـتعرضة لمراحل جنسية بدءا من المداعبة الى الوصول مرورا بحالة الأورجازم حتى مرحلة الهبوط اى ان هـذه الزفة تستعرض بشكل تلقائى وقبيح ورخيص اشياء مقـدسة وهى الممارسة الجنسية كاملة . ولا نغالى أنها تعبر بشكل مطرى عن المراحل التى تمر بها العملية الجنسية كاملة .

١ ـ مرحلة الاثارة Excitement

وتشملها المقاطع A-B-C-D من الزفـة المذكورة .

٢ ـ المرحلة المرتفعة Platean

وتشملها المقطع E من الزفـة المذكورة .

٣ ـ مرحلة الأورجازم Orgasm ويتبعها مرحلة الهبوط Resolution

ويشملها المقطع F. من الزفـة المذكورة .

ويلاحظ على هـذه الزفـة بشكل عام أنها تقال على لسان المرأة والرجـل معـا .

ويلاحظ أيضا استخدام أسماء مثل عيسى وموسى اشارة الى أعضاء التناسل الأساسية لدى المرأة والرجل .

وسوف نناقش دلالة ذلك فى المبحث الخاص بالتحليل السيكولوجى .

زفـــة ٤ :

يااللـــــى ع الترعـــــة
حـــــود ع المـــالح
شـــعرى بيوجعـــنى
مــــــن ايـــــه ؟ !
من لعبك فيه ليــلة امبارح

* * *

اورتـــــى بتوجعنـــــى
مــــــن ايـــــه ؟ !
من مسكك فيها ليــلة امبارح

* * *

خـــدودى بتوجعنـــى
مــــــن ايـــــه ؟ !
من عضك فيها ليــلة امبارح

* * *

شـــفايفى بتوجيعنـــى
مــــــن ايـــــه ؟ !
من مصك فيها ليــلة امبارح

* * *

صـــــدرى بيوجعنـــى
مــــــن ايـــــه ؟
من تفعيـــص امبـــارح

* * *

جنبـــى بيوجعنـــى
مــــــن ايـــــه ؟
من نـــوم ليــلة امبـــارح

* * *

ويلاحظ على الزفـــة ٤ التقاء العـــذب « الترعة » بالهياج الشديد « المـــالح » والمقصود به البحر بما عرف عنه من أمواج وهياج . أى التقاء

النقيضين والاشارة الى ان المراة هى الهائجة والمحتاجة الى من يخفف من هياجها وهــو الرجل . ويلاحظ ايضا انها (الزفة) لم تترك شيء فى جسد المراة له دخل بالعملية الجنسية الا وتعرضت له ، ونحن هنا نتكلم بصدد المراة ، فبدءا من شعرها الى جبينها الى شفتاها ووجنتاها الى صدرها الى وضع من اوضاع الممارسة الجنسية الغير تقليدى وهو « الجنب ».

* * *

لقـــد استعرضنا اربعة صياغات « للزفة » من وسط عـــديد من الصياغات ولا نغالى اذا قلنا اننـــا اخترنا اخفها معانى والفاظ ، فهنـــاك صياغات اخرى تتغنى بأعضـــاء المراة الجنسية بشـــكل صريح وفاضح جـــدا .

وبعـــد استعراضنا هـــذا ، نصل الى شكل « الزفة » نفسها :

يقف « العريس » دائما فى بدلة كاملة مرتدى رباطة عنق ، ممسكا فى يده « العروس » مرتدية ثوب الزفاف (لونه ابيض فى معظم الأحيان) الطويل وفوق راسها ما يسمى « بالتاج » وهو ذو لون ابيض وعلى هيئة طوق غير كامل او دائرة مكسور وترها محلى بورود صناعية ، مصبوغ وجه العروس بالوان صارخة (مكياج) حسبما اتفق وحسبما كان مستواها الاقتصـــادى (وهـــذا ينطبق على نوع قماش فستان الزفاف وبدلة العريس ايضا) .

يقفان معا وحولهما مجموعة من الأفراد والرجال على هيئة دائرة ، يتزعمها احـــد الأفراد يقف داخل الدائرة امام العروسين يحمله شخص آخر فى معظم الأحيان ويبدأ فى ترديد الزفـــة الشطرة تلو الشطرة ويرد وراءه الآخرون فى الدائرة ممسكين بأيدى بعضهم متحركين حركة شبه راقصـــة (رفـــع رجل وخفض الأخرى والتبادل) داخـــل نطـــاق (وتر) الدائرة . وكلما تعب المردد صعد بدلا منه آخر من المجاملين . ودائما ما يحاول الكل المجاملة وقـــد يصحب ذلك الضرب تبعا للرتم على الدف او الطبلة . كل هـــذا والعريس والعروس واقفان يستمعان بهدوء شديد وفرحة غامرة لمـــا يقال امامهما !! وتتعالى زغاريد النساء متزوجات وغـــير متزوجات

أقارب وغير أقارب وقـــد تستمر الزفـــة فى المتوسط ما بين العشرين دقيقة والثلاثين . وفى أحيان كثيرة يقف العروسان على « ســـــجادة » مصنوعة « نشـارة » الخشب ملونه ترسم بها أرضية الشـارع التى يقف عليها العروسـان وهى دائما قريبة من مكان « الفرح » .

وقـــد تكتمل طقوس الزفة برفع المشـاعل (عبارة عن قطعة من القماش مبللة بالكيروسين مشتعلة مرفوعة على « خشبة » طويلة) حول العروسين وقـــد يتبارى البعض فيضع الشعلة فى فمه ثم يخرجها بحركات بهلوانية . ولا مانع من أن يؤجر أحـــد الأفراد المحترف « للزفـــة » ويتقاضى اجرا يقال عنه « نقطة » (أى هبة وليس اجرا متفق عليه ولكن ما يمكن أن يجود به الآخرون عليه مجاملة للعروسين) .

وقـــد يقوم العروسـان فى أحيان كثيرة باستكمال « الزفـــة » : حيث يركب العروسان بعـــد كل الذى سبق عربه معهما اثنان أو اكثر من اقاربهما أو أصدقائهما وتتبعهما سيارة أو اكثر (مؤجرة او مملوكة) ضـــــاربين « كلاكسـات » (نفير) العربات ضربا متواصلا منغم . ويلف الركب العديد من الأحياء . ليصل أخيرا الى احد المقامات لأحد أولياء الله (الصالحين) ويلف الركب سبع مرات حول المقام أو المسجد الذى به المقام تيمنا وبركة بليلة سعيدة أو بائسة حسبما شاءت ظروف تلك الليلة المرهقة . ويعود الجميع مرة أخرى أما للفرح وأما الى منزل الزوجية .

رابعا — الايمــان بالأوليــاء :

من الملاحظ أن زيارة قبور وأضرحة الأولياء الصالحين والقــديسين لا يقصد بها فى الغالب ، الصلاة فى رحابهم أو الدعاء لهم أو توزيع الصدقات أوالوفاء بالنذور فحسب ، بل أنه فى الغالب فان الزيارة تتم للشكوى اليهم أو طلب قضاء حاجة منهم وقــد يتم ذلك عن طريق ارســـال الرســـائل للأولياء كما سنوضح الآن .

والملاحظ ان زيارة الأولياء والقــديسين هى عادة لهــا جــذورها فى الواقع المصرى القــديم (الفرعونى) وأن معظم الرسائل التى عصر عليها مرسلة للآلهة الفرعونية كانت مرسلة من النساء فعلى سبيل المثال :

كتبت الأرملة « أرتى » Irti رسالة الى زوجها المتوفى « سى انختبتــاح » Se'ankhenptah فى عهد الأسرة السادسة .. ويبدو أن هــذه السيدة كانت تحت وطأة محنة عظيمة .. وكان الزوج المتوفى أبا لابنها « اى » [١٧] وقــد كتبت الأرملة أرتى الرسالة أو أملتها على كاتبها ومع ذلك فان الابن اليتيم « أى » كان متضمنا فيها .. والزوج أو الأب المتوفى كان كما يبدو فى حياته المحامى الطبيعي لهما . والملاحظ أن الرسالة تتضمن عنصرا واضحا من المرارة فهى تشتكى الزوج وتؤنبه على سلوكه الذى يختلف عما كان عليه وهــو فى حياته أى أن الزوج المتوفى لا يفعل شيئا ليزيل المحنة التى تعانى منها هى وابنها فى الوقت الحاضر وكان على العكس من ذلك وهــو فى حياته .. كان المحامى الطبيعى لهما .

وتقول الأرملة « أرتى » فى رسالتها :

« أنها الأخت تتحــدث الى أخيها ، وأنه ابن يتحــدث الى أبيه .. أرجــو أن تكون منزلتك منزلة الذى يعيش حقا ملايين المرات .. الله الــه الغرب يمــد لك العون حسب مشئيته .. الله « أنوبيس » Anubis اله الموتى يمــد لك العون حسب مشيئته » .

واضح هنا ان الأرملة تشكو الزوج الى الاله « أنوبيس » .

وكتبت الأرملة « ديدى » Dedi رسالة على وعاء مصنوع من الفخار الأحمر الخشن تلوم فيها زوجها القسيس المتوفى « انتف بن أيو ساخت » فى خلال عهد الأسرة الثانية عشرة أو قبل ذلك بقليل .. ولعل مضمون هــذه الرسالة يلخص فى الشكوى من أن خادم الأسرة مريضة والزوج المتوفى قــد أهمل فلم يمــد لهــا يد المساعدة ليشفيها .

واضح أن الأصل التاريخى — مما سبق — لزيارة الأولياء وارسال الشكاوى لهم يرجع الى العصر الفرعونى .

واليوم وفى الربع الأخير من القرن العشرين نجــد نساءنا يذهبن الى اضرحة الأولياء لعــديد من الأسباب :

(أ) الدعاء من اجــل التشفى من الغير :

تتوجه السيدات فى جلال (من وجهة نظرهن) من السواد الى أضرحة الأئمة يطلقن الدعوات على الغير سواء « الضرة » (الزوجة الثانية) أو « رجلها » (زوجها) مثل :

— بحقك **يا ست يا أم هاشم** « تحيلى عليه اللى ميقــدرشى عليه » .
تقال ضــــد الرجل الذى تزوج على أمرأته طلقها أو كان مرتبطا بها وتركها .

— سيد العرب **يا سيد يا بدوى** بحق بركتك : « لا تنول ولا تطول ولا تدادى ولا تنادى طــول عمرها » .
تقال ضــــد أمرأة بمعنى الا تنجب مدى حياتها .

— **يا سيدنا يا حسين** يا شهيد المسلمين : « تبتليه بداء فى جسمه يبــقى عجبــه لخلقـــه » .

ـ **يا أبو العباس يا مرسى** اسمع منى : « كل من قطعتنى من جـــوزى اقطعهاً منٌ ولدها وأستعين بالله عليها » .

تقال ضـــد من « تخطف » رجلا من أمراته .

ـ **يا سيد يا دسوقى** بحق جاهك : « استعين بالله عليها لا تخلف ولا تتلف طـــوال حياتها » .

تقال ضـــد امراة تسببت فى الحاق ضرر بأخرى .

ـ **يا امام يا شافعى** بحق مقامك الكبير : « تبليه بسل يأكل جتته » .

تقال ضـــد رجل تسبب فى ايذاء امراة .

ـ **يا سيدى يا بصرى** بحـــق قربك من الله : « تتفسر فيـــه وتشاركه فى عمره وتخبله بالداء فى جميع جسمه أو يلقوه مقتول » .

تقال ضـــد رجل تسبب فى ايذاء امراة .

ـ **يا ابو الدردار (الدرداء)** يا ضـــد العـــدوان « ما ترجعه سالم ولا غانم وترجعه سافف وطافح » .

تقال ضـــد رجل تسبب فى ايذاء امراة .

ـ **ياست يا طاهرة** بعـــد ذكر البسملة اسمعينى لوجه الله : « افضحيها فضيحة لا تسر عـــدو ولا حبيب » .

تقال ضـــد امراة افضت سرا لأمراة اخرى .

(ب) الدعاء من أجـــل جلب الخير :

بنفس التوجه لنفس الأولياء ، تتوجه النساء داعيات لمن أحببنه **مثل :**

ـ يجعل لسانه سكره وكلامه جـــوهره .

ـ يفتحها فى وشـــه ويرزقـــه برزقنـــا .

ـ عوض على اقيـــد صوابعى شمع (اى اجعلنى انجب) .

ـ سهلة واخلف عليـــه بالحلال .

ـ استره ما تفضحه .

ـ يجعل مال الدنيا فى ايديه .

ـ عوض عليـــه بالخلف الصالح .

ـ يحط ايده فى الخسرانه يلقيها كسبانه .

ـ فك كربه وامنع عنه البلا وولاد الحرام .

ـ اهديه وابعده عن طريق السو (الطريق السيء) .

ـ يا مسهل كل عسير سهلها له واديه بأيديك الأثنين .

ـ فك عقدتها وأرزقها بابن الحلال .

ـ اطعمـــه ما تحـــرمه .

ـ يهديك ويرضيك ويحبب جميع ما خلق فيك .

ـ ترجعـــه ســـالم غانم .

ـ يكفيك شر اللى ما تقـــدر عليه .

ـ اللى يبصله بعين رديه ما تنوله غير الأذيه .

ـ انصره على من يعـــاديه .

ـ يحبب فيك خلقه حتى الحصى فى أرضه .

(د) رسائل وشكاوى للأئمة والأولياء :

وكما قلنا من قبل أن عادة ارسال الشكاوى والرسائل للأئمة والأولياء ، ترجع أصولها الى العهد الفرعونى ، فاننا نجد المرأة المصرية المعاصرة وفى نهايات القرن العشرين ما زالت متمسكة بهذه العادة .

وسوف نستعين بالدكتور/سيد عويس الذى اختار عشوائيا عددا من رسائل مقروءة مرسلة الى ضريح الامام الشافعى .. فسوف نختار بعضها للعرض هنا ، نقلا عنه :

رسالة ١ :

تقول أم محمد بنت أمعلى (أم على) التى تعذر التعرف على مكان اقامتها فى رسالتها التى لم تكتب فيها تاريخا ، بعد ذكر البسملة ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« حضرة المحترم سيدى الامام الشافعى قاضى الشريعة الشكوى الى الله سر اليك يا قاضى الشريعة يا أمام يا قاضى الشريعة ياحا (يا حق) يللى مبتحكمشى الى (الا) بالحــا (بالحق) أم محمد بنت أمعلى (أم على) شكيا (شاكية) الى (الذى) ظلمها لحضرتك الى (الذى) فتح سندئها (صندوقها) وخد مسفتها (مصوغاتها) تخلص منه أو منهه (منها) بمعرفتك من الى (الذى) ظلمها بمعرفتك تخلص منه .. والله نبعتلك البثرا (البشرى) فى الخطاب ..

وسلام عليك ورحمته وبركاته .

رسالة ٢ :

تقول فاطنه (فاطمة) بنت ... التى تعذر التعرف على محل اقامتها فى رسالتها بتاريخ ٢٩ أبريل عام ١٩٥٧ الموافق ٢٩ رمضان عام ١٣٧٦ هـ بعد ذكر البيبملة ، موجهة خطابها إلى الامام الشافعى :

« يا سيدى يا امام يا شفعى (يا شافعى) يلى شرعت بين أملك وأبوك اشرع بين فطنه بنت . (مرسله الرساله) وبين جمعه بن ... والسيد ابن ... اشرع بينى وبينهم بالحق لأنهم أهانونى آخر اهانة وسبونى واشتكونى أنا أرملة ليس لى من معين غيرك وغير ربى (ربّ) السموات والأرض ومعهم سلوق بنت ... وفطنه (فاطمة) بنت سلوق وكل من يعتدى على ويهنى (ويهيننى) بالله عليك تظهر لى حقى أنا أصصدتك (قصدتك) وأصدت (قصدت) ربى فى حقى ..

مع هذا هم الظلمة والمظلومة أنا فطنة بنت .. (مرسلة الرسالة) أنا المظلمة (أى التى أتظلم) بالله عليك تظهر لى حقى لأنى سبق أن أرسلت لك ولم تخلص لى حقى لأنهم أهانونى وحبسونى وعرونى واذا كان يخلصك كده يبقى بلاش تشرع بين الناس بالله عليك تخلص لى وبالله عليك تشرع بين محمد فؤاد بن .. وزوجته بنت .. وبين الظالمة اعتماد بنت .. وبين من يعترض على المظاليم محمد وروحية وبين الظالمة هى اعتماد بنت .. ومن يظلمهم بالله عليك تظهر لنا حقنا نحن قاصدين قاضى الشريعة هو سيدنا الامام الشافعى الذى يحكم بين الناس وبعضها ولا نقول غير ذلك أبدا » .

رسالة ٣ :

تقول شربات بنت .. تعذر التعرف على عنوانها فى رسالتها غير المؤرخة دون ذكر البسملة أو الحمد لله أو الصلاة والسلام على سيدنا محمد ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« الى حضرة قاضى الشريعة الامام الشافعى تحية وتعظيما أقدم لكم شوكتى (شكواى) منى لله واليكم فى عبد اللطيف بن .. زوجى وهذه الشكوة (الشكوى) مسبه علنى أولا أن هذه المسبه عامل بأن هذه البنت عطيات (يلاحظ أن الاسم قد كتب بلون الحبر العادى مع العلم بأن جميع ألفاظ الرسالة قد كتبت بالقلم الكوبيا) ليست بنتى (أى ابنته) فهل يصح فأنت تنظر هذا الأمر ونحن منتظرين الاجابة بسرعة

وكم كررنا هـــذا الأمر وأقل (وأقول) لك (له) أن هـــذه بنتك ليست بنتى ..

ملحـــوظة :

ويوم ٩ رمضان عام ١٩٥٦ (١٣٧٥ هـ) الى غاية رمضان عام ١٩٥٦ (١٣٧٥ هـ) كان وقع على يمين طلاق سابقا (سابق) وفى يوم رمضان حرم بأربعة مذاهب من الأم والأخت وان حلل شيخ حرم بالألف وهل يصح لى ليبست لى ردة من هـــذه المدة (تقصد أنه لا يحل أن يردها زوجها بعد ذلك) وهل ان أعيش فى الحرام وأنا معى خمسة ولاية (تقصد بنات) واذا سبتهم (تركتهم) لأبوهم يلزمنى وزر واذا عشت يلزمنى وزر والأمر مفوض لله ولك يا صاحب هـــذا الضريح يا صاحب هـــذا المقـــــام الشريف انه عبد اللطيف (زوج شربات) ظلمنى ظلومة فى المنزل واتهمنى فى المعيشة لأنى انا مبذرة فيها بل هـــو آكل حقى وحق أولادى وماشى مشى لا يرضى الله ورسوله وآكل عرق أبى ومستغل الظروف معه وكل من (ما) يطوله منه يأكله ولا يعطه له هل يصح كده أمور الزوجية وهل هـــذا هو شرع ربنا ورسوله فأنا ارسلت لك هـــذه الشكوة (الشكوى) من طرف لأجل ترفعها لله والله سبحانه وتعالى يأذن لكم بالتصرفي وأرجو فى هذه الشكوة (الشكوى) أن تفرقوا بينى وبين هـــذا الرجل بالعـــدل والحق . والأمر مفوض لله وللامام قاضى الشريعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مقـــدمته لـــكم

من طرف شربات بنت .. فى حق عبد اللطيف بن ..

* * *

وسوف نكتفى بالرسائل الثلاث السابقة التى عصر عليها الدكتور/ سيد عويس من بين العـــديد من الرسائل بمقام الامام الشافعى .

ولنا هنا العـــديد من الملاحظات :

١ — أن ظاهرة ارسال الرسائل للموتى أصحاب المقامات (الأولياء) عـديدة لدرجة باتت تشكل ظاهرة ولجميع الأولياء وليس للامام الشافعى وحـده .

٢ — أن معظم مرسلى الرسائل من الاناث وخاصة اللواتي من اصول فلاحية او بروليتارية اوبرجوازية صغيرة وهن يشكلن معظم نساء مصر .

٣ — انه من الملاحظ انهن يعتبرن الأئمة هم الذين يقـومون بدون الوساطة بين الله وبينهن .

٤ — أن هؤلاء الأولياء ماتوا منذ آلاف السنين فعلى سبيل المثال فان الامام الشافعى — المرسل اليه الرسائل السابقة — مات منذ حـوالى ١١٦٢ عاما على وجه التقريب .

٥ — أن مرسلى الرسائل من النساء يرسلن رسائلهن الى الامام كولى من أولياء الله . وهم يخاطبون الامام ويخلعون عليه القاب التعظيم لأنه فى اعتقادهن شخص ذو تأثير ونفوذ عظيم ويؤثر على مصائرهـن فعندهن هـو « قاضى الشريعة » وهو (الحق) وهو (الشيخ الأكبر) وهو (أبومقام عالى) وهو (السيد والمولى) ... الخ .

٦ — تصور معظم النساء الشاكيات أن الولى لديه محاكمة تعقـد ويرفع قرارها الى الله الذى يصدق عليه .

٧ — أن مضمون الرسائل — التى أطلعنا عليها فى كتاب ادلكتور/ سيد عويس حـديث عن المراة المصرية المعاصرة (دراسـة ثقافيـة اجتماعية) والمرسله من النساء تنضـح بالانين والآلام والشكوى وتبرز المستوى من حيث المكانه الاجتماعية المنخفضة الذى تعيش فى ظله المراة .

٨ — أن هـذه العادة (عادة ارسال الرسائل الى الموتى من الأئمة والأولياء) استمرت منذ العهد الفرعونى حتى الآن . فمنذ قـدماء المصريين

ـ وكما قلنا من قبل ـ كان يطلب العون من « الآلهة التسعة المقدسين فى الغرب » أو من « اله الغرب » أو من « الاله أنوبيس » .

٩ ـ كذلك نجد فى العصر المسيحى أن العون كان يطلب من السيد المسيح والسيدة مارى العذراء ومن الملائكة ومن القديسين ومن الشهداء .

١٠ ـ وتستمر العادة سالفة الذكر فاننا نلاحظ استمرار طلب العون من الامام الشافعى والحسن والحسين والسيدة فاطمة والسيدة زينب وابو العباس المرسى والدسوقى ومن مارى جرجس عند المسيحين حتى يومنا هذا .

يتضح من النقاط التى ذكرناها فى أ ، ب ، ج أن الايمان بالأولياء هو عادة ما زالت مستمرة منذ عهود المصريين القدماء حتى يومنا هذا . وأن هذه العادة راسخة لدى الملايين من النساء المصريات وكثيرا ما نرى ـ كما يثبت الباحثون الحقليون ـ العديد من النسوة اللواتى يعشن جد الكفاف من نجوع وكفور مصر من وجهيها البحرى والقبلى يتكبدن مشقة السفر ومصاريفه المقتطعة بالضرورة من قوتهن ليأتين الى الأولياء شاكين أو داعين للشر أو الخير .

وسوف نتكفل فى الفصل الخاص بسيكولوجية المرأة المصرية بتفسير ذلك قدر المستطاع .

خامسا — النــذور :

ترجع عادة النذور الى العصور الوسطى حيث كانت سيطرة الكنسية لا محــدودة فى عصور الاقطاع ، ويعمل الكهنة والقــديسين فى خــــدمة الأمراء الاقطاعيين ، فكانت تمتلأ صناديق النذور كل عام بالنقـــود من البسطاء واكثرهن من النساء حيث شــهد هــذا العصر أبشــع انــواع الاضطهاد ضــد المرأة حيث كانت المرأة ســلعة تبــاع وتشترى . وكانت الكنيسة المنحرفة تفرض وتحرض على دفع النذور . طلبـــا للغفران أو لقضاء الحاجــة .

ولا زالت هــذه العادة مستمرة حتى يومنا هــذا مع اختلاف العصر . وتتعــدد صور النذور وتتلاحق على النحو التالى :

١ — عينيـــة :

مثل اضاءة الشموع بعــد شرائها .

٢ — نقـــدية :

على شكل دفــع مبلغ معين .

٣ — خـدمات مثــل :

(أ) كنس ضريح احــد الأولياء لمدة معينة .

(ب) تقــديم خــدمة معينة تتعلق بالضريح (ضريح الولى) أو بزوار الضريح .

٤ — طقــوسية :

كالصلاة (فى غير أوقات الفروض والسنة - والصيام فى غير وقته .

ودائما تكون النذور مشروطه ، فلا توفى الا حين قضاء الحاجة التى من أجلها أخــذت السيدة على نفسها عهدا بالوفاء بالنذور .

والنساء المصريات المعاصرات هن أكثر من يعــدن بالنذور وخاصة فى الطبقات المطحونه اقتصاديا .

وأكثر الحالات شيوعا التى تنذر فيها المرأة هى :

١ ــ حالات الاصابة بالعقم للسيدة نفسها .

٢ ــ اصابة الزوج بالعقم .

٣ ــ المرض الجسمى .

٤ ــ المرض النفسى .

٥ ــ من اجل حياة الأطفال .

٦ ــ من اجل نجاح الأبناء .

٧ ــ من اجل زواج احداهن من فرد معين ترغبه .

٨ ــ من اجل فك (الكرب) أى ازالة الهم والبؤس .

٩ ــ من اجل أعادة الزوج الذى هجر زوجته .

١٠ ــ زواج الابنه البائرة .

والحالات السابقة أو الامثلة السابقة كلها تقع تحت بند الأمنية الخيرة .

وهناك حالات اخرى تنذر فيها السيدة من أجل الشر فعلى سبيل المثال :

١ ــ الانتقام منزوج مخادع .

٢ ــ الانتقام من أخرى « خطفت » زوجها .

٣ ــ الانتقام من « امرأة » تسببت فى ليذاء سيدة اخرى .

٤ ــ الانتقام من رجل تعلقت به سيدة معينة .

وهكذا فان النذر لا يخضع — لدى سيدات مصر المعاصرات — لمعايير محددة بل هو مرة من اجل تحقيق أمنية خيرة ومرة من أجل تحقيق مصيبة لآخر أو أخرى .

وتنذر النذر من خلال تعبيرات شعبية تلقائية لها دلالتها التى سوف نمحصها فى المبحث الخاص بذلك . فعلى سبيل المثال يقال :

— وحياتك يا ست يا طاهرة لأقيد دستة شمع لو حققتى كذا .

(النذر هنا عينى) .

— ولما ربنا يبلغ المقصود لك الحلاوة (مبلغ معين) يا سيدى يا امام .

(النذر هنا نقدى) .

— و « أسيق » — أى (أمسح) — ضريحك يا حسين بالميه (الماء) والمورد .

(النذر هنا خدمات) .

— الله يقدرك للعمل الصالح يا امام يا سيدى يا شافعى وأصوم لك عشر تيام (أيام) .

(النذر هنا طقوسى) .

— واذا اتحقق المراد اصلى فى مقامك يا حسين يا سيدى يا شهيد يا قريب النبى يا حبيب عشر تيام (أيام) م (من) الفجر للعشا (للعشاء) .

(النذر هنا طقوسى) .

— لو انتقمتلى (انتقمت لى) لكنس الجامع والمقام (الضريح) والمعه (أجعله لامعا) .

(النذر هنا خدمات) .

— « فتـــة » عـــدس وفول نابت للغلابة يا سيدة يا طاهرة حلاوتك ان شـــاء الله .

(النـــذر هنـــا عينى) .

ويلاحظ أن معظم السيدات اللواتى ينذرن هن أيضا من ذوات الدخول المنخفضة واللواتى يحيين فى الأحياء الشعبية وفى كفور مصر ونجوعها .

ويوجـــد بكل مسجد به ضريح لامام صندوق يسمى صندوق النذور التى نعتبرها نحن رشاوى ، ذلك أن السيدة من هـــؤلاء تعتبر الامام ذو سلطان وذو شأن وله أمر ونهى .

وفى الأوساط البرجوازية الكبيرة كثيرا ما يكون — بل دائما ما يكون — النذر فى صورة نقـدية عالية . أو صورة عينيه باهظة التكاليف كذبح « عجـــل » مثلا بالمقارنة (بفتة العـــدس) .

ونذكر هنا أن عادة النذر وان كانت اكثر انتشارا فى الأسر الفقيرة الا انها أيضا منتشرة فى الأوساط البرجوازية الكبيرة وتقوم بها السيدات أيضـــــا .

سادسا ــ الايمان بالسحر :

لم تسعفنا المراجع بالبحث عن اصل عادة السحر والايمان بهــا ، بسهولة ولكن تمكنا أخيرا من العثور على أحــد المراجع[1] الذى يتحدث عن ورقة بردية سحرية من العصر المسيحى فى القرن الرابع أو القرن الخامس الميلادى ، أنه يذكر على الرغم من أنها ورقة سحر ، فهى تتضمن طلب المعــاونة والمساعدة من السيد المسيح ومارى العــذراء ومن كــل ملائكة الطبقة العليــا ميكائيل وجبرائيل وسوريال ومن زكريا القــديس ومن الشهداء فضلا عن أحــد المتوفين « الذى يوجــد فى كنف الالــه » . والملاحظ أن ورقة السحر المذكورة قــد كتبت ضــد شخص يحتمل أن يكون اسمه يعقوب وهى تتضمن ما يلى :

« يعقوب + + + يا ميكائيل ويا جبرائيل ويا سوريال (من ملائكة الطبقة العليا) ان المنجلة ستنقض من السماء فتــدمر بالاصــابة بمرض الجــذام ، يا أب شتيير ؟ الذى يوجــد فى كنف الاله (أى الشخص المتوفى) دعه ينزل (فى القبر) وهو مصاب بمرض الجــذام . خمسة آلاف وأربعماية شهيد (دعوه ينزل) وهو مصاب بمرض الجــذام .

يا مارى التى ولدت المسيح ، دعيه ينزل وهو مصاب بمرض الجذام يا سوريال ويا جبرائيل فلينزل وهــو مصاب بمرض الجــذام . انهض أنت غضبان تعانى نهاية معــذبة .. سيدى المسيح دعه ينزل وهو مصاب بمرض الجــذام + + + ... ، دعه ينزل الى نهاية معــذبة عند الأب شتيير (؟) يا يعقوب » .

وفى ظهر ورقة البردى نجــد :

---

1 — Roger Râmondon, " Un Papyrus Magique Copte ". Extrait éu Bulletin de Institute Français d'Archéologue Orientale, T. L. 11, Le Caire, 1953.

« دعه ينزل الى نهاية معــذبة .. يا سيدى ، دعه ينزل وهو مصاب بمرض الجــذام » (*)

وقــد كانت الرسائل السحرية تكتب فى العصر المصرى القــديم ، عادة ، على وعاء أجــوف أسطوانى الشكل يشبه « السلطانية » وهــو مصنوع عادة من الخزف أو الفخار . وقــد كانت تكتب هــذه الرسائل على ورق البردى أو على ورق مصنوع من الكتان اذا كان مضمون الرسالة طــــويلا (١) .

ونعتقد ان هــذا هو الأساس التاريخى لعادة السحر .

وتنتشر الى يومنا هــذا عادة السحر واكثر المعتادين على ممارستها أو السعى وراء السحر هن النساء المصريات المعاصرات .

ونذكر على الهامش اننا اضطررنا للقيام بدور الباحث الحقلى ، ذلك لافتقادنا المراجع التى تتحــدث عن صفات وجــو السحر بوجه مفصل ، فنزلنا لحضور مراسم السحر مرتين : مرة لدى أمراة ، ومرة لدى رجل ، وتقتضينا امانة البحث العلمى ان نذكر أننا قمنا بدور تمثيلى مدعين أن لدينا مشكلة لنستطيع الدخول ، وكانت المرأة الساحرة فى احد أحياء الاسكندرية الراقية ، والساحر الرجل فى أحــد احياء الاسكندرية الفقيرة ، ونذكر أننا فى المرتين وجــدنا ما لا يقل عن عشرين سيدة كل منهن فى انتظار دورها للدخول لدى الساحر او الساحرة .

واستطعنا ان نحصل على :

(أ) مواصفات الساحر أو الساحرة .

(ب) الجو العام للمكان الذى تمارس فيه طقوس السحر .

(أ) مواصفات الساحر او الساحرة :

١ — الســـــاحر :

فرد لا تستطيع بسهولة أن تميز هل هـــو شاب أم كهل أم « بين بين » Border-line . أى أنه يصعب تحــديد فترته العمرية : فهو ملتحى وصوته متنوع مرة كأنه « صـــدى صوت » ومرة ذو طبقـــة عاليه ومرة ذو طبقة منخفضة ومرة أنثوى ومرة رجولى ، ملابسه فضفاضة لا توضح هل هـــو نحيل أم العكس ، لحيته لا تبين ما اذا كان وجهه مجعدا أم العكس ايضا . ولا نستطيع أن نحدد ما اذا كانت لحيته مصطنعة أم أنها حقيقية ، كذلك صوته الذى نجزم أنه مصطنع .

يعلق فى رقبته العديد من « السبح » الطويلة . هـــو دائما جالس فلا تستطيع معرفة اهـــو قصير أم طـــويل .

له قـــدرة مدربة تدريبا جيدا وصعبا على تلوين وتنويع صوته كما قلنا . يتصنع حركات توحى لمن أمامه من « العاديين » أنه ذو قـــدرات مثـــل حركة عينيه السريعة جـــدا ، ثم الثابته ، ثم الجاحظـــة العـــادية اللون ، ثم الغالب عليها اللون الأحمر .

يحرك يديه فى عـــديد من الاتجاهات (لتشتيت انتباه من أمامه) من أكمام جلبابه الفضفاض لا تستطيع تحـــديد حجم كف يديه أو طـــــول ذراعه . هـــو قادر على فرد ذراعيه وتثبيتهما لمدة طويلة .

هـــو مدرب الى حـــد بعيد على الايحاء (بالاضافة الى الجو العام الذى يمارس فيه سحره كما سنذكر) ، هـــو يجيد المقـــابلة الاستهلالية التى توفر له أن يعتقد من أمامه أنه وقـــور وقادر على فعل المعجزات . أنه نشط قادر على الحركة السريعة والبطيئة الارادية .

ذو قـــدرة على اتخاذ حيل دفاعية Defence mechansim ضـــد أى فعل طارىء قادر على التقمص Identification

مما يجعل من أمامه مجبورا على التخيل Imagination قادر على أن يوحى الى من أمامه أن ما يفعله هـــو شيء لا شعورى Unconscious.

فى مجمل القول هو شخص يستطيع أن يوحى لمن أمامه بما يريده .

ولقـــد سألنا العـــديدات من اللواتى كن موجودات وسبق أن ترددن عليه عن شكله او أسلوبه او طريقته ، فلم تستطيع أى منهن تذكر شيء عنه غير انه « راجل سره باتع .. اجعل كلامنا خفيف عليهم » .

هـــذا ما استطعنا ان نلخصه عن مواصفات الساحر الذى رأيناه نحـــن .

وعندما حاولنا وصفه لبعض السيدات المترددات عليه ، كن يرتعدن ويبسملن ، ويرفضن السماع لنا . وقالت لنا احـــداهن انها تخرج من عند ساحرها وهى فى حالة تشنج Convulsion فكيف أسمح لنفسى (تقصد الباحث) بالتحـــدث عن ساحرها ذو القـــدرات الخــــارقة فى اعتقـــادها .

٢ ـ الســــاحرة :

من المدهش أن نفس الصفات النفسية او لنقـــل نفس التصرفات النفسية للساحر ، تكاد تنطبق تماما على الساحرة .

أما من حيث تكوينها الجسدى وصفاتها الشكلية فمن السهل الحكم على سنها بالتقريب فوجهها متجعـــد لا تستطيع اخفاءه بلحيـــة كما عند الساحر ، وان كانت تستطيع اخفاء مدى نحولها أو عكسه بنفس الجلباب المتسع ذو الأكمام الواسعة وصوتها الأنثوى واضح ، وان كانت قادرة مثلها مثل الساحر على تغييره بارتفاع وانخفاض الطبقات الصوتية .

تستطيع أن تميز لون الجلباب فهو أبيض ناصع البياض ، ترتدى طرحه فلا تعرف أهى أشيب أم العكس . ترتدى فى صـــدرها عـــدد أقـــل

من السبح وأصغر فى الطول . علاوة على بعض « الشخاليل » ترتديها فى يديها ، فكلما حركتها كلما اثارت نغما ذو وقع حاد على الأذن ، وهى كلما حركت يداها كلما تحركت معها آذان السامع مما يشتت انتباهه .

جالسه على الأرض فلا نعرف طولها . ولكن من المعطيات السابقة يمكن اجمال القول عنها : أنها سيدة كبيرة السن محترفة كمثيلها ذو قدرة تدريبية هائلة تستطيع ان تصل بمن يسمعها الى نقطة التأزم Critical Point مما يجعل من أمامها غير قادر على الوصول الى فيصل Criterion فى صدقها أو كذبها .

أنها قادرة على اثارة الاشمئزاز فى النفس والتقزز Disgust اكثر من الساحر بما تأتى به من أصوات وحركات يبدو فيها شكل من اشكال الانحلال Disintegration والخلاعة .

وتبقى كلمة : ان أمانة البحث العلمى تقتضى منا عدم التعميم ، فنحن لا نستطيع أن نجزم ان كل ساحر وساحرة لهما نفس الصفات الجسمية والنفسية ، لأننا بطبيعة الحال لسنا بصدد عمل بحث حقلى عن صفات السحرة ، ولكن جاء ذلك فى صلب موضوعنا ، فقمنا بما استطعنا به .

ولكننا نستطيع أن نؤكد أن جميعهم يمتلكون نفس الصفات النفسية أو القدرة على تصنع هذه الصفات ، مما أكد لنا ذلك هو ما رأيناه اولا ، وما سمعناه من بعض النساء اللواتى كن يترددن على السحرة ثم أقلعن عن ذلك لظروف أهمها اكتشافهن لعدم جدوى الذهاب اليهم ، فقد أكدن لنا بأسلوبهن ما ارتأيناه نحن وما خرجنا به فى التحليل السابق .

وسوف ينطبق ذلك على النقطة الثانية التى سوف نخوض فيها الآن وهى الجو العام للمكان الذى يمارس فيه السحر ، فما لاحظناه قد لاحظته العديد من النساء سواء المترددات أو اللواتى اقلعن عن التردد .

ونود أن ننوه أنه قد يختلط الأمر على البعض ، فيتصور أن صفات الساحر او الساحرة لهما نفس صفات من يقوم بالتنويم المغناطيسى

Hypnotism . الأمر ليس كذلك على الاطلاق فالنوم المغناطيسى يختلف جوه العام عن الجو العام الذى تمارس فيه طقوس السحر تماما . وكذلك صفاته وطريقته تختلف تماما عن الساحر من حيث معيار Standard العمل ومن حيث الميل أو النزعة Tendency

(ب) الجو العام للمكان الذى تمارس فيه طقوس السحر :

ليكتمل دور الساحر والساحرة ، فلابد من وصف الجو العام للمكان الذى تمارس فيه الطقوس السحرية :

المكان عبارة عن حجرة متسعة ليس بها مقاعــد على الاطلاق ، غير وسادتين احـــداهما للساحر أو الساحرة والأخرى للزبون ، والوسادتان متقابلتان بينهما مسافة شاسعة نسبة الى حجم الحجرة واتساعها . عندما تدخل يمكن أن تشاهد الساحر أو الساحرة من خلال ضوء بسيط ينتج عن فتح الباب ، فالحجرة معتمة الظلام ، ولتلاحظ صفات الساحر أو الساحرة فلابد أن تركز بصرك منذ الوهلة الأولى للدخول .

اما الساحر أو الساحرة « منقــد » كبير به « فحم » مشتعل وهــو ما يسمى « بالجمر » بجانب المنقــد « علبة » أو وعاء كبير من الفخار به بعض الأعشاب ذات الرائحة النفاذة وهو ما يطلق عليه « البخور » . ووعاء آخر كبير مسطح به ماء ، اقلام وأوراق مقطعة لأحجام مختلفة أكبرها من حجم « الفلوسكاب » هناك مجموعة من أوراق أخرى سميكة « كرتون » وقطع صغيرة من الجلود المــائلة الى « الرمادى » .

يدخلك الى الحجرة خادم أو خادمة يكون مندسا وســـــط الزبائن الزائغة الأعين ومعظمهن من النساء .

ما أن تدخل الى الحجرة حتى تسمع من الساحر أو الساحرة كلمات مبهمة لا تستطيع تبين معنــــاها فهى خليط من كلمـــة « الله والدرويش

والشيطان والسماء والطارق وعبدك » لكن لا يمكنك فهم جملة واحـدة مكتملة فقط سماع كلمات من الجمل وهى التى ذكرناها .

ثم يعقب ذلك تصاعد الدخان العميق والكثيف فى الحجرة نتيجة وضع « البخور » على « الجمر » فى « المنقـد » . ثم يعتم كل شىء ولا ترى الا على ضوء « الجمر المشتعل » ينعكس لون الجمر « الأحمر » على وجـه الساحر والساحرة مما يؤثر على الحالة النفسية « للزبون » تجعله فى حالة عـدم قـدرة على الاحتفاظ بالتوازن أو التعـديل الذاتى Homeostasis ويصبح منذ هـذه اللحظة مستعدا لتقبل الايحاء الذاتى Auto-Suggesstion ثم تسمع نـوع من الضجيج لا نعـلم اين مصـدره وان كنـا نشـك أن مصـدره يرجـع الى الخـادم أو الخـادمة أو الى شريط تسجيل مثلا . هـو ضـجيج يشبه « الفحيح » مرة و « العـويل » مرة « والضـحك الهستيرى » مرة وصوت « طقوس حفلات دينية » Rites مرة أخرى ، كل ذلك بايقاع يختلف المرة تلو الأخرى .

يتم ذلك كله فى سرعة متلاحقة لا تتعدى الدقيقة أو الدقيقة والنصف . ثم يبدأ الساحر أو الساحرة فى سؤاله التقليدى : « باسم فلان وفلانه » ... الخ (قد يكون مرة شمهورش ومرة عيداروس ومرة أمهرت ... الخ) عاوز ايه يا بن عبد الله » . وهنا قـد تسمع من جـديد صوت آخر يناديك اذ لم تسعفه بالاجابة هـذه المرة الصوت مختلف — كما ذكرنا من قبل .

ثم يسمع منك ويقاطعك المرة تلو الأخرى بأصوات مختلفة مناديا لك بالرحمة والاعتذار للملائكه قائلا « اجعل كلامه خفيف على أسيادنا أصله جاهل » وخـذ عندك بعـد ذلك ما يصفك به من أوصاف حسبما يتراءى لـه .

وبعـد أن تروى ما عندك قـد يفاجئك وسط الجـو الخانق نوع من البرودة الشديدة مبعثها « تيار هوائى » لا نعرف مصدره ، تسبب على الفور نوع من أنواع الرعشة يعقبها تبلد أو جمود حسى Apathy

وهنا بادراك الساحر أو الساحرة المدرب جيدا يبدأ فى القاء الأسئلة على « الزبون » وهى أسئلة سريعة متلاحقة . يجيب عليها « الزبون » وهو تحت سيطرة الجو العام الذى خلقه الساحر أو الساحرة وتحت تسلطه Ascendance . وينتهى تيار الهواء . ويعود الجو كما كان .

وعقب الاجابة يتغير الجو العام الى الصمت المطبق . وتحدث ملائمة بين حرارة الغرفة المغلقة وبين جو الرعشة ، ليصبح المناخ عادى لا هو حار ولا هو صقيع هو نوع من المناخ المعتدل الذى يعيد الى الزبون مرة اخرى حالة « التفطن » Awareness التى كان عليها قبل ن يدخل ثم يعاودك الساحر أو الساحرة ليسأل من جديد وعندما يرد « الزبون » يفاجأ بضربات سمعية مفاجئة حادة « كطبول الحرب» ثم يصرخ صوت مغاير تماما للأصوات التى سمعناها فى البداية لتقوم بدور « المصادرة على المطلوب » Begging the question لترغمك على السكوت .

ويعود الصمت من جديد ليبدأ الساحر او الساحرة فى « التمتمة » بكلمات مبهمة من جديد ، وتلاحظ انه بدأ يكتب « ويلف » ويطوى الورقة الذى يكتب عليه حتى يصبح صغيرا ثم يمد يده الى « الجلد » ليغلفه .

ثم يلقى ما فى يده فى الماء ، وقد تفاجأ بأن ما القاه فى الماء يرتفع الى قرب « سقف الحجرة » مع تصاعد البخور وظهور ضوء خافت عن عمد نترى ما يفعل ، ليهبط ما كتبه مرة أخرى قريبا منك ويطلب منك بصوت أنثوى (اذا كان ساحرا) أو بصوت رجولى (اذا كانت ساحرة) أن تلتقط ما أمامك . ويرشدك الى طريقة استخدامه . وتسمع فى هذه اللحظة صوت يطلب باسم « الأسياد » مبلغا من المال . وعليك أن تخرجه وتضعه أمامك ويظهر الضوء الخافت عن عمد (فى تصورنا ليتأكد من قيمة المبلغ الذى حدده ولترى أنت (الزبون) نقودك أو تحصيها) .

ثم يطلب منك المعاودة لزيارة الساحر أو الساحرة ومعك بعض الأشياء خدمة « للأسياد » أو حسب طلباتهم . وقد تكون هذه الطلبات :

(أ) نقــدية : وتكون عادة مبالغ نقــدية حسب حالتك التى يراها الساحر أو الساحرة .

(ب) عينية مثل : طيور معينة (تؤكل) ، مصاغ (ذهب) ، جزء من ملابس أو شعر أحـــد ممن يتعلق بهم موضوع الاستشارة فى السحر وهو ما يسمى « بالأثر » . وهكذا ينتهى لقاءك مـــع الساحر أو الساحرة .

لقـــد استعرضنا دور الساحر أو الساحرة ومواصفات كل منهمـــا وربطنا ذلك بالجو العام الذى تتم فيه الطقوس .

ويجـــدر بنا ان نذكر ان المترددات على السحرة الذين هم فى رأينا « مشعوذون » لا أكثر ولا أقـــل ، يترددن من مختلف الطبقات . وكم تعانى النساء اللواتى من أصول فقيرة من تكاليف السحر ودوامته التى لا تنتهى ورغم ذلك يصررن بعنف على الذهـــاب الى السحرة عن قنـــاعة ســوف نفسرها فى المبحث التالى .

* * *

وننتقـــل الآن الى استعراض بعض النمـــاذج التى يوصفها السحرة للنساء وسوف يفيد ذلك الى حـــد بعيد فى توضيح مدى سذاجة هـــــذه الأعمال ، وسوف يفيد ذلك أيضا فى المبحث التالى الخاص ببحث سيكولوجية المرأة المصرية .

بعض وصفات (اعمال) يقوم بها السحرة :

(ا) الأحجبـــــة :

الحجاب هـــذا عبارة عن ورقـــة تصغر أو تكبر حسب ما يكتب فيها وعادة تكتب بأشكال مبهمة من الصعب جـــدا فهم ما فيها ، وتكتب بأقلام « الكوبيـــا » عادة (كشكل غير معتاد للكتابة) أو بأقلام رصاص أحمر ،

وتطوى الى حجم صغير ، وتغلف بشىء سميك هــو عادة نوع من الجلد ، بشرط أن لا يمكنك فتحها بسهولة ، ويحــذرك الساحر بشدة من فتحهــا ويوهمك أن « الجان » أو « الأسياد » سوف يعاقبونك لو فتحتها « بالشلل » مثلا أو بمرض عضال . ويوصى « الساحر » زبائنه (وهم عادة من النساء) بوضع الحجاب فى مكان ما يحــدده هــو ، قــد يكون تحت أحــد الأبطين أو مربوطا فى مشد السيدة ، أو موضوعا بين فخــذيها فى أوقات معينة .

وسوف نستعرض بعض الكتابات التى أمكننا الاطلاع عليها من خلال فتح بعض الأحجبة لندلل على وجهــة نظرنا : (ملحوظة : ببالغ الصعوبة استطعنا تفسير الخط) .

حجــاب ١ :

سطر ،

سورة الكهف اللهم يا أحكم الحاكمين ـــ يا ملك فوق كل ملك سخر عبادك لهنية بنت . . . واحفظها من الأذى واجعلها لها قبولا وهيبة ونصرا دائما بحق اسمك العظيم الأعظم .

كتب يوم الاثنين ساعة المريخ .

ملحــــوظة :

كتب هــذا الحجاب لسيدة مضطهدة من قبل أهل زوجها وأوصاها الساحر بوضعه بين فخــذيها أثناء النوم لمدة عشرة أيام ثم تعـــاوده (الساحر) مرة أخرى ليكمل لهـنا العمل .

حجــاب ٢ :

حجاب كتبه شمهورش بدم ثلاث فرد من الحمام ثلاثة الوان . بحق سركَ الباتع ونوركَ الساطع وسيفك البــاتر أن تنزل عليها ولدا أو بنتــا

تجعل فى العشر الأوائل من زحل . اكرم حامل كتابى يا جبرائيل . اكرمها بعيل يعيش . مكتوب لسريا (ثريا) بنت . . .

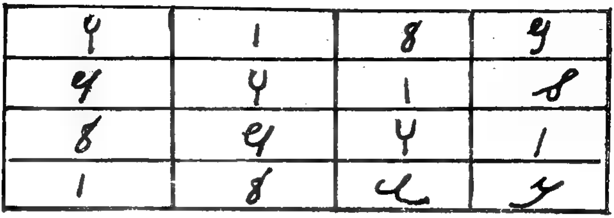

كتب يوم الاربعاء ساعة المشترى .

ملحـــــوظة :

كتب هـــذا الحجاب لسيدة لا تنجب وأوصاها الساحر بوضعه تحت الأبط الأيسر خمسة أيام ثم ينقل للأبط الأيمن خمسة أيام أخرى . ثم تستحم عليه (أى يوضع فى ماء الاستحمام دون فتحه . ثم تلبس ملابسها بعــد الاستحمام بدون اى ملابس داخلية وتذهب « منكوشة » الشعر لالقـــائه فى أقرب « بلوعـــة » مياة !!

حجـــاب ٣ :

حجاب مكتوب بمسك وزعفران وماء ورد وعنبر ونجرته بكسبرة وكندر وجاوى وميعه . سورة المعوذتين . الضحى . والانشراح . أخبله بحبها . بفضل الله سخر ميكائيل وشمهورش وعيدأروس والجـــان أجمعين . بحق اسمك الحاوى لكل شىء عظيم العظيم الأعظم . لصفيه بنت . . . تخبل خليـــل بمـــن :

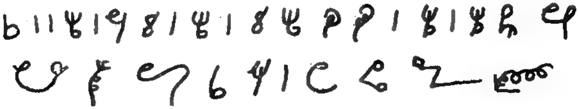

مكتوب فى ساعة سعيدة . والطالع برج مذكر :

ملحـــوظة :

كتب هـــذا الحجاب لسيدة ينفر منها زوجها وتريد منه أن يحبهـــا ويقبل عليها . ووصف لها الساحر طريقة استعماله على النحو التـــالى (المعقـــد جـــدا) :

١ ــ يخفى بين الشعر (شعر الرأس) كل ليلة لمدة عشر ليـــال (اثناء الليل) .

٢ ــ فى الصباح الباكر يوضع تحت الأبط الأيسر طوال النهار حتى صـــلاة الظهر .

٣ ــ بعـــد صلاة الظهر وحتى المغرب يوضع فى الحفاض (قطعـــة قماش توضع بين الفخـــذين) .

٤ ــ ويترك هكذا حتى المساء ميعاد النوم فينقل الى موضعه الأصلى بين شـــعر الرأس . وهـــذا كله لمدة عشرة ايام ! متوالية .

واضح من استعراضنا للأحجبة الثلاث كم هى عبثية ولا تدل على أى شىء وكم هى قـــوة السيطرة التى تمنع المرأة من فتح الحجاب تحت تهـــديد الساحر لهـــا وتوعـــدها اذا حـــدث ذلك بالويل والمرض والشر .

ولقـــد حصلنا على عـــديد من الأحجبة التى يئست النساء اللواتى استعملنها من اجابة طلباتهن . ورغم هـــذا اليأس واكتشاف الدجـــل والفخ الذى نصبه لهن الساحر او الساحرة فانهن لم يجرؤن على فتـــح أى حجـــاب .

. . .

وعندما استأذنا منهن أننا سوف نفتح الحجاب اجمعن جميعا على الشفقة بنا والحرص علينا من « الأذية » أى الايذاء . وكنا نحاول أن نطمئنهن أنه لن يحـــدث شىء خاصة وأنهن قـــد أكتشفن مدى زيف ودجل هـــذه الأحجبة ، ولكن رغم ذلك كن يرتعـــدن من مجرد التفكير فى فتح الحجاب .

ونعترف اننا لم نفتح اى حجاب امام احــداهن . فقــد حاولنا عمل ذلك ــ امام احــدى السيدات ــ فأصيبت بحالة ذعر شديد ثم اغمــاء Coma وظلت تعانى من الخوف والارتعاش ــ نتيجة ايحاء الساحر لها بالضرر البالغ اذ فتح الحجاب ــ حتى استطعنا طمأنتها ، ولم تعــد الى حالتها الطبيعية الا عندما تأكدت من اننا امامها سالمين لم يصبنا الأذى .

(ب) بعض الأعمال التى يطلبها الساحر او الساحرة وبعض الوصفات :

يطلب الساحر او الساحرة اشياء الحصول عليها من قبل المعجزات او تستلزم شن حرب حتى يمكن الحصول عليها !! ومن أمثلة ذلك :

ــ مرارة الدجاجة السوداء وخمس مرارات لقطط ســود ومرارات الخطاف ومرارة تيس اسود ، يجفف الجميع فى الظــل ووزن مثلهم اثمــد (نوع من انواع الأعشاب ذو رائحة تغلب عليها العفونة) ومثل الجميع من الحــديد الحرقوسية مرود منه تكتحل المراة بالليل فترى كما ترى فى النهار .

(يوصف ما سبق فى حالة المراة التى تشك فى زوجها ولا تستطيع اثبات شىء عليه ويوصف ذلك بمعنى ان تراه المراة فى كل حين « ولا يغفل » عن عينيها) .

ــ دماغ الجلد ودماغ قط الغابة ودماغ قرد ودماغ نسر ودماغ ديك ودماغ الخفاش تجفف الجميع بالليل ثم تجعلهم المراة فى جلد ذئب مذبوح بالصبر ودار صينى تحمله المراة .

(يوصف ما سبق فى حالة امراة تريد الخروج بالليل لمقابلة محبوبهــا او عشيقها ولا تتمكن من ذلك خشية « كلام الناس » او ان الفرصة غير متاحة لها . فتخرج حاملة ما سبق فلا يراها انس ولا جن) .

ــ قص من الكاغــد اربعــة دراهم واجعليها فى يدك اليمنى ومعهم درهم سكر وانت تتبخرين بالخولان وتقرئى عليهم هــذه الأسماء سحر الجان ومرة يا برشيش اقبــل بحــق سمطال وعــوج وتعــرتل شهمار نموشلخ افعلو ما تؤمرون به .

(يوصف ما سبق فى حالة المراة التى هجرها زوجها وتريد عودته . وطبعا بفضل السادة المذكورين سوف يعود الزوج) !

ـ عيون القنفذ وعيون البومة وعيون الهدهد اذا جفف الجميع وسحق مع وزنة اثمدا وتكتحل به المراة قبل طلوع الشمس فترى الماء تحت الأرض .

(يوصف ما سبق فى حالة المراة التى ضاع منها شىء ثمين ولا تعرف من اخذه أو اين اختفى فهى ترى الماء تحت الأرض اى ترى كل شىء بقدرة السادة من الجان)!

ـ يكتب الساحر سورة الكافرون (ويكتبها مليئة بالأخطاء) فى قطعة من الأنك متفرقة الحروف تنقش فى ساعة كيوان من يوم الأحمر والطالع الميزان والقمر قد بات فى برج نار ثم تعزم على الصحيفة (المراة) بعد ان تخلطها بقطران مصنوع من الخروع بالعزيمة الدهروشية الف مرة وتقول فى آخر كل مائة : يا ملائكة الصعق والعذاب ابعثوا الى روحانية النكال يهلكون فلانا ويشتتونه ويخربون داره ويمرضون جسده ويبطلون عضوا من اعضائه العجل بحق الشديد المهلك المميت القادر المقتدر القهار عضوا القوى.ثم تدفع المراة تلك الصحيفة بقرب النار وتبخرها المراة كل ليلة ببخور التنكار والختيت فان المعمول من اجله ينزل به ما اضمرت عليه واتق الله حق تقاه فمن عفا واصلح فأجره على الله . ويعمل ذلك ويشهد عليه اربع شهداء !

(توصف فى حالة المراة التى ضرها اى انسان بأى ضرر) ..

ـ سورة طه مع اسماء القمر السبعة وهذه الخواتم :

وتقوم المراة فى جوف الليل يعنى فى وسطه من ليلة السبت الأخير من الشهر . وتضع اسماء القمر السبعة والخواتم المذكورة فى قلب اسد

عجـــوز وتدفنـــه على « عتبة » الباب ، ثم تأخـــذه فى الصباح وتحرقه وتنثر مافيه (رماده) على المقابر .

(يوصف ما سبق فى حالة انتقام المراة من أمراة أخرى الحقت بهـــا ضرر يتمثل فى خطف زوجها منها) .

نكتفى بهـــذا القـــدر من انواع المطالب والأعمال التى يقوم بهـــا السحرة ، ونستطيع ان نستطرد فى ذلك ، فقـــد جمعنا العـــديد من مثل هـــذه الطلبات ، ولكننا نكتفى بهـــذا القـــدر الذى يدلل من وجهة نظرنا على مدى الشـــــعوذة والعبثية فى تلك المطالب التى يطلبها الساحر أو الساحرة .

ونذكر شيء غاية فى الخطورة ، هـــو اننا نلاحظ حتى من الأمثلة التى ذكرناها أن الطلبات التى تطلب مثل : قلب أسد عجوز ــ رأس هدهد ــ عيون القنفد ــ وعيون البومة ــ الروع بالعزيمة الدهروشية ــ دماغ قرد ــ دماغ نسر ــ دماغ خفاش ــ درهم سكر ــ جلد ذئب الحـــــديد الحرقوسية ... الخ .

ان مثل هـــذه الطلبات من الصعب جـــدا بل من المستحيل الحصول عليها . وهنا فرصة الساحر . حيث تعود اليه المراة تعرض فشلها فيما طلبه . وهنا يتطوع مشكورا !!! الى ان يحضر هـــو مثل هـــذه الأشياء بل يقوم بالعمل كله نيابة عنها !!!

ويطلب مبالغ خيالية ازاء احضار هـــذه الأشياء ، أو يطلب أشياء عينية وهى على الدوام ذهبا من المراة . وتضطر المراة الى الاستدانة .

ونخلص مما سبق فى عادة السحر الى الآتى :

١ ــ أن الساحر او الساحرة هم مشعوذون دجالون يعتمدون على تدريب خاص للايحاء والتقمص .

٢ ــ أن المترددات على الساحر أو الساحرة هن من جميع الطبقات بلا استثناء مع زيادة وانتشار هــذه العادة لدى النساء فى الأحياء الفقيرة .

٣ ــ أنه رغم الفشل المتلاحق للزائرات للساحر أو الساحرة فأننــا نلاحظ أن معظمهن لازلن عند ايمــانهن بالسحر والشعوذة ولا ييأسن عادة فيعاودن التجربة مع ساحر آخر أو ساحرة أخرى .

٤ ــ أن بشاعة هــذه العادة تكمن فى انتشارها المتسع خاصة فى مجتمع تتفشى فيه الأمية بين النساء .

٥ ــ أن الايمان بالغيبات هــو ظاهرة بالغة الخطورة فى ممارســة مثل هــذه العادة .

٦ ــ أن الساحر او الساحرة ذوى نفوذ وسلطة على المتعــاملات معهم .

٧ ــ أن هناك اشياء لا اخلاقية (ردتها لنا اكثر من سيدة) يقــوم بها الساحر أو الساحرة .

مثل أن يطلب من المراة خلع ملابسها أو ملامسة اجزاء من جسدها ضمن طقوس السحر !

٨ ــ أن العــديدات وخاصة فى الريف يلجأن الى الساحر او الساحرة فى حالة المرض ايمانا منهن به رغم وجود الطب فى الريف (مهمــــا كان مستواه) .

٩ ــ أن المبالغ الطائلة التى يحصل عليها الساحر أو الساحرة هى مقتطعة بدون وجه حق وبأسلوب اجرامى من قوت العــديدات من النسوة مما يشكل جريمة بشعة .

سابعا ــ عـــادة الـــزار :

ان طقوس الزار لفظ أمهرى معناه عند **الأحباش** : شر ينزل بانسان ما . ولا معنى لهـــذه الكلمة فى اللغة العربية اللهم اذا أخـــذنا بالرأى الذى جاء به « زويمر »(٢) من أن الزار سمى كذلك لأنه من الزيارة أى أن الجن تزور الآدميين . ونجـــد فى **اللغة الدارجة (العامية)** أنه يقال لمن يصيبه حالة زيارة الجن هـــذه « منزر » أو « منزارة » وهـــذه الظاهرة بالذات تدعى فى لغات **الكوشيين الوثنيين** بألفاظ مشابهة مثل Djar، Yaro ،Daro (٣) ثم حرفت الكلمة أخيرا الى زار وأصبحت تعبر عن تلك الظـــــاهرة التى انتشرت فى بلاد معينة من الشرق . وفى اللغة **البوجسية** وهى لغة سلوسيا الجنوبية من جزر اندونسيا يطلق لفظ « سارو » على من يعالج الناس من امراض الجان وهنا الشبه واضح بين لفظى « سارو » و « زار » .

هـــذا هـــو ما توصلنا اليه فى معنى كلمة « زار » .

أما **أصل الكلمة (الزار)** فيرى البعض أنها ليست من أصل ســـام ولكنها دخلت الى اللغة الاثيوبية الأمهرية من لغة الجلا وهى قبائل وثنية تخضع للحكم الاثيوبى .

ويرى آخرون ان هـــذه الكلمـــة أتت من قبـــائل الفـــورو Woodo التى تسكن وسط أفريقيا ولعل C. B. Klanzinger هـــو أول من اتى بفكرة أن الزار جاء الى مصر من الحبشـة .

وهناك بعض الآراء الحـــديثة تعتقد أنه اتى الى مصر عن طريق السودان ولا شك انه وصل السودان عن طريق الحبشة حيث توجـــــد العـــديد من العادات ومنها الزار(٤) .

---

2 — Samuel M. Zwemer : The influence of animism on Islam, New York. The Macmillan Company, 1920, pp. 235,236.

3 — Enrico Cerillizar, Encyclopaedia of Islam, Vol. IV, 1217, Wadegenni of Abyssinia, Lillman, Vol. II, p. 311.

4 — A. J. Haues, The sources of the Blue Nile, London, Smith Elder, 1905, 286, Citing, A Journey throngh Abyssinia, p. 167 Sep.

وكانت نساء مكة تدير حفلات الزار بها فى الثلاثينات من هـذا القرن وكان معروفا هنـاك انه من أصل حبشي(٥) وأن اللفظ فى الأمهرية معنـاه الروح الشرير وكانت تمتاز حفلات الزار فى مكة بأنها تجمع كل الطبقات مع بعض الاختلاف من حفل الى آخر(٦) .

والمرجح من المراجع التى بين أيدينا والتى استعرضنا بعضا منها أن الزار فى البلاد العربية وفى مصر يرجع الى زار بلاد لحبشة نفسها ولا يرجع الى اصل سام . ولعـل الكلمة مشتقة من اسم الاله الأعظم عند الكوشيين الوثنيين فاله السماء يعرف فى لغة أكو Agou باسم جاو وفى لغـات سـدقه « يرو » Buoro Moraro .

وفى مصر يعتبر الزار بالنسبة لمن يأخـذن به من النساء وقلة من الرجال علاج بدائى يقصد به ارضاء « الأسياد » واجابة مطالبهم لتخليص المرضى من آلامهم وتهيئة الشفاء لهم وابعاد أذى الأرواح عنهم .

والفكرة الأساسية فى الزار هى الاعتقاد بوجود أرواح تحوم حول الأرض ، هـذه الأرواح ذات مقـدرة على جلب الخير او الشر للانسان وهى ما تعـرف — كمـا ذكرنا — « بالأسـياد » بالنسبة للزار ولا تعبير شياطين ، كذلك لا يقـال عنها انهـا طيبة او رديئة لأنهـا جميعا أرواح طاهرة ! واجبة الاحترام والتقـديس وهى لا تعيش فى جسم الانسـان دوما ولكنها تأتيه فى حالة التلبس فتحل « الأسياد » بالجسم ولذلك تكون المريضة غير مسئولة عما تأتى به من أعمال وحركات . وهؤلاء « الأسياد » يفوقون البشر فى قواهم لذا فهم فى مرتبة تعلو البشر ولا يمكن التخلص منهم ولكن حسب مرضاهم ان يعملوا على تهدئتهم أن كانوا غضابا .

ونذكر على الهامش أن النساء يقمن اعتبارا كبيرا لهـذه الأسـياد اللواتى يخشونها دائما ولا يتحـدثن عنها الا بتوقير واحترام كبيرين فلا يقلن « العفاريت » مثلا بل الأسياد .

---

5 — Snouck Hurgronge M,ecca. 2. p. 124, London, Macmillan, 1921.

٦ — Seligman C. G., Races of Africa, London, 1939, p. 120

وسوف نستعرض الآتى بالنسبة لعادة الزار :

(أ) وصف حفلات الزار والخطوات التى تتبع قبل الحفل وأثنائه .

(ب) جوقة الزار .

(جـ) طرق الزار .

(د) الأمراض التى يستخدم الزار فى علاجها (من وجهة نظر سيدات مصر المعاصرات) !!

(هـ) أغانى الزار وموسيقاه .

(أ) وصف حفلات الزار والخطوات التى تتبع قبل الحفل وأثنائه :

أولى مراحل الزار هى الرؤيا أو الأثر حيث تذهب المرأة (التى تعانى من متاعب جسمية أو نفسية) الى أمرأة مثلها تسمى « الكودية » (وسوف يأتى وصفها فيما بعد (التى تطلب منها أن تأتيها بشىء من ثيابها وتوهمها بأنها ستضع الأثر (الأتر ــ عند العامية) تحت وسادتها قبل أن تنام بعد تلاوة آيات وتعاويذ خاصة حتى يتراى لهـا فى الحلم ما بالمريضة من أمراض أو علل وما ينبغى أن يتبع لمعالجة هـذه الأحوال . ويتم ذلك نظير أجر معلوم هو (كشف الأتر) حسب التعبير الشائع لهـذه العملية وهو بضعة قروش لا تقل عن العشر وقـد تزيد عن الجنيه ، تربطها المريضة على طرف الثوب الذى تضمه الكودية ــ أو توهم المريضة بذلك ــ تحت وسادتها لتعرف من الأسياد مطالبهم .

ومطالب الأسياد التى تبدو فى رؤيا الكودية ترتفع قيمتها كلما كانت المريضة أيسر حالا فهى تتراوح بين دجاجتين ومصاغ من الفضـة رخيص الثمن للمريضة الفقيرة أو خروف وما يتبعه من الطيور ومصاغ قليل من الذهب لمتوسطة الحال أو جمـل وما يتبعه من حيوان وطيـور والمصاغ الكثير من الذهب لمن ترى أنها غنية قادرة على الانفاق .

وقــد تشرك « الكودية » المريضة معها فى معرفة مطالب « الأسياد » بأن توصيها بوضع قطعة سكر فى فمها قبل النوم وأن تشرب قليلا من ماء الورد وتجعل بالقرب من راسها وهى نائمة رغيفا من الخبز عليه قليل من الملح والسكر حتى تحصل على « رضا الأسياد » فتريها فى المنام ما يلزم لصرف غضبهم . وغالبا بل ودائما لا ترى المريضة شيئا ، فتخبرها الكودية بما راته من مطالب « ذكرناها من قبل » بل وتغالى فيها هــذه المرة اكثر .

ويصف للكودية دائما (من قبل الأسياد) بل هــو شرط أساسى وعامل مشترك فى كل زار :

فرخة ملونة بالوان مختلفة (ليست فرخة الجمعية) !! والديك الأحمر (للبواب) وفرخة بيضاء (للست الكبيرة) وفرخة ســوداء (للخــادمة الحبشية) . وقــد ترى معهم « الكودية » حيوانا معينا مثل خروف راسه حمراء او جــدى اسود او نعجه للست الكبيرة وهــذه بالذات لا تذبح الا فى الساعة الثانية صباحا وقبل ان تبدأ مراسم الحفل التى ستجرى فى بداية اليــوم .

وبعــد أن تفصح الكودية عن كل مطالبها . هنا تأتى المرحلة الثانية من مراحل الزار وهى مرحلة اقامة الكرسى أو كما هــو دارج فى الزار نصب الكرسى ، والكرسى هو المــائدة المستديرة التى توضع فوقها صينية كبيرة تغطى بقماش أحمر ويوضع فوقــه أصناف كثيرة من المــأكولات مثل : « المكسرات » بأنواعها والحبوب المختلفة والبلح الجــــاف والسكر بل و « الصابون » !! وانواع مختلفة من الفاكهة وكعك وملبن وحلوى مختلفة وانواع من الجبن واللحوم المجففة وزجاجة من الخمر (للأسياد طبعا) !!! وَلبن وشموع كثيرة . . . الخ . ثم توضع حولها شمعدانات بها شموع كبيرة موقــدة وهنا يبدأ الاعــداد الفعلى لليوم التالى . وهــو يوم الحفــل الكبير . فالكرسى قــد أقيم وقت الغروب وتمتمت الكودية بكثير من التعاويز والأناشيد ابتهالا للأسياد وجلبا لرضاهم ثم اطلقت البخور حول الكرسى والطبول تقرع . كل ذلك والعروس ــ سيدة الحفل ــ المريضة ! فى ثيابها

البيضاء الجديدة تدخل مزهوة مبتهجة !! هى ومن معها من السيدات الصديقات اللاتى جئن ليشاركن فى هذه الليلة المبهجة الكريمة !! وهى بحق مبهجة : لأن النساء فيها وفى الليلة التالية أيضا يختلن فى ثيابهن الجديدة البراقة المتعددة بالاضافة الى ما يسودها من المرح والغناء والحركات الراقصة والانطلاقات الحرة . ثم هى مباركة لأن الأغلبية العظمى من النساء اللاتى يحضرن مثل هذه الحفلات يؤمن ايمانا كبيرا « بالكودية » وقوة الأسياد فيحضرن لطلب العفو والرضا أو كما يقال (السماح والرضا) .

وتذبح النعجة أو الخروف فى الثانية صباحا وغالبا ما تقوم « الكودية » بنفسها بعملية الذبح هذه ويلطخ وجه المريضة وذراعاها وكتفاها وساقاها وثيابها البيضاء بالدماء الساخنة وقد تشرب كوبا منها بأمر « الكودية » تبعا لرغبة « الأسياد » . ثم توضأ الطيور ! ويمسح على جسدها بالماء وتبخر ثم تذبح الطيور ويعاد تلطيخ وجه المريض من جديد وملابسها البيضاء . ثم توزع « الكودية » الذبائح بينها وبين المريضة . ونصيب الكودية نصف الذبيحة كاملة نظيفة ومعها الرأس والأرجل والفراء والقلب والكبد وبقية العظام بعد طبخ الجزء المتبقى من اللحم . بقصد دفن الرأس والفراء والأرجل والعظام فى مكان خاص بمنزل الكودية يعنى المداينجة(*) .

وتستبدل السيدة ملابسها الملطخة بالدم بملابس بيضاء ناصعة وترتدى كامل مصاغها علاوة على « طرحة » من قماش شفاف أبيض ويطلق البخور والموسيقى (دفوف — صفارات طبول) وتنشد الكودية . وتبخر العروس (المريضة) وتمررها « الكودية » فوق النار سبع مرات وتبخر جميع السيدات الموجودات نظير أجر معين (هبة أى غير محدد القيمة) . ومهمة الكودية أن تقدم الأدوار المختلفة ولكل دور دقة خاصة ولكل منها عفريتا

(*) المداينجه : لفظ يستخدم فى الزار ويطلق على حجرة صغيرة خاصة بدفن أجزاء الذبيحة ويقال ان ارواح الأسياد تتجمع بهذه الحجرة وهذا اللفظ غير معروف الا فى مصر وليس معروفا فى العربية أو الفارسية أو الأمهرية أو السنسكريتيه .

خاصا مثل : الجن الأحمر وياوربك والست سـفينة وماما وابو الغيط وأم الغلام وكثيرين غير ذلك . وعلى دق الطبول تقوم السيدات بحركات راقصة همجية . وتمثل « الكودية » كل دور باتقان وترتدى مع كل دور نوع خاص من الملابس يساعدنها فى ارتداء الملابس مساعدات من السيدات حيث ان الكودية تكون فى حالة تلبس (أى يلبسها الأسياد !!) .

ويرتفع الدق (دق الموسيقى المذكورة) والرقص الهمجى حتى تفقـد المريضة وعيها ومعها عـدد من السيدات . فتعيدهن « الكودية » الى حالتهن الطبيعية مرة أخرى برش المـاء على وجوههن وتقرأ هى والحاضرات الفاتحة وتنشد دعـوات « لأهل بيت الله الحرام » ان يجعلوا صاحبة الزار سالمـة بفضلهم وتطلب من الأسياد العفو والرضا . ثم تقرأ الفاتحة مرة أخرى للنبى مرة واهل بيته مرة اخرى وثالثة للشيخ احمد السعدنى ثم لسيدى عمـر وسيدى احمد زيدان ثم الأمير تادرس (ولا نعرف من اين جاءت هذه الأسماء ولا من هم هؤلاء !) ثم الفاتحة (للملائكة الأربعة حاملين العرش) ثم الفاتحة لأبى العباس وشيخ العرب السيد البدوى المدبولى وكل المشايخ الكبار . ويزيد البخور فى الموقـد كلما نقص وتميل الكودية براس العروس عليـه ويديها ورجليها وترفع ثوبها حتى يدخل البخور الى سائر جسمها وكذلك مع غيرها من الحاضرات .

ملحـوظة :

كلما احست الكودية بالتعب تجرعت من زجاجة الخمر !!

ثم يقـدم الجزء الخاص بالمريضة من الذبائح للجميع وما يتبقى من اكل العروس « المريضة » يدفن مع ما سبق الاشارة اليه .

وتوزع الكودية بعـد ذلك ما على الكرسى من مكسرات وحلوى على المدعوات فى انصبة صغيرة حتى تحتفظ لنفسها بالنصيب الأكبر من هـذه الأصـناف .

وبهــذا تنتهى كل مراسم حفل الزار ويبقى على المريضة ان تبقى كما هى دون خلع ملابسها أو مصوغها أو الاغتسـال اطلاقا لمدة سبعة أيام مع الاحتفاظ بأحجبة وتمائم الكودية التى صنعتها لها .

(ب) جـوقة الزار :

تتكون جـوقة الزار من شخصيات عـديدة اهمها :

١ ــ الكودية :

وقـد تكون امرأة أو رجلا وغالبا ما تكون من أصل سـودانى أو حبشى ، وهى من اختارها الأسياد وحلو بها (لبسوها) لتعبر عن رغباتهم وتعمل على ترضيتهم وتقوم بالوساطة بينهم وبين من يمسونهم من النساء أو الرجال (٥)

فهى دائما فى اهبـة الاستعداد لاستقبالهم نظيفة معطرة متطهرة (هى تدعى ذلك) تعيش فى جـو من عبق البخور وترتدى الملابس البيضاء وهى غالبا ما تكون حاجـة (هى تدعى ذلك أيضا) ورعة متدينة (هى تدعى ذلك أيضا) . ذات شخصية فـذة تجيد الحـديث وتفهم محـدثيها وتصوغ عباراتها فى أسلوب خاص نفاذ ، وتطلق عليها النسوة (بنت بخور) أى أن الأسياد اصطفوها من بين نساء العالمين للقيام بهـذا العمل . تدعى أنهـا تلبس حزاما به جنيها ذهبيا موهوبا من الأسياد . وهى تقوم بوجه عـام ــ بالاضافة لمـا سبق ذكره ــ بكل العمليات التى تبـدو من وجهة نظر المريضة واتباعها عمليات روحية خالصة Mistique كالتنجيم وهى متلبسة بالأسياد حين تتلبس بهم المريضة فتعرف مطالبهم كما يذكرونها على لسان المريضة . ثم عليها اعادة المريضة الى حالتها الطبيعية ونثرها بماء الورد وغير ذلك .

٢ ــ المنشـدة :

وهى امرأة مدربة تقوم بانشاد كل ما يقال فى الزار من أغان فقد حفظتها جميعها وعرفت أنغامها وهى كثيرة ومتنوعة . هـذه المرأة وجودها ضرورى

جـــدا للحفل فبدونها لا يمكن أن يقام زار ، فهى التى تناجى « الأسياد » فى أغانيها الخاصة بموسيقى معينة فتردد باقى الفرقة الأغانى معها وتصحبها دقات الطبول وكل ما يستخدم من آلات موسيقية بدائية فتظهر الأسياد على الحاضرات وتعمل « الكودية » .

هى مهمة بل على درجة كبيرة من الأهمية :

١ ــ من الناحية المعنوية :

هى الشخصية الأولى فى الحفل وأنها موضـــع احترام واكرام الجميع فهم يتبركون بهـــا ويخشونها لاتصالها المباشر بالأسياد . (فجتتها مش خالصـــــة) .

٢ ــ من الناحية المــادية :

لهـــا كل الغنائم تحصل على أكثر الأنصبة من الذبائح وممـــا على الكرسى ، ولا تعطى أحـــدا شىء الا أجر المنشدات اللاتى معها وتمتـــاز بجلاوة الصوت وبمقـــدرة فائقة على استيعاب كل الأناشيد مع حفظ نغمة كل منها .

لا ترتدى ملابس معينة . ولكن فى العــــــادة تميل الى لبس الملابس البيضاء مع استخدام العطور النفاذة والبخور فيفوح منها أريج عبق وتتدلى من اذنيها أقراط كبيرة وحـــول رقبتها عقـــد من أحجار مقلدة وفى أصابعها خـــواتم كثيرة تربط رأسها بمنديل مطرز وعلى الجهة اليسرى من جبهتها حجاب خاص .

ومعها جـــوقة « منشدات » وعازفات وعازفين يستخدمون آلات بدائية هى الطمبورة والرق والطبلة والصفارة والبندير . ويرتدى الرجال العازفون « المنجور » حول وسطهم وهو عبارة عن حزام تتدلى منه حوافر المــــــاعز فكلما اهتزت أوساطهم أثناء قرع الطبول أو غيرها أحـــدثت هذه الحوافر أصواتا معينه . وتتدلى شعور الرجال مثل النساء وقـــد يتظاهر بعضهم بأنه من المجانيب .

(جـ) طرق الزار :

للزار طرق كثيرة منها :

١ — البحيرى .

٢ — الصعيدى .

٣ — العربى .

٤ — السودانى .

وهى تعتبر أجناسا بالنسبة لما تحتها من أنواع وكلها واحدة فى مصر ولا تختلف الا فى لهجات الأداء المحلية وهناك أدوار مختلفة تحت كل جنس من هذه الأجناس تختلف من حيث الأقوال التى تنشد والأنغام التى تدق والملابس التى تلزم لكل منها :

فالدور البحيرى :

يلزم له الملابس من عصى وكوفية وجلباب طويل وقلنسوه على الراس .

والدور الصعيدى :

يلزم له قماش خفيف كالتل مطرز بالقصب .

والدور العربى :

يلبس الكوفية والعقال والعباءة .

والدور السودانى :

يلبس الملابس ويتزين بالخرز والودع وحوافر الحيوان .

وقد تظهر أدوار خاصة فى أوقات معينة مثل ظروف الحرب حين ظهر دور (العسكرى يا خواجه) أى ظاهرة الزار تأثرت بظروف الحرب فى هذه الناحية كما تأثرت بها فى نواح كثيرة اهمها الناحية الاقتصادية .

(د) الأمراض التى يستخدم الزار فى علاجها (من وجهة نظر سيدات مصر المعاصرات !!) :

هناك حالات مرضية كثيرة تشكو منها النساء اللاتى تقبلن على الزار منها الخمول وعــدم القــدرة على الحركة بنشاط ثم آلام الرجلين والذراعين أو الصــداع الدائم أو الروماتزم أو الحساسية . وكثيرا ما تذهب الى الزار نساء مصابات بأمراض باطنية أو عقلية أو يعانين من عــدم انجاب الأطفال أو أمراض النساء بل كثيرا ما سمعنا من نساء أن النزيف الذى يصيبهن ناتج من الأسياد وأن الأسياد هم الذين يقتلون الجنين فى بطن الأم وان بعض هــؤلاء السادة (الأسياد) يصيب الأطفال بالصرع أو يمنع الفتيات من الزواج أو يخفض دخل الأسرة من الحاصلات الزراعية أو ارباح التجارة فيكون لزاما على هؤلاء النساء أن يقمن الزار لترضية الاسياد وحتى تنصلح أحوالهن الصحية أو المعنوية . وهناك ذوات الأمراض العقلية .

وتعتقد السيدات أن أمراضهن التى تستلزم العلاج بالزار تنتج من غضب الاسياد نتيجة :

١ — أن القت المريضة بماء على الأرض فى المساء دون أن تقــول دستور يا اسياد فأصاب (المــاء) الأسياد فيقتصون ممن فعل ذلك .

٢ — الخبط برجل المرأة على الأرض فى المساء دون أن تحترس .

٣ — الصراخ فى « دورة المياة » أو فى أى مكان فى الظلام .

٤ — تعمد احــدى السيدات فى كل مساء أن تتطيب وتتعطر قبل أن تنام فهم يحبون الأجسام النظيفة الطاهرة فيحلون بها .

٥ — النــوم والنساء تبــكى .

٦ — ذكر أسماء الأسياد بشىء من السخرية وعــدم الاحترام اللائق بهم .

٧ — تكرير النظر الى المرآة فى الليل .

كل ما سبق — فى اعتقاد نساء مصر المعاصرات — يسبب تلبس الأسياد لجسد المراة ولا علاج له سوى الزار (من وجهة نظرهن) .

(هـ) اغانى الزار وموسيقاه :

١ — اغانى الزار :

تختلف أغانى الزار تبعا لاختلاف أقسامه التى ذكرت من قبل وقد لاحظنا أن الأغانى موحدة فى كل الحفلات التى حضرتها أى أن الألفاظ واحدة بوجه عام تقريبا عدا اختلاف بسيط مرجعه اللهجة الأصلية للبلد فهناك فارق بسيط بين أسلوب أهل الاسكندرية والقاهريين وكذلك هناك اختلاف بين بعض الألفاظ التى تستخدم فى الأغانى عند أهل الصعيد والقاهرة ولكن الاغانى مشتركة بوجه عام فى كل البلاد تتضمن أشياء عديدة مثل :

١ — أسماء أشخاص كثيرين ربما كانوا فى يوم ما ذوى مكانة فى المجتمع مثل يوسف وعبد السلام وعيشته المغربية وسليمة وياوربيه وأم الغلام وسليلة .

٢ — اسماء لرجال الدين مثل النبى ص.ع والسيد البدوى وعيسى ابن مريم وام جهيانه ومردوم وعبد القادر الكيلانى والسيدة زينب والمتولى .

٣ — أسماء رجال ذوى وظائف (على ما يبدو) مثل حكيم باشا . والعسكرى والوزير والقسيس وبنات المدرسة .

٤ — أسماء شخصيات لها طابع خاص مثل سلطان الجن الأحمر وسلطان البحر وابنته سفينه ثم ركوشة .

■ — أسماء لا معنى ولا مدلول لها مثل شيضار وأيوه وورومى نجدى وماما وأوره .

وعلى سبيل المثال ضمن الأغانى المشهورة فى كل زار :

١ ــ أول افتتاح الكرسى سميت باسم الله المعبود . عندنا اليلة عندنا محضر . عندنا يوسف وأخته فى الميدان يحضروا عندنا رومنا وحوقة فى الميدان تحضر وعندنا سيدنا محمد فى وسط الميدان يحضر عندنا شمع الليــالى فى وسط الميدان يحضر .

٢ ــ بيت ماما وادوه Mama Wadoh ماما ودايه انى وادوه ماما على يبيت ماما ياما وادوه ياما ودايه .

٣ ــ فاتحة الكرسى العربى : اللهم صلى على المصطفى النبى الرسالة وبحر الوفا .

٤ ــ أول ما بدينا على النبى صلينا أحمد يا محمد ياسائل علينا .

٥ ــ من السودانى : صلى على نبينا صلوا عليه احب النبى والله يصلى عليــه .

(أهلا يا بلال غانية وبرهام ، أبو مرايه يابو مرايه يلعب بالعصاية ، يا منظم يا بابا آه يا منظم مش السلاح يا بابا آه يا منظم افتح الباب يا بابا . كلثون يا كلثون كلثون السودانية من الجبل جاية) .

٦ ــ والله بأنى ماما على ماما من اليمن جينا . جينا على الصفية زى الهوا جينا وجبنا بخور العود لمــاما والرب أهــو موجود يستر ويرضينا ، لمــا رمانى الشوق على ماما صمنا وصلينا لابسين حرير أخضر ، ما ورد ورقينا ، قادوا الشموع لمــاما ونصبنا كراسينا .

٧ ــ ارحمنى يا مولاى يا شيضاره وأيوه رب العباد ربياه يا شبدار وايوه يا رب المعبود يا غفار الذنوب على العاصى وتتوب ، كل ما انوى واتوب يغلب على الوعــد والمكتوب .

٨ ــ يا سلامى على البشوات الأسسه الكبرات عـــوايدهم سنوى ينصبوا البوفيهات ، وجابوا لنـــا الخمرة فى ازازة حمرة . أشرب يا قسيس وفرق على الخواجات انصبوا له البوفيه والنجف حواليه وانزل يا قسيس ككل المدامات . يا عيسى بن مريم دخل بيتسلم والنسبحة فى أيده والصليب هجــرات .

٩ ــ سليلة مرحبا يا غـــزال لمبعى يا حلوه يا سليلة حلوة وجميلة كدالة . مرحبا يا غزال لمبعى(*) ودى داخلة الحمام ، والمية وردى ايه ، مرحبا يا غزال لمبعى والمشط فضه ست وعظيمة كده ليه .

٢ ــ موسيقى الزار :

الموسيقى التى تصحب هـــذه الأغانى بدائية أنغامها تسير على وتيره واحـــدة فى الأغلبية وتتخـــذ نفس الدرجة من حيث الحـــدة والمستوى الصوتى . كما أن موازينها متشابهة والجمل الموسيقية فيها متكررة فيمـــا عـــدا ابو الغيط والعربى حيث تستعمل آلات ذات أصوات حادة مثـــل السلامية فتصل انغامها الى السبرانو Soprano ولكنها مع ذلك تعبر عن مسحة من الحزن والأنين اللذين يصحبان الابتهالات الدينيـــة فى أغلب الأحيان .

وكل ما يستخدم من آلات وترية وآلات نفخ أو طبل يعبر عن المستوى البدائى للموسيقى بصورة واضحة وبكل ما تحـــويه بدائية الموسيقى من صخب ووقع شديد على الآذان .

ولنا ان نذكر على الهامش أن ما يتم فى حفلات الزار له جانب آخر على درجة عالية من الخطورة .. فلقـــد شاهدنا فى الحفلة المذكورة اثناء

(*) لمبعى : سليلة من أسياد الحمام وينبع من السعودية .

دق الطبول ولف السيدات للتبخر ، ارتمائهن فوق بعضهن « بطن لبطن » واستمرارهن على ذلك فترة طويلة ، ولاحظنا علامات الشبق الشديد للشذوذ الجنسى بين النساء Homosexuality . والرجال الذين حضروا الزار كانوا يمارسون شكلا من أشكال الاتصال الجنسى بالنساء وذلك عن طريق الاحتكاك المتواصل بالنساء أثناء اللف حول « البخور » . وكانت تمايلات النساء على دقات الطبول ذات ايحاءات جنسية مثيرة .

ثامنا — الحســد :

يرجع أصل عادة الحسد الى العهد الفرعونى حيث كان الفراعنــة يؤمنون بالحسد ويتلون على أبنائهم ما يحميهم من الحسد عن طريق الكهنة .

ولقـــد ورد فى القرآن ما يشير الى الحسد وذلك فى سورة الفلق (مكية) :(**قــل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاســق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقــد ومن شر حاسد اذا حسد)** ..

والحسد فى معناه الشمولى هو الرغبة الداعية أو غير الداعية فى ايذاء شخص ما .

وتعتبر المرأة المصرية المعاصرة من اكثر نساء العالم ايمانا بالحسد . وهى لذلك قــد ابتدعت الكثير من الأفعال المتعلقة بذلك الايمان الشــديد بالحســـــد .

من هــذه الافعال على سبيل المثال :

— جلب قطعة ورق أزرق ويستحسن أن يكون « جلاد » سميك بعض الشىء ، وتشكل على هيئة عروسة وتبدأ الأم فى ذكر أسماء معينة (لأصدقاء أو صديقات أو جيران) وكلما ذكرت اسم « خرمت » بابرة « خرما » وهى تتمتم فى عين فلان أو فلانه . ثم بعــد انتهائها من ذلك تحرق ويلقى بها فى الشارع فى أثناء آذان المغرب .

(وعادة ما يستخدم ذلك بالنسبة للأطفال حين يمرضون أو يفشلون فى الدراســة) .

— تأخــذ المرأة كمية من الملح بيدها الشمال وترجع بظهرها حتى تصل لمكان به ماء وتضعهم فى هــذا المــاء .

(وعادة ما تستخدم ذلك عندما تعتقد المرأة ان بيتها قــد اصــابه « عــين » أى حسد) .

— تضع المراة متقد به بخور قـوامه « فكك وفكوك » والمنقـد به جمرات ، فتتصاعد رائحة البخور وتبخر المراة ابنها حيث تلفه فوق المنقـد سبع مرات . ويستمر البخور متصاعدا حتى يحرق حرقا كاملا فتجمعه المراة ثم تضع معه اى عمله معـدنية . ويلف ذلك جميعا فى « لفـة » من القماش يستحسن أن يكون « عبـك » وتلقى به المراة فى أربع « مفارق » . اى اربع تقاطعات شوارع .

(وعادة ما يستخدم ذلك مع مرض الطفل الرضيع) .

— تأتى المراة « بحرباية » (فرع من الحيوانات الزاحفة) تكون خضراء (ملحوظة لا توجـد حرباية لونها اخضر بل لونها الأساسى يميـل الى الرمادى وهى قادرة على التلون مع المكان الذى توجـد فيه) ، وتفتح بطنها وهى حية وتضع المراة بداخلها سبع « حبات » قوامها « فلفل اسـود وكسبرة » ثم تجرى عملية تخييط لبطنها . وتعلقها فى الشمس حتى تجف . ثم تعلقها المراة على باب شقتها .

(يستخدم ذلك لمنع الحسد عن المنزل (الشقة) واهله جميعا) .

— تضع المراة حـدوة حصان على باب المنزل (الشقة) .

(وتستخدم ذلك لمنع الحسد عن المراة نفسها) .

— تأتى المراة « بفرس البحر » (نوع من الحيوانات البحرية) ذكر وانثى ، وتعلق المراة « فرس البحر » انثاه وذكره على باب المنزل (الشقة) .

(ويستخدم ذلك عندما تعتقد المراة فى أن رزق المنزل قـد قـل نتيجة الحسـد) .

— تضع المراة على ملابس طفلها كف يد أزرق (خمسة وخميسة) بمعنى أن ما ينظر الى الطفل فلينتقم منه الله بوضع خمسة اصابع فى عينيه (ولا نفهم لماذا خمسة اصابع !) .

(ويستخدم ذلك لمنع « الحسد » عن الطفل ؟ .

ـ اذا شكت امرأة من أخرى تدعوها الى فنجان قهوة وبعـــد خروجها تحرق بواقى البن وهو ما يسمى (بالتنوه) وتضــــــعه فى منقــد به فحم مشتعل وتبخر به المنزل .

(ويستخدم ذلك لمنع « الحسد » عن المرأة نفسها) .

نكتفى بهــذا القـــدر من عينات التصرف المضاد من قبل المرأة متى احست ان هناك نوع من انواع الحسد قـــد اصابها هى أو أطفالها أو منزلها بشكل عام .

تاسعا — الغـــيرة :

بقـــدر ما تعتبر الغيرة فى نظرنا استجابة انفعالية لانفعال عدوانى بقـــدر ما نعتبرها عادة منتشرة انتشارا واســـــعا بين النساء المصريات المعاصرات .

وبشكل عام فان كلمة Jealous الانجليزية وكلمة Jalousé الفرنسية وكلاهما تعنى (غيور) مشتقة من أصل كلمتين يونانيتين احدهما بمعنى الحمية أو الحماس والأخرى تعنى الفوران أو الغليان . وكان قدماء اليونان يعبرون عن هـــذه الكلمة بالحب العميق الزائد . وكان قدماء الرومان يعبرون عن الغيرة بكلمة Zelotypio وفيها اشتقت كلمة Zealous وتطورت الأخيرة الى Jeolous أو Jalouse .

وتتخـــذ الغيرة اشكالا وانماطا مختلفة كعادة فى المجتمع المصرى وبين نسائه المعاصرات :

أولا — الغـــيرة التقليـــدية :

وهى ما نقصد به ما شاع بين العامة حول الحب الشديد أو « الولة » على الزوج أو الزوجة .

ثانيا — غـــيرة ناقـــلة :

وهى ما نقصد به نقـــل الفعل عن الآخرين . ودون مراعاة هل هو مناسب للناقل أم لا ؟ وهل هـــو ضار أم نافع ؟ وعادة الغيرة متوارثة فى المجتمع المصرى المعاصر بين نسائه نتيجة تفشى الأمية ســـواء تعليمية أو ثقافية ، تتوارثها الابنة عن الأم وتدعمها « حكاوى » المجتمع المتخلف الذى تحيا فى وسطه النساء فى مصر .

وسوف نذكر بعضا من ممارسات عادة الغيرة :

— غيرة الزوجة على زوجها أو من تحب ويتخـــذ ذلك شكل تدريجى بدءاً من المعاتبة للمضايقة ثم المحاصرة والشجار المستمر .

— غيرة أمرأة من أخرى لأنها أجمل منها مثلا أو ترتدى زيا أفخم من زيها أو « موضة » تلفت الأنظار . فتلجأ الأخرى الى النقل المباشر بشراء أدوات تجميل مشابهة دون أى مراعاة لمـــا يناسبها .

— غيرة أمرأة من أخرى لأنها تتميز عنها بأشياء كثيرة ليست موجودة لديها ولا تستطيع النقل عنها . هنا قـــد تدبر المرأة للأخرى العـــديد من المكائد بشكل ارادى مثل تشويه السمعة أو محاولة « خرب بيتها » . أى جلب عديد من المشاكل لها سواء بين المجتمع بشكل عام أو فى مجتمعها الخاص (العائلة أو الأسرة) .

عاشرا ــ عادة الختان للاناث :

يرجع أصل هــذه العادة عقب انتزاع حــق النسب من الام للأبناء فى المجتمع المشاعى البدائى ، وبعــد أن أصبح النسب للأب فى المجتمع العبودى وبداية المجتمع الاقطاعى . وما قام به رجال الدين فى العصــور الوسطى من اعلاء شأن الرجل وجعل المرأة كائنا دونيا ، وحــددوا للمرأة دورها كخادمة للرجل وأداة أنجاب للأسرة ، والغوا أى أدوار أخرى لها .

وشهد التحول من العصر المشاعى البدائى الأول الى العصر العبودى ثم العصر الاقطاعى ، العــديد من الحروب التى استلزمت انتقال الرجال الى أماكن الحروب تاركين وراءهم زوجاتهم ، ولمــا كان قــد استقر فى أذهان الرجال أن المرأة كائن منحرف سلوكيا وجنسيا على وجه الخصوص لأنها محملة بالشر والخطيئة ، فقــد اخترعوا لهــا حزام العفة الحــديدى لعــدم اطمئنانهم لسلوكها الجنسى ! .. وكان حزام العفة هــو بداية الحجر على الانثى جنسيا . والختان هــو التطوير العصرى !! لحزام العفة .

وفى المجتمع المصرى المعاصر ما أن تبلغ البنت (عادة) أو فى أحيان أخرى (ليس دائما) قبل أن تبلغ تجرى لهــا الأسرة التوجيهية عمليــة الختان . أنها واحــدة من أبشع العادات واحقرها وهى جريمة فى رأينــا وليست عادة ان شئنا الدقــة .

وسوف نستعرض فيما يلى :

١ ــ وصــف لعملية ختــان .

٢ ــ لمــاذا نجرم تلك العادة ؟

١ ــ وصــف لعملية ختــان :

الختان عادة منتشرة فى المجتمع المصرى المعاصر بين نسائه من جميع الطبقات . والطبقة البرجوازية الكبيرة هى التى تملك الذهاب الى الطبيب الذى يجرى « عملية تجميل » للبظر اذا احتاج الأمر الى ذلك وليست الطبقة البرجوازية الكبيرة كــكل هى التى تفعــل ذلك ولــكن المثقفين من هــذه الطبقــة .

أما فى أوساط الأسر الفقيرة والمتوسطة فالحال تختلف تماما . فليس الطبيب هـو الذى يجرى عملية الختان (الطبيب لا يجرى عملية ختان ولكنه يجرى عملية تجميل للبظر فقط اذا احتاج الأمر الى ذلك) وتقوم بهذه العملية أمرأة تسمى « الداية » .

ولم يسعفنا للأسف اى مرجع من المراجع بوصف عملية ختان . وبعد العـديد من المحاولات حضرنا احـدى حفلات ختان لفتاة فى أحـد الأحياء المتوسطة اقتصاديا :

يجتمع حشـد من النسـاء الأقـارب المتزوجـات غـير المتزوجات وعـدد كبير من الأطفـال والأخـوة الذكـور والأب وعـدد محـدود جـدا وخاص جـدا من الرجال . تعم الجميع فرحـة غامرة !! وتتهامس النساء فيما بينهن بجمل غاية فى القباحة ودلالة قاطعة على مدى تخلف المرأة فى المجتمع المصرى المعاصر مثل : (خليها تبرد نارها) أو (خليها تبقى عازبة مش مالحة) أو (شوية ويتهد حلها .. الحال من بعضه) أو (ده يكسر أنفها) أو (بكرة تتجوز ومهما عمل فيها لا تتعب ولا تحس) ويعقب كل جملة من هـذه الجمل ضحكات مرتفعة هستيرية دلالة على الموافقة والترحيب بمزيد من التعقيبات ، الواضـح انها ذات دلالات جنسية صارخة ، وفى رأينا أن هـذا الضحك هـو نوع من انواع « الشماتة » أو تعويض لنقص فمعظم الجالسات حـدث معهن ما يحـدث مع الفتاة المذكورة .

تدخل الداية وهى سيدة كبيرة فى السن قـوية الجسد ، متسخة ، أظافرها نافرة ، معها منديل معقود به مشرط طويل عرضه حوالى ٥ر٢ بوصة يشبه سكين الجزار . وتتطوع خمسة من النسوة ذوات الصـحة الجيدة من المدعوات الى الدخول معها (مع الداية) يبدأن على الفور فى رفع ملابس الفتاة حتى الجزء الأعلى من الجسم ثم يوزعن انفسهن كالآتى :

١ — احـداهن تقف عند كتفيها ضاغطة عليهما بكل قوة .

٢ — اثنتـان يمسكن بالفخـد الأيمن واثنتـان يمسكن بالفخـد الأيسر ، ويفتحن الفخـذين الى آخر حـد ممكن حتى يبدو العضو التناسلى للفتاة وهى فى حالة صراخ هستيرى بشع .

٣ — تقوم الداية بمنتهى الهـدوء — وبحركة سريعة جـدا — بضرب مشرطها قاطعة البظر تماما ومعه جزء من الشفرتان .

٤ — نزيف حاد تنزفه الفتاة وهى فى غيبوبة من جراء هـذه العملية الاجرامية دون أى بنج أو حتى شفقة انسانية .

■ — أثناء العملية تكون النسوة يمضغن « لبان دكر » ويضعنه فى طبق ، ثم يشربن قهوة وتترك الأكواب أو الفناجين دون غسيل ، وتقوم احـدى السيدات بجمع بقايا القهوة « التنوة » فى طبق آخر . ويطلق البخور اثناء العملية بين النسوة المنتظرات .

٦ — ما أن تخرج الداية يكون ذلك ايذانا بانتهاء العملية فتتعـالى الزغاريد الهستيرية وتقوم احـدى السيدات بخلط « لبان الدكر » و «تنوة القهوة » و « البخور المحترق » معا وتقـدمهم للداية . التى تدخل مرة اخرى ومعها فرقة المتطوعات لتضع الخليط السابق على الجرح وتضغطه بشكل قاسى جدا ثم تضع فوقه قطعة من قماش خشن (عبك) .

٧ — تخرج الداية مرة أخرى مستأذنة فى الخروج متلقية التهـانى و « النقطة » أى الهبة وهى مبالغ مالية مجاملة لأهل الفتاة .

٢ — لمـاذا نجرم تلك العادة :

لن نخوض تفصليا فى ذلك الآن فسوف نتحـدث عن ذلك تفصيليا فى الفصل التالى . ولكننا نذكر بشكل عام أن هـذه العادة الاجرامية تفقـد المراة كل حساسيتها لممارسة الجنس وبذلك تحرمها من أحـد حقـوقها الأساسية فى الحياة . ومن ناحية أخرى هـو استهانة بقـدر المراة الى درجة تصورها انها ثور هائج لابد من كبح جماحه جنسيا نتيجة معتقـدات خاطئة ومتخلفة ومنحطة .

ان ما ذكرناه منذ بداية الفصل حتى الآن لا ندعى أنه حصرا عاما لكل عادات المراة المصرية المعاصرة ولكننا رأينا من وجهة نظرنا أن تلك العادات هى اكثر العادات شيوعا بالنسبة للمراة المصرية .

ونذكر أننا حاولنا قــدر الجهد وقــدر الطاقة الحصول على مظاهر هــذه العادات وأصولها ، ولاقينا العــديد من الصعاب من أجل ذلك ونزلنا كباحثين حقليين الى مواقع ممارسة بعض العادات التى ذكرناها لأننا لم نجــد المراجع التى يمكن أن تخــدم موضوع البحث .

ولعلنا نكون قــد وفقنا الى توضيح العادات التى ذكرناها آملين أن نستطيع طرحها على بساط البحث السيكولوجى فى الفصل التالى .

* * *
* *
*

مراجع الفصل الثانى العربية

١ — دكتور/سيد عويس ، حديث عن المرأة المصرية المعاصرة (دراسة ثقافية اجتماعية) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٧ .

٢ — أبو معشر الفلكى ، طوالع الرجال والنساء والطالع الحدسى ، مكتبة الجمهورية العربية ، ١٩٦٦ .

٣ — دكتور/سيد عويس ، حديث عن الثقافة (بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة) ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

٤ — ادولف أرمان وهرمان رانكه ، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة : ترجمة عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٨ .

٥ — محمد عوض خميس ، دفاعا عن المرأة ، العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ .

٦ — أيتين دريوتون وجاك فانديبه ، مصر ، ترجمة عربة عباس بيومى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ .

٧ — سيرو.م فلندرز بترى ، الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ، ترجمة حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

٨ — دكتورة/فاطمة المصرى ، الزار (دراسة نفسية وأنثروبولوجية) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

٩ — محمد محمد جعفر ، الغيرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ .

١٠ ــ القرآن الكريم .

١١ ــ الأحاديث النبــوية .

١٢ ــ الاصـــحاح القــديم .

١٣ ــ فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية فى ج. ع. م. ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .

١٤ ــ فتوح أحمد فرج ، المــأثورات الشـعبية الأدبية للطفولة والأطفال ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعـــة القــاهرة ، ١٩٧٦ . (اشراف د. نبيلة ابراهيم) .

مراجع الفصل الثانى الأجنبية .

1 — Roger Ràmondon, " Un Papyrus Magique Copte ". Extrait du Bulletin de l'Institut Françaıs d'Archéologue Orientale, T. L. 11, Le Caire, 1953.

2 — Samuel M. Zwemer : The influence of animism on Islam, New York. The Macmilian Company, 1920.

3 — Enrico Cerillizar, Encyclopaedia of Islam, Vol. IV, 1917, Wädegenni of Abyssinia, Lillman, Vol. II.

4 — A. J. Haues, The sources of the Blue Nile, London; Smith Elder, 1905, 286, Citing, A Journey through Abyssinia.

5 — Snouck Hurgronge, Mecca, 2, London; Macmillan, 1921.

6 — Seligman C. G, Races of Africa, London, 1939.

7 — A. H. Gardiner and K. Sethle, " Egyptian Letters to the Dead ", London, 1928.

8— A.Piankoff and J. Clére, &' A letter to the Dead on A Bowl in the Louvre " Reprinted from " The Journal of Egyptian Archelolgy " Vol XX, Parts III, IV, 1934.

الفصـــل الثالـــث

سيكولوجيا المرأة المصرية المعاصرة من خلال عاداتها وتقاليدها

يقترف البعض خطاءا شنيعا ، عندما يتصورون أن الموقف من المرأة — فى أى مجتمع — هـو مجرد ظاهرة تتعلق بالبنية الفوقية وحـدها . ان ذلك الخطأ مبعثه أننا نقف أمام علل لا أمام ظواهر فقط . فعندما نقترب من مشكلة المرأة تنعكس لا البنية الفوقية فحسب ، بل بنية المجتمع كله بتمامه وكماله . ذلك ان مشاكل المرأة أشبه ما تكون بعقدة أفاع لا تميز رؤوسها من أذنابها . وبالتالى فالحل هـو الغوص الى الجذور ، جذور كل تخلف وتأخر وكذلك جذور كل اضطهاد .

فقـد حاولنا الغوص الى الجذور ، جذور التخلف الذى تحياه المرأة المصرية ، والناشىء حتما من اضطهاد المجتمع لها .

واستكمالا لمـا بدأناه ، فلابد من الاشارة الى موقف الرجل فى المجتمع المصرى من المرأة فى نفس المجتمع : فاذا قرانا ما يكتبه العـديد من الكتاب المصريين عن المرأة المصرية او اذا استمعنا لمـا يقـوله معظم المفكرين المصريين فى أحاديثهم الاذاعية مثلا ، لوجـدنا أن المرأة المصرية فى آرء أولئك وهؤلاء ، لغز محير كما يقول « فرويد » . وهى شخص لا يمكن أن يفهم ، بل يجب الا يفهم . وهى شخص يحاول هؤلاء المصريون الذكور أن يخلعوا عليه صفات الذكـاء أحيانا والبلاهة أحيانا أخرى ، وصفات العاطفة النارية أحيانا والعاطفة الباردة أحيانا أخرى ، وصفات الكذب والبهتان أحيانا والمراوغة وعـدم الصراحة أحيانا أخرى . ويرى بعضهم ان المرأة هى شخص « مستهلك » على عكس الرجل فهو شخص « منتج » . ويفسرون هـذا القول بأن الرجل يعمل « ويكسب » ويعطى المرأة بعض أو كل « ما يكسبه » لتنفق (تستهلك) ، وحتى اذا كانت تعمل فهى تعتمـد عليه تماما كما لو كانت لا تعمل فهى تنفق « ما تكسبه » على نفسها فى اكتناز الذهب ! أو فى مكياجها وملابسها ومواصلاتها ... الخ . ولا يقتصر الأمر على هؤلاء ، ولكننا نجـد أيضا معظم الفنانين الآخرين فى أعمالهم التصويرية أو المرئية أو المسموعة ، يساهمون فى نعـت المرأة المصرية بصفات يأبونها على أنفسهم ، صفات مطلقة ، أى غير واقعية .

وهـــذا بلا شك اثر على الذكور العاديين فى نظرتهم للمراة . فالمراة عندهم : « شيطان رجيم » ، ولعن الله النساء ولو نزلن من السماء . وأن كيدهن عظيم . ولا أمان للنساء ، واذا عرف الرجال ما تفعله النساء وهن فى خلوتهن لمـــا تزوجوا قط .

واذا مرضت الزوجة يبلغ زوجها عن ذلك بقوله « الفخـــدة عيانه » ، واذا احتاجت المراة الى عملية جراحية مثلا فقد يرى الزوج أن يتزوج مرة اخرى فهـــذا اوفر « وارخص » . وقـــد يعلن احـــدهم عن الزواج فيقول مداعبا « أنا رايح البلد اجوز لى جاموسة » . كل هـــذه حقائق عن المراة المصرية المعاصرة يعرفها كل من يحاول أن يقرأ صفحات كتـــاب المجتمع المصرى المعاصر فى الأماكن التى يعيش فيها اعضاء المجتمع مثل القـــرية « والحارة » والأسواق . ذلك علاوة على تعـــدد الزوجات ، ذلك المرض المنتشر فى المجتمع المصرى .

ان معظم الذكور فى المجتمع المصرى يرون فى المراة عواملها التكوينية فقط .

اى أنهم يرون تباين هـــذه العوامل عنها فى الرجل ، ويرون لذلك ، ان الرجل هـــو الأقوى والأعظم وأن المراة هى الأضعف والأحقر . أنهم ايضا لا يرون دورا للمراة عـــدا دورها كزوجة وام .

ان هـــذه النظرة من الذكر المصرى للانثى هو محصلة ما زرعـــــه المجتمع المتخلف فى عقله بدءا من استخدام جسد المراة للاعلان عن السلع مثل : أدوات المكياج والمـــاكولات وحتى الاعلان عن المياه الغازية ، الى ما يسمعه ويشاهده ويقراه وكلها تدفعه دفعا الى رؤية المراة جسد وفقط . والى الحط من قـــدر المرة بكل الصور .

ان مفهوم الذكر المصرى عن الانثى فى مجتمعه ، مفهوم منحرف بكل المقاييس . مفهوم يستند الى تحريك الغريزة الجنسية لدى الرجل فى كافة

تعاملاته وبالتالى رؤيته للمراة . ولقـد شارك فى ذلك كما قلنا ما يتلقاه الرجل على أيدى صانعى وعيـة ونمطه الحضارى المتخلف من المدعين : سواء فى الفكر أو الفن أو التربية .

ولقـد انعكس ما سبق الاشارة اليه فى الفصلين الاول والثانى حتى هـذه السطور ، على الانثى المصرية ، فجعلها كائنا مشوها نفسيا متخلفا الى حـد بعيد ، حتى لقـد باتت كائنا خانعا وديعا : يطرب لضـعفه ولتخلفه ، ينساق الى امتاع نظر الرجل ، يؤمن بمحـدودية الدور وصغره وتفاهته ، يؤمن بالخرافات ، تتحكم فيه عادات وتقاليد بالية . بل لانغالى ان كثير من الاناث فى المجتمع المصرى الحـديث بتن يرددن نفس العبارات المنحطة التى تتردد على لسان الذكور وهن يصفن النساء والتى أوردنا بعضها من قبـل .

ولمزيد من التوضيح فان هـذا الفصل اعتماده الأساسى على علم النفس حيث :

انه العلم الذى يدرس « الحياة النفسية » وما تتضمنه من افـكار ومشاعر وأحساسات وميول ورغبات وذكريات وانفعالات .

ـ أو العلم الذى يدرس سلوك الانسان ، أى ما يصدر عنه من افعال وحركات ظاهرة .

ـ أو العلم الذى يدرس أوجه نشاط الانسان وهو يتفاعل مع بيئته ويتكيف لهـا .

وحيث يبحث فى :

١ ـ كل ما يفعله الانسان ويقوله أى كل ما يصدر عنه من سلوك حركى أو لفظى كالمشى والجرى والأكل والكتابة والكلام والهرب والاعتداء والضحك والابتسام .

٢ ـ كل ما يصــدر عنه من نشاط عقلى كالادراك والتذكر والتخيل والتفكير والتعليم والابتكار .

٣ ـ كل ما يستشعره من تأثيرات وجـدانية وانفعالية ، كالاحساس باللذة أو الألم ، وكالشعور بالضيق أو الارتياح ، بالحزن أو الفـــرح ، بالخوف أو الغضب . وكل ما ينزع ويميل اليه ، أو يريده ، أو يرغب فيه ، أو ينفر منه .

وهكذا فى رأينا : أن علم النفس لا يقصر دراسته على النشاط الباطنى الداخلى أى الذاتى Subjective أى على الخبرات الشعورية ، بل هــو يدرس النشاط الحركى أيضا ويعتبره نشاطا نفسيا ما دام يصدر عن الانسان وهــو يتعامل مع بيئته .

فالظواهر التى يدرسها علم النفس عقليـــة كانت أم وجــدانية أم حركية ، تشترك كلها فى أنها أوجه نشاط أو استجابات تعكس تأثر الانسان ببيئته وتأثيره فيها حيث أن الحياة النفسية ما هى الا خبرات شــعورية وســـلوك .

ولكى تزداد الصورة وضوحا ، فنحن ننظر الى علم النفس من حيث انه يدرس :

(أ) ما يصدر عن الانسان من نشاط ظاهر أو باطن .

(ب) كيف يحــدث هــذا النشاط ويتم ؟

(جـ) لـــماذا يحــدث ؟ .

ويهمنا أن نصل لتحــديد مفهوم الصحة النفسية ليكون مدخلا لهــذا الفصل وقبل أن نحـــدد ما نحن متفقين معه من تعريف الصحة النفسية ، لنا أن نوجز بعرض الحقائق التى أوصلتنا للاتفاق مع تعريف للصــــحة النفسية على النحو الآتى :

١ ــ الصحة النفسية ليست قيمة واحدة وانما هى عدة قيم ، أو هى عدة مجموعات من القيم ، التى يمكن ترتيبها على مستويات تصاعدية .

٢ ــ الفروق بين هذه المستويات هى بالضرورة نوعية وليست فقط كمية .

٣ ــ أن الانسان فى حالة تطور دائم ، ليس فقط فى تاريخه كنوع ولكن ايضا اثناء حياته كفرد مستقل .

٤ ــ انه ينبغى فحص الفرد وبيئته فى نفس الوقت ، لتحديد نوع ومدى صحته النفسية .

ونحن نتفق مع تعريف الدكتور/يحيى الرخاوى للصحة النفسية :

« ان الصحة النفسية هى توازن القوى التى توجه امكانيات فرد معين فى مجتمع ما فى وقت بذاته لتحقق لهذا الفرد احتياجاته المرتبطه بدرجة تطوره والتى يتم بها التوافق الداخلى والتلاؤم مع ما حوله فى نفس الوقت » .

حيث ان هذا التعريف يركز على توازن القوى وارتباطه بعامل الزمن ، لأن : الفرد يتغير ، والرؤية تتغير ، والاحتياجات تتغير من وقت لآخر ، ومن ثم فان التوازن وقياسه يتغير من وقت لآخر ، فهى عملية تناسب مستمرة تتوقف على الوقت مثلما تتوقف على العوامل الأخرى مجتمعه أو على انفراد .

وعليه يمكننا أن نوضح :

١ ــ أن الانسان كائن متطور كفرد ، كما أنه متطور كنوع ، وصحته النفسية تتوقف على توازن القوى المسئولة عن التوافق والتلاؤم التى تختلف اثناء مراحل النمو ، كما تختلف من فرد لفرد ومن مجتمع لمجتمع .

ويمكن وضع الصحة النفسية للراشــد فى مستويات تصاعدية تبعا للقوى الغالبة المستخدمة للمحافظة على التوازن ، وهــذه المستويات هى :

ــ المستوى الدفاعى (العمى النفسى المريح) .
ــ المستوى المعرفى (الرؤية الراضــية) .
ــ المستوى الخالقى (الحيــاة المتطورة) .

بعــد هــذا المدخل سيشتمل هــذا الفصل على :

(أ) سيكولوجيا المراة المصرية المعاصرة من خلال عاداتها وتقاليدها الأكثر شيوعا (من وجهة نظرنا) .

(ب) سيكولوجيا المراة المصرية المعاصرة من خلال بعض المفــاهيم التى تعتنقها والأفعال التى تاتيها .

(جـ) سيكولوجيا المراة المصرية المعاصرة بشكل عام .

اولا — سيكولوجيا المراة المصرية المعاصرة من خلال عاداتها وتقاليدها الأكثر شيوعا (من وجهة نظرنا) :

استرشادا بالفصل الثانى الذى حصر اهم العادات والتقاليد التى تمارسها المراة المصرية المعاصرة (من وجهة نظرنا) ، فأننا سوف نخضع كل عادة تمارسها لمراة المصرية المعاصرة للبحث السيكولوجى لنرى الدوافع وراء هذه الممارسة ونستخلص مؤشرات الصحة او المرض وملامح الشخصية الممارسة للعادة او التقليد .

١ — عادة السبوع :

نستطيع ان نستخلص من استعراض مظاهر تلك العادة النتائج الآتية :

(أ) أن الأم هى صاحبة الحفل الأول وهى المسئولة عن كل طقوس الحفل .

(ب) أن المولود هو المحتفى به .

(جـ) ان اعضاء الاحتفال الأساسيين هم النسوة (من الأقارب والجيران والمعارف) .

(د) أن هناك رموز عديدة تستخدم فى الاحتفال :

— القلة او الأبريق .
— الشمعة .
— الماء .
— الحبوب والملح .

وكلها رموز يقصد بها ، التيمن بطول العمر . مجرد أمنية ولا تسند الرموز السابقة لأى سند علمى .

(هـ) هناك مجموعة من الخرافات تعتبر من الطقوس الأساسية للسبوع مثل :

اطلاق البخور ←—— من أجل « مباركة » المولود والرضى عنه .

دق الهون ←—— لأن الضوضاء المنبعثة منه تبعد الأرواح الشريرة .

هز « الغربال » وبه المولود ⟵ من أجل الا يفزع الطفل في المستقبل .

تخطى المراة فوق « الغربال » ⟵ من أجل الا يصاب الطفل في المستقبل بأمراض « الكساح » و « القراع » .

وواضح أن كل الطقوس السابقة لا تستند الى اى سند علمى وبالتالى فهى نوع من أنواع الخرافات .

مما سبق يتضح أن المرأة — سواء هى « الأم » أو « المشاركة فى الاحتفال » — ، تعتبر هى المسئولة الأولى عن كل مظاهر تلك العادة ونتائجها .

وعليه فانه ينسب الى معظم اناث مصر المعاصرات بشكل عام — حيث أن عادة السبوع هى واحدة من اكثر العادات انتشارا فى جميع طبقات المجتمع — ما يلى :

ايمان الانثى المصرية المعاصرة بالخرافات (التى تحدثنا عنها سابقا) التى لا تستند الى سند علمى ، ولجؤها الى ذلك من أجل بقاء المولود على قيد الحياة والاحتفال بمقدمه . واذا تساءلنا عن الدافع وراء هذا الحرص الشديد على بقاء المولود والاحتفاء به من قبل الاناث نجد الاجابة سهلة وميسورة حيث :

١ — أن الانجاب يؤكد شباب المراة (من وجهة نظر المجتمع متمثلا فى رجالة بل لعلة أهم معيار لديهم) .

٢ — أن الانجاب ضمان لاستقرار الرجل فى بيته (من وجهة نظر معظم السيدات المصريات المعاصرات) .

٣ — أن الانجاب المتكرر يؤكد ارتفاع مكانة الأم المصرية المعاصرة فى الريف المصرى .

(من وجهة نظر المجتمع متمثلا فى رجاله خاصة فى الريف) حيث أن الانجاب المتكرر يؤدى الى كبر حجم الأسرة المصرية الريفية ويستمد من قيمة الكم حيث نجـد أن الأمثلة الشعبية تخلد ذلك مثل :

« كبر الجرن ولاشماته الاعـدا » ، « امشى على عـدوك معرش ولا تمشيش مكرش » .

وكبر حجم الأسرة المصرية الريفية يؤكد ارتفاع مكانتها اجتماعيـا حيث قيمة « العصبية » أو العزوة .

ويلاحظ على المفاهيم السابقة أنها خاطئة الى درجة كبيرة : فليس الانجاب وحـده هـو معيار شباب المرأة ولكن هناك العـديد من المعايير المتعـددة الأخرى التى تحـدد شباب المرأة ويمكن اجمالها فى الاقبـال على الحياة والقـدرة على العطاء الدائم فى شتى المجالات ، وبالتـالى ليس هناك عمر محـدد لهـذا الشباب بهـذا المفهوم ! ومن الخطأ البالغ نسب هـذا الشباب الى القـدرة على الانجاب وحـده .

وكذلك ليس الانجاب هـو الضمان لاستقرار الرجل فى منزله (اى فى اسرته) ، فالعـديد من الرجال ينفرون من أسرهم رغم تواجـد الأبناء لأسباب متعـددة منها عـدم قـدرتهم على التكيف مع الأسرة (الزوجـة والأبناء) ... الخ .

وبالمثل فان ارتفاع مكانة الانثى فى المجتمع الريفى وارتباطها بتعـدد وتكرار الانجاب هـو درب من الجهل لارتباط ذلك بمفاهيم غير حضارية مثل « العصبية » أو « العزوة » ، عـلاوة على انهاك الانثى فى المجتمع الريفى بتكرار الانجاب .

وهكذا نستطيع ان نصل الى نتيجة محـددة : أن المجتمع — متمثلا فى رجاله بصفة عامة يضع فى أدمغة الانثى مفاهيم تتعلق بالانجاب خاطئة تماما ، وتصبح الانثى مقيدة بتلك المفاهيم وتصبح تلك المفـاهيم مسيطرة عليها تماما واخطرها أن دور الانثى فى الحياة هـو كونها أم وزوجة وتلاشى أو تضاءل باقى أدوارها .

ومما سبق نستطيع أن نصل الى تحليل محـــدد مؤداه :

— المجتمع (متمثلا فى رجاله) يغـــذى عقول النساء بأفكار خاطئـــة عن قيمة الانجاب وضرورته فى الحفاظ على الزوج من ناحية ، واثبـــات لصغر سن المرأة (شبابها) من ناحية أخرى ، وأنه كلما كثر عـــدد الأولاد فى الأسرة كلما زادت قيمة الأسرة الاجتماعية من ناحية ثالثة .

— يؤدى ذلك الى حرص النساء على الانجاب ، ومن ثم حرصهن على الطفـــل (المولود) .

— هـــذا الحرص يتسم بالخوف الشديد من فقد الطفل حاضرا أو مســـــتقبلا .

— تلجأ النساء نتيجة هـــذا الخوف الشديد ، بالاضافة الى جهلهن الثقافى — الى التمسك بالخرافات من أجل الحفاظ على الأطفال ، ويلجأن الى التمثيل الأعظم لهـــذه الخرافات أى الى عادة السبوع .

وفى المحصلة النهائية نجـــد ان نساء مصر المعاصرات (الغالبيـــة العظمى منهن) من خلال ممارستهن لعادة السبوع يعانين من حالة خـــوف مرضى ، لأنه ليس خوفا طبيعيا حيث ان الخوف الطبيعى او السوى هـــو شعور الانسان بالعجز فى مواجهة بعض الأخطار الفعلية القائمـــة مثل المرض أو الموت وقوى الطبيعة والأعـــداء .

ونشير الى أن حالة الخـــوف المرضى المستنتجة من ممارسة النساء لعادة السبوع ، لا تتوقف على الانثى الأم وحـــدها ، ولكن هى تشمل كذلك الاناث متزوجات وغير متزوجات ، حيث رأينا من خلال استعراضنا لهـــذه العادة ، أن هناك الاناث المشاركات فى الاحتفال ، وهن بمشاركتهن فى الاحتفال يعتبرن مؤمنات بمثل ما آمنت به أم المولود وهكذا ينطبق عليهن المعاناة من الخـــوف المرضى .

وحالة الخوف المرضى هـــذه مقرونة باتيان افعال تخرج عن حـــدود التصرف السوى خاصة وانها مقرونة بممارسة الخرافات الغيبية .

٢ ــ عادات وتقاليد تتصل بالموت (الجنازة ــ المــأتم ــ الأربعين ــ زيارة القبــور) :

رصــــدنا عادات الموت وتقاليده فى الفصل الثانى تحت بنود : الجنازة ــ المــأتم ــ الأربعين ــ زيارة القبــــور ــ ونستطيع أن نستخلص من استعراض مظاهر تلك العادات والتقاليد النتائج الآتية :

١ ــ ان عبء الموت بشكل عام يقع معظمه على النساء .

٢ ــ تأتى النساء بأفعال لا يمكن أن تكون نتيجة الحزن العميق على المتوفى ، ولا يمكن كذلك أن تكون أعمالا عفوية ، لأنها أفعال متكررة بشكل نمطى واحــد تأتى فى كل بمناسبة موت ، وبالتالى فهى أفعال معتــادة أى تأخــذ شكل التعود .

وهــذه الأفعال يمكن تلخيصها فى :

(أ) تلطيخ وجوههن بالتراب والطين ويتعمدن السير حفاه .

(ب) لطم خــدودهن وتمزيق شعورهن وشق ملابسهن .

(جـ) الصراخ والعــويل .

٣ ــ هناك تبعية من النساء « للندابة » التى تقود الصراخ والعويل . والتى يقلدنها جميعا بشكل شبه مطلق .

٤ ــ نفس التبعية تنطبق على موقف النساء من « المعــددة » ، وتبحث النساء عن مزيد من الاثارة بتشجيعها على القاء المواويل الحزينة التى تشعل جــذوة الحزن والألم .

٥ ــ تبدأ تلك العادات متسمة بالحزن الشديد الذى يقــل ويفتر ولا يبقى منه شيئا سوى ارتداء الملابس السوداء كعلامة على الحزن الذى كان .

وعليه فانه ينسب الى معظم نســاء مصر المعاصرات ـــ حيث أن العادات والتقاليد المتعلقة بالموت منتشرة انتشارا واسعا جــدا فى جميع طبقات المجتمع ـــ ما يلى :

ايمان الانثى المصرية المعاصرة وخضوعها لعادات الموت وتقاليــده القــديمة وهى حاملة هــذا التراث وحافظته فى معظم الأحيان ، وهى تستمرأ الحزن وتعشقه بلا عقلانية لدرجة جلب الألم بشكل ارادى (مثل لطم الخــدود وتلطيخ الوجه بالطين والتراب والسير حافية) وعن طريق المراة « الحزينة » نفسها .

واذا تساءلنا عن الدافع وراء استمراء هــذا الحزن الذى يصل الى حــد جلب الألم الذاتى . فأننا نجــد الاجابة بسهولة :

ان المجتمع المصرى المعاصر قــد وضع فى أدمغة اناثه قيمة زائفــة وهى : أن الحزن صفة حميدة دون أن يكون لهــذه القيمة اى سند علمى .

ومن الملاحظ ان المجتمع متمثلا فى أجهزة اعلامه لا يحاول بتر هــذه القيمة الزائفة بوصفها وتبيان أثرها السىء نفسيا ومعنويا ، بل أن المجتمع يسهل لتوارث هــذه العادة بمــا يقــدمه من تسهيلات لانتشارها : مثــل التصريح بتواجد النساء فى المدافن لاقامة طقوسهن البالية والغير حضارية واقامة « شوادر » المــأتم ... الخ .

ومما سبق نستطيع ان نصل الى تحليل محــدد مؤداه :

ـــ المجتمع (متمثلا فى الأسرة واجهزة الاعلام والثقافة) يغــذى عقول النساء بقيم زائفة مؤداها أن الحزن صفة حميدة .

ـــ الحزن يبدو بأجلى صورة فى مراسم وطقوس الموت ، وقد وضعت المسئولية الأكبر فى ممارسة هــذه الطقوس على عاتق النساء .

ـــ يؤدى ذلك الى حرص النساء على اقامة تلك الطقوس وما يتخللها من اعمال تتسم بايذاء الذات .

— تلجأ النساء — نتيجة ما وضع فى أدمغتهن من قبل المجتمع ، بالاضافة الى جهلهن الثقافى الى الحرص الشديد على اتباع عادات وتقاليد الموت والابتكار فيها من أجل مزيد من الحزن .

وفى المحصلة النهائية نجد أن اناث مصر المعاصرات (الغالبية العظمى منهن) من خلال ممارستهن لعادات وتقاليد الموت يعانين من حالة معقدة من حالات اثبات الذات بشكل مرضى حيث يتخللها بعض الانفعال ذات الصفة المساسوشية Masochism واثبات الذات هنا تأتى بشكل مرضى نتيجة أن الاناث فى مثل هذه العادات يلجأن الى الحزن والى الأفعال المؤلمة للنفس معنويا وماديا من أجل تلبية رغبة المجتمع المحبذة لأعمالهن تلك ومن ثم فانهن يجدن أنفسهن يلعبن دور « الحزينة » وتقمص هذا الدور واتقانه . وهو دور مريض لأنه ذو تأثير سىء نفسيا . ولما كان اثبات الذات يتم من خلال الأدوار التى يؤديها الفرد فى الحياة من خلال ممارساته ومعتقداته . ولما كان الدور هنا مريضا ، فان اثبات الذات أيضا هى اثبات ذات بشكل مرضى .

٣ — عادة الزفة :

نستطيع أن نستخلص من استعراض مظاهر تلك العادة عدة نتائج من أبرزها ما يلى :

١ — أن المرأة ليست هى القائلة للكلمات الخاصة بأغانى الزفة (الموضحة فى استعراضنا لهذه العادة) ولكن قائل هذه الكلمات هم الرجال .

٢ — أن المرأة هى المتلقية لهذه الكلمات أى هى المستمعة دون أى اعتراض بل تكون سعيدة وهى تسمعها .

٣ — أن كلمات الزفة ، تخرج دائما عن حدود المجاملة أو المباركة بعقد القرآن وهذه الكلمات فى مجموعها تخاطب الغرائز الجنسية للرجل

والمرأة بشكل فج وصريح وتشرح فى كثير من الأحيان العملية الجنسية بين الرجل والمرأة شبه كاملة فى موضع لا يجب الشرح فيه !

٤ — رغم ان المجتمع (متمثل فى رجاله) يبدى حمية واضحة ضد اى تعريض بجسد المرأة ، الا أنه نفس هؤلاء الرجال هم المتغنون صراحة بجسد المرأة وبأكثر اعضائها قدسية واحتراما بشكل علنى ، وذلك فى اغانى الزفة .

٥ — ان كلمات اغانى الزفة بالاضافة الى كونها تتغنى بجسد المرأة وبأعضائه الأكثر حساسية فهى ايضا تصف المرأة « بالهياج الجنسى » وانها فى حاجة دائمة الى اشباع شهوتها الجنسية .

ويظهر الرجل فى صورة الفاعل والبادىء والمرأة هى المتلقية ، وتظهر الرجل فى وضع شبه اللامبالى ازاء ما يحدث من المرأة المتعطشة للجنس .

٦ — رغم ان المرأة ليست هى المشاركة فى القاء كلمات الزفة ، الا انها مشاركة أساسية فى عادة الزفة حيث :

(أ) هى المستمعة (سواء أكانت العروس أو من المدعوات) لهذه الكلمات .

(ب) هى التى لا ترفض الكلمات التى تصف جسدها واعضاءها وتظهرها فى صورة المرأة ذات « الهياج الجنسى » الدائم ، وكان هذا الهياج الجنسى صفة لاصقة بالمرأة .

(جـ) هى التى تشارك فى باقى طقوس الزفة مثل الوقوف مع « العريس » اثناء القاء كلمات اغانى الزفة واللف حول مقامات الأولياء تبركا وتيمنا بمستقبل افضل .

٧ — نود أن نشير الى أن هذه العادة تنتشر اكثر ما تنتشر فى البيئات الشعبية المزدحمة بالسكان والفقيرة اقتصاديا فى الحضر ، وتكاد تختفى تماما فى البيئات البرجوازية الكبيرة .

مما سبق نستطيع أن نقول أن عـــددا لا يستهان بـــه من الاناث المصريات المعاصرات هن على وجه الخصوص من الأحياء الفقيرة اقتصاديا — ينسب اليهن ما يلى :

خنوعهن واستعذابهن للتعرض لأجسادهن بالوصف اللاأخـــلاقى ، وقبولهن لأن يوصفن من قبل الرجال بأنهن فى حالة عـــدم ضبط وسيطرة على طبيعتهن الجنسية فهن دائما — من وجهة نظر الرجال — فى حالة هياج جنسى وذلك من خلال موافقتهن على اقامة « الزفـــة » ولا يقتصر الأمر على « الانثى العروس » ولكن يمتد لكل من يشاركنها من الاناث فى المقام السابق .

واذا تساءلنا عن الدافع وراء ممارسة هؤلاء الاناث لهـــذه العـــادة نجـــد الاجابة فيما يلى :

١ — أنه من حـــــق الرجال التغنى بجسد المرأة وبأعضائها الأكثر حساسية وقدسية (الأعضاء التناسلية) فهى خلقت من أجل اشباع رغباتهم الجنسية (من وجهة نظر المجتمع ممثلا فى رجاله واجهزة اعلامه) .

٢ — ما دام الأمر كذلك (فى النقطة السابقة) فمكانة المرأة ترتفـــع أكثر ما ترتفع حسب امكانياتها الجسدية (من وجهة نظـــر معظم الاناث المصريات المعاصرات انعكاسا لـــا وضعه المجتمع متمثـــلا فى رجاله فى أدمغتهن) .

٣ — تسعد معظم الاناث لمصريات المعاصرات سعادة بالغـــة عندما يتغنى الرجال بأجسادهن كأحـــد اهم العلامات على جمالهن دون أى تضرر من الصفات التى يصف الرجال بهـــا الاناث المصريات مهما كانت هـــــذه الصـــفات ما دامت تمجـــد جسد المرأة وهـــذه الأغانى هى قوام الزفـــة .

وببساطة يمكننا القول : أنه من النادر جـــدا أن نجـــد أنثى مصرية معاصرة تفضل أن تحقق ذاتها كأنسانة مفكرة فى المجتمع ذلك أن المثـــل والقيم التى تتمثلها الانثى المصرية المعاصرة منذ طفولتها حتى مماتها : فى

الأسرة والمدرسة والشارع والصحافة ومختلف اجهزة الاعلام » اى فى المجتمع بشكل عام ، كلها تدفع بها لا الى طريق الفكر والثقافة والفن والعمل المنتج ، وانما الى الزواج من رجل ، حيث الزواج هـو القيمة الأساسية لاحترام المجتمع للانثى .

ولكى تتزوج الانثى فلابد أن تكون انثى كاملة « تمـلأ عين الرجـل المصرى » ، ومعيار ذلك هـو جسدها ، كى تؤدى دورها المفروض عليها كزوجة وكأم ، وتوهم الانثى من قبل المجتمع بأن ذلك هـو أنوثتها وهـذا هـو جمالها . وهكذا تتفاخر المراة بجسدها وتتمتع عندما يتغنى به الرجال فهى تشعر انها هكذا ممتلئه بالأنوثة .

أن هـذه المـأساة التى يصنعها المجتمع المصرى المعاصر المتمثلة فى القيم والمثل السابقة التى يضعها فى ادمغة الاناث المصريات المعاصرات ، تتنافى تماما مع رضى الفرد عن ذاته ومع معايير سعادته ومع بناء شخصيته حيث أن هـذه القيم تختزل الانثى الى جسد وزوجة فقط .

وتلك القيم والمثل تتنافى أيضا مع تعريف الصحة النفسية حيث لا تمكن ـ هـذه المثل والقيم ـ توازن القوى التى توجه امكانيات فرد معين ، وهـذا الفرد فى حالتنا هـذه ، هـو الانثى حيث أن القوى لدى الانثى لا يمكن أن تقتصر على دورها التناسلى فقط الذى يتم من خلال الزواج الذى معياره الأساسى (من وجهة نظر المجتمع المصرى المعاصر متمثلا فى رجاله) الجسـد .

بل أن هناك قـوى الفكر والذكاء والعمل لدى الانثى ، وهى قـوى كامنة بفعل المجتمع المصرى المعاصر الذى يحارب ظهورها بشدة . وبالتالى لا يوجـد التوازن المطلوب لتلك القوى فى الاناث المصريات المعاصرات .

مما سبق نستطيع ان نصل الى تحليل مؤداه :

ـ أن المجتمع المصرى المعاصر كـكل وعلى وجه الخصوص متمثلا فى رجاله ، يغـذى عقول النساء بأفكار غير علمية تابعة من كونه مجتمعا

ذكوريا ابويا متخلفا تتمثل فى ان القيمة الأساسية التى تقاس بها الانثى هى الجسد حيث هـو أداة امتاع للرجل .

ــ ان هــذا المجتمع قــد اختزل دور الانثى فى الحياة على انها زوجة ثم أم وفقط . متغاضيا عن عمد باقى أدوارها فى الحياة سواء فى العمل أو الفكر أو الفن ... الخ .

ــ يؤدى ذلك بالضرورة الى أن تصـــبح معظم الاناث المصريات

ــ يؤدى ذلك بالاناث المصريات المعاصرات بالاضافة الى جهلهــن الثقــافى الى الرضى والسعادة لأقــوال الرجال عن أجسادهن ووصــف تلك الأجساد دون أى احترام .

ــ أن السعادة التى تعيشها المراة وهى تسمع الرجال يتحدثون عن جسدها ، هى سعادة زائفة لأنها نابعة من افكار وقيم زائفة عن قيــاس قيمة المراة بما تمتلك من جسد وهى مبنية بالأساس على تصور لا يستند الى أى سند علمى ، هــذا التصور يضعه الرجال فى عقول الاناث .

وفى المحصلة الأخيرة يمكننا ان نقول ان عــددا لا يستهان به من اناث مصر المعاصرات يمارسن شعورا زائفا بالسعادة ينتج من تبعيتهن للرجال ، حيث ان الرجال يضعون مقاييسا غاية فى التخلف يقيسون بها قيمة الانثى من خلال جسدها الذى هــو عنوانها فى نظرهم ، وبالتالى يسعد عــدد لا يستهان به من أناث مصر المعاصرات عندما يتحــدث عن أجســادهن الرجـــال .

ومما لا شك فيه ان هــذه التبعية وليدة جهل هؤلاء الاناث اللواتى لو أعملن عقولهن فحتما فسوف يرفضن تلك التبعية . التى تقلل من قدرهن وتختزل الانثى المصرية المعاصرة فى كونها جسد فقط .

٤ ــ عادة زيارة الأولياء :

نستطيع ان نستخلص من أستعراض مظاهر تلك العادة عــدة نتائج من أبرزها :

١ — ان زيارة الأولياء تكاد تكون مقصورة على الاناث المصريات .

٢ — ايمان هؤلاء الاناث بأن الأولياء واسطة بينهن وبين الله .

٣ — الايمان المطلق بقـدرة الأولياء على :
(أ) جلب الضرر للأعـداد .

(ب) جلب الخير للأحباب .

٤ — أن الدعوات من اجل جلب الضرر للغير تكون حادة جـدا ودائما تتناول الاصابة بالمرض الشديد أو الفضيحة .

٥ — ان الدعوات من اجل جلب الخير تكون مفرطة فى العاطفة .

٦ — الايمان المطلق بقـدرة الأولياء على التحقيق فى الشكاوى المكتوبة التى ترسلها الاناث للأولياء .

٧ — أن معظم مرسلات الشكاوى وزائرات الأئمة هن من أصـول طبقية فقيرة . وهن من أصول قروية او من ساكنات الأحياء الفقيرة من الحضر .

مما سبق نستطيع ان نقـول أن عـددا لا يستهان به من الاناث المصريات المعاصرات — هن على وجه الخصوص من الأحيـاء الشعبية الفقيرة فى المدن ومن ساكنات القرى الفقيرات فى الريف المصرى — ينسب اليهن ما يلى :

ايمانهن بالخرافات المتمثلة فى اعتقادهن بأن الأولياء واسطة بينهن وبين الله ، وان الأولياء موصل جيد لرغباتهن الى الله . واعتقادهن بأن الأولياء تسمع الدعوات بالشر و بالخير ، وأنهم قادرون على قراءة رسائلهن التى يرسلنها اليهم .

وينسب اليهن ايضا التعامل بشكل غير موضوعى مع همـــومهن وسعادتهن حيث يخرجن هـــذه الأحاسيس على هيئة شحنة انفعـــالية Cathexis غير مدروســـة ، فهـــن عند الغضب بأوالهم يتمنين العـــذاب والألم الحاد لمن تسبب فى ذلك ، وعند السعادة يتمنين الخير كل الخير لمن يخصهن ويسبب لهن السعادة .

واذا تساءلنا عن الدافع وراء ممارسة هؤلاء الاناث لهـــذه العـــادة ، نجـــد الاجابة فيما يلى :

١ ــ ان هؤلاء الاناث مضطهدات فى المجتمع ، ويأتى اضطهادهن من قبل الرجال سواء هم الأخوة أو الأزواج أو الأقارب .

٢ ــ فى حالة شـــعورهن بالاضطهاد ، لا يجـــدن أحـــدا يسمع اليهن ، ذلك أن الرجال فى مثل بيئتهن (سواء فى الأحياء الشعبية الفقيرة أو فى الريف)لا يمكن الشكوى منهم . لأنهم أصحاب الهيمنة والنفوذ .

وبالتالى يلجأن الى الخرافات وأبرزها اللجوء الى الأئمة على النحو السابق ذكره .

٣ ــ فى حالة سعادتهن التى يتعودنها (نجـــد أن العـــديد من الاناث المصريات المعاصرات عندما يضحكن يتداركن ضحكهن بقولهن : اللهم اجعله خير ، كأنهن يشعرن بأن الضحك ترف وليس من حقهن ككائنات اجتماعية من كثرة الهموم) ، فانهن يخشين على تلك السعادة أو مسببات السعادة سواء كانت ابن أو ابنة ... الخ وبالتالى يذهبن الى الأولياء داعيات بالخير وبكل الحب لأحبابهن . ولا يستطعن التعبير عن ذلك لمن حولهن ، فهن لم يتعودن الافصاح عن مشاعر الحب والفرح .

٤ ــ بالاضافة الى ما سبق فان هؤلاء الاناث ــ عادة ــ يعـــانين من الأمية التعليمية بالاضافة الى الأمية الثقافية وبالتالى فلا سند لهـــن يحميهن من الاعتقاد فى مثل هـــذه الخرافات .

ويمكننا أن نقول بشكل عام أن هؤلاء الاناث هن ضحية Victum مجتمع قوامه الرجال ، حيث يقع عليهن العديد من الضغوط والهموم التى تصل الى حد الاضطهاد ، فهن يعانين من تعدد الزوجات ومن معاملتهن كمخلوقات من الدرجة الثانية ، ومن اهمال أزواجهن فى الأسرة التناسلية ، ومن اهمال الآباء والأخوة الذكور فى الأسرة التوجيهية . ولا يجدن الفرصة أو التشجيع للتعبير عن الذات بالمناقشة او الحوار فكيف يسمع الرجال لمخلوقات من الدرجة الثانية .

ويمكننا أن نصل — مما سبق — الى تحليل مؤداه :

١ — ان هؤلاء الاناث المصريات المعاصرات يعاملن من قبل المجتمع بشكل اضطهادى .

٢ — بالاضافة الى كونهن أميات ثقافيا وتعليميا .

٣ — يؤدى ذلك بهن الى اللجوء الى قوى خرافية والى عدم الاعتماد على العقل او المنطق تخلصا مما هن فيه من اضطهاد وغبن .

وفى المحصلة الأخيرة يمكننا القول بأن عددأ لا يستهان به من اناث مصر المعاصرات يعشن فى حالة تشاكل اجتماعى Social Conformity وليد تكيف سلبى Negative Adaptation مع المجتمع حيث أن هذا التكيف ناشىء عن المعايشة اجباريا مع المجتمع بضغوطه واضطهاده لهن وبالتالى فهو تكيف سلبى . يؤدى بالضرورة الى حالة تصادم من هذا المجتمع متمثلا فى رجاله ، وبالتالى يهربن منه ويعشن فى حالة التشاكل الاجتماعى وذلك باللجوء الى مثل هذه القوى الغيبية المتمثلة فى خرافات عديدة من بينها زيارة هؤلاء الأولياء والايمان المطلق بقدرتهم على حل مشكلات هؤلاء الاناث المصريات المعاصرات .

كما انهن يعشن فى حالة تناقض وجدانى Ambivalence يتمثل فى تأرجح مشاعرهن بين الخير والشر واتخاذ تلك المشاعر للشكل الحاد فى التعبير عنها .

٥ ـ عـادة النـذور :

نستطيع أن نستخلص من استعراض مظاهر تلك العادة عـدة نتائج من أهمها :

١ ـ أن الاناث المصريات المعـاصرات على اختلاف مستوياتهن الاقتصادية والاجتماعية يمارسن تلك العادة .

٢ ـ أن النذر كعادة يكاد يكون مقتصرا على الاناث .

٣ ـ ايمان الاناث المصريات المعاصرات بأن النـذر سواء عينى أو نقـدى أو طقوس أو على شكل خـدمات تساعد على قضاء حوائجهن لدى الله من خلال الأولياء والسيدات والسادة أصحاب المقامات !! .

٤ ـ أن المجتمع (متمثلا فى القائمين على الاشراف على المسـاجد والمقامات الخاصة بالأولياء) يشجع على هـذه العادة وذلك بوضـعه صناديق النذور فى المساجد ومقامات الأولياء .

٥ ـ ان النذور تكون للخير أو للشر .

مما سبق نستطيع ان نقول انه ينسب الى معظم اناث مصر ـ سواء من أصول فقيرة أو غنية ـ ما يلى :

ايمانهن بأن الأولياء (وهم أشخاص مقـدسون من وجهة نظر معظم المصريين) ترتشى كى يكونوا واسطة بينهن وبين الله مجيب الدعوات والأمانى وايمانهن بأن هـذه الرشوة مرتبطة بتحقيق مطالبهن ، فلا تدفعن الا اذا تم لهن ما أردن . حتى عندما يكون النذر طقوسى (صلاة أو صوم اضافيين غير المفروض عليهن) الى الله مباشرة فهن لا يفعلن ذلك الا عنـد اجابة مطـالبهن .

واذا تساءلنا عن الدافع وراء ممارسة الاناث المصريات المعاصرات لهـذه العادة ، نجـد الاجابة فيما يلى :

١ ــ أن المجتمع (متمثلا فى هيئاته الدينية) هــو الذى يروج ويحرض النساء على ممارسة هــذه العــادة بشكل غــير مباشر ، وذلك بالسماح بوضع صناديق النذور فى المساجد ومقامات الأولياء .

٢ ــ أن المجتمع (متمثلا فى اجهزة اعلام) هــو الذى يروج ويحرض النساء على ممارسة هــذهالعادة بشكل مباشر ، وذلك بالسماح بانتاج أعمال فنية ــ مثل المسلسلات والسهرات الاذاعية والتليفزيونية والأفلام ــ تبرز قيمة النذر وفائدته فى اجابة حوائج الاناث .

٣ ــ أن الاناث المصريات المعاصرات بشكل عام ، يعانين من الامية الثقافية التى تؤدى بهن الى الاعتقاد بأن النذر قادر على فعل المعجزات مثل حالات النذور للشفاء من أمراض مستعصية كالعقم مثلا .

او أن النذر قادر على أن يكون رشوة للأولياء الذين يتوسطون فى جلب الضرر للآخرين او العكس مثل جلب الفرح والسعادة .

٤ ــ أن المجتمع (متمثلا فى رجاله) لا يبدى اى استنكار لممارســة الاناث لهــذه العادة ويقابل ممارسة الاناث لها بلامبالاة .

وبشكل عام نجــد أن الاناث المصريات المعاصرات يعانين من كونهن ضـــحية victum لمفاهيم قصدية من المجتمع تعمل على أن يعشن فى حالة تخلف دائم من جراء ممارسة مثل هــذه العادة التى لا تخضع لأى سند علمى وانما تقوم على مفاهيم غيبية ولا اخلاقية (الرشوة) .

ويمكننا ان نصل مما سبق الى تحليل مؤاده :

١ ــ أن معظم الاناث المصريات المعاصرات يوضع فى أذهانهن مفاهيم تحرضهن على الايمان بالغيبيات التى لا سند لهـــا علميا والتى تؤدى بهن الى مزيد من التخلف .

٢ ـ يؤدى ذلك الى تمسكهن بشكل حاد ومرضى بمثل هذه العادة . خاصة وأنهن دائما فى حالة تأزم Frustration مـع المجتمع الذى لا يعطيهن الفرصة للتعبير عن أنفسهن أو التنفيس Abreaction عما بداخلهن من هموم والتقليل من قيمة سعادتهن .

وفى المحصلة النهائية يمكننا القـول بأن معظم الاناث المصريات المعاصرات يعشن فى حالة من التـوتر Tension ذلك انهن يشعرن باختلال التوازن النفسى ويصحب ذلك حالة تأهب واستعداد لتغيير سلوكهن المفترض انه سوى ، وذلك باللجوء الى مثل هـذه العادة التى تقـوم على التمنى الغير واقعى بحل أزماتهن بشكل المعجزة ازاء الأخطار التى تتهـددهن ، وقـد تكون هـذه الأخطـاء من البسـاطة بحيث يمـكن تلاشيها : مثل حالات المرض التى يمكن علاجها باللجوء الى الطبيب . ومن العجيب ان تشكل السعادة ازمة لدى الاناث المصريات المعاصرات (مثل حب الابن أو الابنة أو نجاحهما او حب انثى لرجل ... الخ) حيث هـن يخفن من فقد هـذه السعادة نتيجة الغبن الدائم الذى يعشن فيه أى نتيجة التجارب السيئة السابقة التى تشكل لهن أحزانا مستمرة .

٦ ـ عادة الايمـان بالسحر :

استفضنا فى الحـديث عن تلك العادة ـ فى الفصل الثانى ـ ولجأنا الى هـذه الاستفاضة لأننا رأينا انها واحـدة من اخطر العادات التى تمارسها الاناث المصريات المعاصرات من كافـة الطبقات فى المجتمع المصرى ولأنها باتت من الانتشار بحيث أصبحت تمثل خطرا شـديدا لا على الاناث اللواتى يمارسنها حاليا فقط ولكن على الأجيال القادمة من الاناث حيث انها تكاد تورث ، ومن ناحية أخرى فان العـديدات من اللواتى يلجـأن الى مثل هـذه العادة والايمان بها ، هن ذوات قـدر من التعليم بل ويعملن فى المجتمع . ومن ناحية ثالثة تعـدد آليات هـذه العادة ما بين الساحر أو الساحرة واجـواء ممارسة طقوس العادة والانثى الممارسة للعادة .

من استعرضنا لمظاهر تلك العادة يمكننا أن نرصد عدة نتائج من ابرزها :

١ ـ أن الاناث المصريات المعـاصرات من مختلف الطبقـات هـن الممارسات لهـذه العادة .

٢ ـ أن هناك تبعية كاملة للساحر أو الساحرة من قبـل الاناث الممارسات لتلك العادة تتمثل فى اجابة كافة المطالب التى يطالب أو تطالب بهـا .

٣ ـ أن الاناث الممارسات لتلك العادة ينظرن الى الساحر أو الساحرة برهبة وخـوف شديدين يصلان الى حـد القداسة اعتقادا منهن أن الساحر أو الساحرة قادر أو قادرة على فعل المعجزات ولديه أو لديها القدرة على السيطرة على الجان والشياطين .

٤ ـ يسود اعتقاد راسخ لدى الاناث الممارسات لهـذه العادة بأن الساحر او الساحرة لديه او لديهـا القـدرة على جلب النفع تماما كجلب الايـذاء .

٥ ـ يسود اعتقاد راسخ لدى الاناث الممارسات لهـذه العـادة بأن الساحر او الساحرة لديه أو لديها القـدرة على الانتقام منهن لـو خالفنه فى أى مطلب أو تفوهن بكلمة فى حقه أو حقها غير كلمـات التبجيل والاحترام .

٦ ـ رغم الفشل الدائم لقـدرة الساحر أو الساحرة على اجابة مطالب الاناث اللواتى يلجـأن اليـه أو اليها الا أنهن يكررن التجربة ولا ييأسن أبدا ولا يوصمن الساحر أو الساحرة بالفشل .

٧ ـ من العجيب أن مطالب السحرة التى لا يقبلها عقل يفكر (مثل : دماغ قرد ـ دماغ خفاش ـ درهم سكر ـ جلد ذئب ـ الحديد الحرقوسيه ـ قلب اسـد ـ ... الـخ) لا يلفت نظر الاناث الممارسـات لتلك

العادة من حيث انها مطالب خرافية تقال على سبيل الفكاهة ، بل انهن يرهبن من مثل هذه المطالب ويجدن فيها دلالة على مقدرة السحرة .

٨ ــ ان الأجهزة المختلفة فى المجتمع لم تستطع القضاء على تلك العادة أو محاربتها محاربة جدية .

٩ ــ ان انتشار مثل هذه العادة تدمغ المجتمع كله بالتخلف .

١٠ ــ تجدر الاشارة الى أن السحرة يستخدمون الايحاء المدروس فى اقناع المترددات بقدراتهم الزائفة .

مما سبق نستطيع ان نقول انه ينسب الى عدد كبير من اناث مصر المعاصرات ما يلى :

ايمان الانثى المصرية المعاصرة من اللواتى يمارسن هذه العادة ، بأن هناك قوى غيبية تستطيع حل مشاكلها ، وهذه القوى تتمثل فى الجان والملائكة ، وان السحرة هم الوسطاء بينهن وبين الملائكة والجان بكل طلباتهم التى لا تخضع ولا تستند الى أى سند علمى ولا يدعمها أى منطق سوى . وانهن لا يعملن عقولهن فى تفسير الظواهر التى تنتسب الى الخرافات (مثل مطالب السحرة) بل يخضعن لها ، وانهن قابلات للايحاء المرضى من قبل دجالين يطلق عليهم السحرة . ومن بين هؤلاء الاناث عدد كبير من المتعلمات .

واذا تساءلنا عن الدافع وراء ممارسة الاناث لهذه العادة فاننا نجد الاجابة من خلال التحليل التالى :

أن الانثى المصرية تعيش وسط دوامات من الهموم ، وفى نفس الوقت لا تجد من يعتنى بهمومها ويشاركها الحل ، وينشأ صراع Conflict قوى بين ما تحيا فيه المراة وبين احتياجها الشديد لمن يشاركها مشاكلها ، ولأن المجتمع بصفة عامة ورجاله بصفة خاصة يهملون المراة ولا يعتنون بمشاكلها وآلامها ، فلا تجد المراة من يشاركها أو يساعدها فى ازالة همومها ومشاكلها التى قد تنشأ تافهة وبمرور الوقت وبتراكم المشاكل تستفحل الحالة ، وتصل الحالة النفسية لدى المراة الى نقطة التازم Critical Point

التى تدفعها دفعا الى اللجوء الى ممارسة مجموعة من العادات التى لا تخضع الى عقـل أو منطق ، هـذه المجموعة من العادات من الممكن أن نطلق عليها عادات الخرافة — اذا جاز التعبير — وتعتبر عادة ممارسة السحر هى التمثيل الأعظم لهـا . ونشير هنا الى ظاهرة تزيد الأمر سـوءا ، ذلك أنه كما قلنا أن عـددا كبيرا من الممارسات لعادة السحر من المتعلمات ، وهنا يبرز أمامنا على الفـور : أنه حتى التعليم لا يركز فى أذهان الاناث المصريات (عـدد كبير منهن) أى رفض لمنطق الغيبيات بشكل عملى لأنه لا يفتح الانثى المصرية على الثقافة ولا يؤتى بأى هيمنـه Control على عقلهـا .

وفى المحصلة النهائية نجـد أن اناث مصر المعاصرات (عـدد كبير منهن) من خلال ممارستهن لعادة السحر يعـانين من نقص فى النضـج الانفعالى حيث أن التعبير عن انفعالاتهن لا يتم بصورة متزنة بعيدة عـن التعبيرات البدائية والطفلية للانفعال ، وينم سلوكهن عن الخوف الشديد ، وهن مترددات فى حيرة دائمة . ولا شك أن النضج الانفعالى يتأثر الى حد بعيد بالتعلم والتجربة ، ومن استعراضنا السابق نرى أن تجربة هـؤلاء الاناث سيئة ومحبطة فى الحياة بشكل عام وتعلمهن نابع من خبرتهن الغير سوية ، ولذلك يحـدث النقص فى النضج الانفعالى المؤدى بهن الى ممارسة العادة سالفة الذكر .

٧ — عـادة الـزار :

من استعراضـنا لهـذه العـادة نستطيع أن نستخلص النتائج الآتيـة :

١ — من الملاحظ أن من يمارسن هـذه العادة هن الاناث من كافـة الطبقات والبيئات الاجتماعية فى المجتمع المصرى المعاصر .

٢ — أن الخطوات التى تتبع قبل الحفل وأثنائه مرهقة الى حـد بعيد سواء فى طقوسها التى تتنافى تمـاما وتبتعـد عن التصرفات الطبيعية

للانسان العاقل (مثل : اعطاء الكودية « الأثر » حتى تحلم بمـــا فى المريض وشرب دم الذبائح وتلطيخ الثياب بهـــذه الدماء والوجه أيضا والنوم بهـــا سبع ليال ... الخ) .

٣ ـــ ايمان الاناث اللواتى يمارسن هـــذه العادة بأن هناك « أسياد » أو « عفاريت » هم الذين يسببون الأمراض والمصائب ، وأن هـــؤلاء « الأسياد » أو « العفاريت » « يلبسون » الانسان أى يحيون معه بداخله . وكلها أمور بعيدة تماما عن المنطق والعلم ولا تستند الى أى سند علمى بديهى .

٤ ـــ الخضوع الكامل من قبل الاناث الممارسات لهـــذه العادة للكودية والمنشدة حيث أنهما على اتصال كامل « بالأسياد » وأنهن ذوات « منزلة عالية » عندهم أى ذوات قـــدر واحترام عند « الأسياد » كما أنهن يؤمن بأن الكودية لديها القـــدرة على مخاطبة « الأسياد » ومحادثتهم أى محادثة اناس من عوالم أخرى غير عالم الانسان الطبيعى .

٥ ـــ اعتقاد الاناث اللواتى يمارسن هـــذه العادة بأن هناك أمراض معينة علاجها الوحيد هـــو « الزار » ، هـــذه الأمراض من نوع خاص ولهـــا مسببات خاصة (مثل : الصراخ فى دورة الميـــاه ـــ القـــاء الميـــاه فى المساء دون استئذان الأسياد ـــ النوم والنساء تبـــكى ـــ ذكر أسماء الأسياد بشىء من السخرية ... الخ) ذلك أن هـــذه المسببات تؤلم الأسياد وتضايقهم وبالتالى « يلبسون » أى يعيشون فى جسد الانثى التى تفعل ذلك ويسببون الأمراض انتقاما منها ولا يخرجون منها الا بالزار .

٦ ـــ تستمع الاناث الممارسات لهـــذه العادة لأغانى الزار التى لا معنى لهـــا ولا مضمون سوى مجموعة من الخرافات والكلمات المبهمـــة التى تستهين بالعقل الانسانى .

٧ ـــ تتم فى هـــذه الحفلات المصاحبة أو التى هى أحـــد طقـــوس

هـذه العادة مجموعة من التصرفات اللاأخلاقية مثل ممارسة الشذوذ الجنسى بين النساء وممارسة الرجال لشكل من أشكال الاتصال الجنسى بالنساء .

٨ ــ أننا لا نعتبر الممارسات لهذه العادة هن صاحبات الزار فقط ولكن كافة المشتركات فى حفل الزار ففى رأينا أن المشاركة تعنى بالضرورة الموافقة على ما يتم ، وبالتالى فمثلهن مثل صاحبة الزار نفسه .

مما سبق نستطيع ان نقول أن هذه العادة مقصور ممارستها على الاناث ورغم أن الرجال قد يشاركون فى حضور طقوس الاحتفالات المصاحبة أو المتعلقة « بالزار » فأننا لا نعتبرهم مشاركين حقيقيين فى ممارسة هذه العادة ، ذلك أنهم من وجهة نظرنا يحضرون لأغراض لا تتعلق بايمانهم « بالزار » ولكنهم يحضرون لأغراض شخصية غير أخلاقية أوضحناها فى النقطة سابعا السابقة . وأن عددا لا يستهان به من اناث مصر المعاصرات يؤمن ويمارسن هذه العادة (*)

وعليه فان ينسب الى عدد كبير من اناث مصر المعاصرات ما يلى :

أن هؤلاء يؤمن بقوى غيبية تتمثل فى الجن و « العفاريت » ، وبقدرتها الفائقة على شفاء المرضى وازالة الهموم « والكروب » . اى انهن يؤمن بخرافات لا يقبلها عقل ناضج . ويتمثل هذا اللجوء فى ممارسة مثل هذه العادة .

واذا تساءلنا عن أسباب لجوء هؤلاء الاناث الى ممارسة مثل هذه العادة وجدنا الاجابة فيما يلى :

١ ــ من الناحية الاجتماعية :

ساعد شعور المرأة بأنها أقل قيمة من الرجل وما منحه المجتمع للرجل من سيادة وتفضيل يجعلانه الآمر الناهى ، ساعد ذلك على ايجاد

حالة من الاحساس بالدونية لدى المرأة دفعتها الى البحث عن تعـويض وتنفس فى حلقات الزار .

٢ — من الناحية الدينية :

ولدى المسلمات على وجه الخصوص ساعد مبدأ امكان الزواج بأكثر من واحـدة وامكان الطلاق لأتفـه الأسباب وما يتصل بذلك كله من سوء تطبيق للقوانين وفقا لمركز الرجل وسيطرته وتبعا لوجود العقلية الجماعية مما أدى الى ظهور حالة قلق متصل لدى المرأة مشوب بالغيرة والحنـق وحتى الميول الاجرامية المختلفة فى حالات الطلاق أو الزواج عليها . وقـد يكون الزار فى مثل هـذه الحالات هـو بديل لتلك الانفعالات الحادة فى حالات الطلاق أو ثنائية الزواج كما انه يكون بمثابة رئات للتنفس فى حالة الشعور بالخوف لمـا قـد يحـدث من طلاق أو زواج جـديد .

٣ — من الناحية الجنسية :

لقـد ساعدت عملية الختان للاناث المنتشرة فى المجتمـع المصرى على سرعة الاشباع عند الذكر وتأخره بالنسبة للانثى ، ولعـدم توافر الحب المتبادل القائم على الاحترام والمساواة وتبعا لنظرة الذكر للانثى على انها الأدنى ، كذلك بالاضافة الى نظام الخطوبة القلق والتوتر الذى لا يسمح بالتعارف والتفاهم نتيجة عـدم وضوح مفاهيم الحياة بشكل عام لـكلا الطرفين ، كل ذلك ادى الى اغفال حالة المرأة من حيث الاشباع دون نظر الى ما قـد تكون عليه من توتر واضطراب .

اضف الى ذلك ان العرف وقيود المجتمع يمنعان الزوجة من الانحراف والخيانة فلا يبقى لهـا الا الكبت القائم على الجوع الجنسى . وقـد تجد الانثى فى الزار تعويضا عن حالتها هـذه .

٤ — من الناحية الثقافية :

نجـد أن جهل الانثى الثقافى جعل ذهنها يدور فى دائرة ضيقة لا تكاد تتعـدى النواحى السطحية والشهوية الخالصة ولذلك خلا وقت فراغها

من المشاغل الذهنية أو الفنية أو الاجتماعية الراقية واصبح نهبا للأوهام كما أن هـــذا الجهل جعلها تؤمن بالخرافات ولا تجيد التفكير المنطقى أو الترابط العقلى الصحيح بين العلة والمعلول فكان من السهل أن تقبل فكرة الزار كعلاج لأمراض كثيرة نتجت عن الوهم والتوتر والقلق والجوع الجنسى ولا شك أنه لحياة الانثى — فى المجتمع المصرى المعاصر — الرتيبة والمملة التى تسير على نسق وأحـــد أسوأ الأثر فى تكييف اتجاهاتها النفسية والانفعالية مما ينتج عن بقائها فى المنزل تقوم بنفس الأعمـــال يوميا حتى اتقنتها وأدتها بسرعة بالغة ثم بعـــد ذلك بحثت عما يمكن لها أن تضيع فيه بقية الوقت فلم تجـــد غير التفكير فى الخرافات فهى لا تجيد القراءة والكتابة حتى تقرأ . وان كانت متعلمة وحتى تعمل فان عملها لا ينظر اليه كقيمة فى المجتمع المصرى المعاصر وبالتالى تتحول حتى العاملة فى معظم مجـــالات العمل الى قضاء ساعات العمل الروتينى دون أن تشعر بتحقيق ذاتهـــا ، ولأنها تعانى من الامية الثقافيـــة فسرعان ما تسقط فى هـــذا الايمـــان بالخرافات . كما اننا نؤكد مرة أخرى أن انخفـــاض المستوى الثقافى فى المجتمع بوجـــه عام ولدى المرأة على نحو خاص ، يؤدى بالضرورة الى وقوع الانثى فريسة للخرافات ومنها ممارسة هـــذه العادة : الزار .

مما سبق نستطيع أن نصل الى تحليل مؤداة الآتى :

أنه نتيجة للضغوط التى تعانى منها الانثى فى المجتمع المصرى المعاصر المتمثلة فى احساسها بالدونية وأنها مخلوق درجة ثانية وانعـــدام ثقافتها وحياتها المبنية على الكبت الانفعالى والجنسى ، نتيجة لذلك تلجـــأ الى عدم انتمائها الى التفكير العلمى لأنها تحيا فى مجتمع متخلف يؤصل بشكل غير مباشر الاحساس بثراء حياة الخرافة ويدعم مذهب الانيميزم الذى يعيق أى تقـــدم ثقافى فهو اكثر انسجاما مع العقائد البدائيـــة ففى الديانات البدائية نجـــد أن العبادة لا تأتى نتيجة لتفكير منطقى أو الهام حقيقى بل أنها عبارة عن تقـــديس كائنات عـــديدة بدافع العادة(١) .

---

1 — Robert R. Haritt, Animism, Encyclopedia. Britannica, 14th. New York, 1942.

كل ذلك يجعل الانثى المصرية المعاصرة تؤمن بالقـدر الى درجـة شبه مرضية ويعوقها ذلك عن حـل مشكلاتها عن طريق المنطق ، وتفتقـد الاناث الممارسات لهـذه العادة ــ نتيجة ما سبق كله ــ الى عقلية ناقـدة ويرفضن أى تقـدم ثقافى فيما لا يتفق مع وجهة نظرهن فى الخرافات .

وفى المحصلة النهائية فأنه يمكن اعتبار الزار رد فعل هستيرى اذا كان تعريف الهستيريا هـو انها « أدعاء المرض للحصول على كسب مرير » ، وعليه نجـد أن عـدد كبير من اناث مصر المعاصرات يمارسن عادة الزار كرد فعل هستيرى لظروفهن الحياتية المملوءة بالضغوط النفسية : ونود أن نشير بأن هناك أهمية ملحوظة لوجود الجنس الآخر فى حفـلات الزار فعندما تكون الانثى فى حالة تنويم فانها تنفث عن رغباتها المكبوته الغريزية ، ولمـا كانت أغلبية هـذه الاناث تعانى مشاكل الفشل فى حياتهن العامة ، فانهن يجـدن بديلا مرضيا فى اقامة حفلات الزار . اى أنهن ينفثن عـن رغباتهن الجنسية المكبوتة بشكل مرضى وكذلك فهى تمارس فى حالة التنويم نوع من الاشباع الجنسى مع نفس الجنس (شذوذ جنسى) وهن أيضـا يلجأن الى الزار حيث هن قابلات للايحاء لميكانيزم للهرب من واقعهن ويعتبر هـذا الايحاء ايحاءا جماعيا (وقـد اثبت علماء النفس منذ وقت طويل أن الايحاء الجماعى أقوى أثرا من الايحاء الفردى كما أن هناك عوامل كثيرة تحتاج اليها عملية الايحاء الناجحة(٢) فهى تتوقف الى درجة كبيرة على مقـدار يقظة الموحى اليه . والجهل لا يوجـد مجالا للنقـد فتكون عملية الايحاء أسهل) ويمكننا أن نقول أيضا أن اناث الزار يعـانين من ثنائية العاطفة حيث أن حفل الزار بكل ما يتطلبه من نفقات باهظة وتكاليف كثيرة يعتبر دلالة على أن الانثى تحب نفسها فتعمل على ترضية « الأسياد » ومطالبهم ، معتقدة أن ذلك كفيل بدفع كل شر عنها ويجلب السعادة لهـا ثم بعـد ذلك تدرك مدى ما أنفقت فى حفـل الزار من أموال لعلها كانت تستطيع أن تنتفع بها فى جوانب أخرى من الحياة وكأنما كانت هـذه النفقات

---

2 — Edmund C. Conklin : Principles of Abnormal Psychology, New York, Henrg Holt and Company, 1972.

الكثيرة عملية انتقام اقامتها لنفسها لشعورها بالاثم ولرغبتها الواضحة فى التكفير عن هـذا الاثم الذى ربما لم ترتكبه مطلقا .

ويمكننا أيضا أن نقول انه من خلال الأدوار المختلفة فى حفل الزار تتضح سمات جـديرة بالملاحظة فهناك أدوار يظهر فيهـا المرح المـاجن بأقصى حـدوده ودرجاته تقفز فيها المريضة وتتمايل وترقص كل ذلك فى وقت واحـد ودون ما سبب واضـح ، ويكون ذلك شـبيها بحالات الـ Mania وقـد تتلبس نفس المريضة بعـد ذلك بزار يجعلها فى حالة رعب وذعر واضحين بل قـد تنتحى جانبا الى مكان قصى تختفى فيه بعض الوقت وكأنها مصابة تماما بحالة الخوف المرضى وكأنها تخشى المكان المفتوح فتختفى فى مكان مغلق وهى حالة شبيهة بما يعرف بالمخاوف المرضية Phobia, claustra وقـد ينتاب احـدى المريضات أحـد الأدوار المعروفة فى الزار والتى تستلزم حتما أن تكون المريضة مختبئة تحت ملاءة حتى لا يراها احـد وكأنها تتحاشى رؤية الحـاضرات جميعا حتى الكودية وهى فى ذلك تمثل نوعا من انفصام الشخصية Schezophrenia

وقلما يبدأ دور من اداور الزار دون أن تصاب المريضة بحالة انقباض وحزن شديد مفاجىء تجهشن فيه بالبكاء ويعبر على لسان الأسياد عـن المهـا الشديد لأسباب ليست واقعية فتعمل الكودية على ترضيتها وتعـد باجابة مطالبها حتى تتحول من حالة الميلانخوليا Melancnolia الى حالة المرح والانطلاق .

أننا نكرر أن هـذه العادة تعتبر مدمرة للاناث المصريات الممارسات لها ، وبالتالى فهى مدمرة لجزء كبير من المجتمع . وهى واحـدة من اخطر العادات التى تمارسها الانثى المصرية المعاصرة .

ثامنا ـ الحسـد :

نستطيع أن نستخلص من استعراض مظاهر تلك العادة عـدة نتائج من أهمها :

١ ـ تعتبر الانثى المصرية المعاصرة واحـدة من اكثر اناث العـالم ايمـانا بالحسد .

٢ ـ ان الحسد فى معناه الشمولى هـو الرغبة الواعية أو غـير الواعية فى ايذاء شخص ما .

٣ ـ تستخدم الانثى المصرية أشياء لا معنى لهـا لـدرأ الحسد مثل (الورقة الزرقاء ـ البخور المكون من « الفـكك والفكـوك » الملح ... الخ) وتندرج هـذه الأشياء تحت مستلزمات الأفعال المنوطة بدرأ الحسد عن الخصوصيين المقربين لديها (الابن أو الابنة ... الخ) .

٤ ـ استخدام مجموعة من الأشياء ليس لهـا أى دلالة علمية أو دلالة رمزية لدرأ الحسد بشكل عام عن منزلها مثل (الحرباية الميتة ـ فرس البحر ـ خمسة وخميسة ... الخ) .

٥ ـ تنتشر هـذه العادة بين الاناث من جميع المستويات سـواء تعليمية أو طبقية .

مما سبق نستطيع ان نقول انه ينسب الى عـدد كبير من اناث مصر المعاصرات من جميع المستويات سواء تعليمية أو طبقية ما يلى :

ايمانهن بأن هناك شخص ما أو اشخاص مختلفون لديهم الرغبـة الواعية أو غير الواعية فى ايذائها أو ايذاء اهـل بيتها أو أيذاء أحبائها . وهى تستخدم مجموعة من الأشياء المتضاربة لا معنى لهـا ولا دلالة علمية عليها فى درأ هـذا الايذاء الذى تستشعره .

واذا تساءلنا عن الدافع وراء ايمان هؤلاء الاناث بالحسد حتى صار عادة فأننا نجــد الاجابة فى الآتى :

١ ــ الفهم الخاطىء للدين ــ خاصة الاسلامى ــ حيث جاء فى القرآن فى سورة الفلق (مكية) :

(قــل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفثات فى العقــد ومن شر حاســد اذا حسد) ..

وقبل ان نقترب من الآية المذكورة ، علينــــا ان نرى طبيعة الدين الاسلامى ولنا ان نرجع الى « اريك فروم »(١) فى كتابيه (الانسان لنفسه) و (التحليل النفسى والدين) حيث يقول ما معناه أن الأديان التى تقــوم فيها العلاقة بين الانسان والآلة على الحب هى أديان انسانية Hunmanistic ويفرق بينها وبين الأديان التى تقوم فيها العــلاقة بين الانسان والله على الخوف والتى يسميها اديان استبدادية Authoritarian وهــو يقول أن الأديان الانسانية القائمة على الحب تساعد الانسان على استخدام عقله وقــوته الذاتية من أجل اسعاد الآخرين وتطوير المجتمع الى الأفضل أما الأديان الاستبدادية القائمة على الخوف فهى تشل عقل الانسان ولا تساعده على استخدام قــوته الذاتيــة لأنه يعتمد على قــوة اخرى غير نفسه ، يسقط عليها كل الصفات الطيبة كالعدل والحق والحكمة ولا يبقى لنفسه الا الصفات الشريرة .

ومن الايضاح السابق لــ « اريك فروم » فانه ينطبــق على الدين الاسلامى ــ من وجهة نظرنا ــ أنه دين انسانى ، وبالتالى فانه وبشكل عام لابد من تفسير آياته بهــذه النظرة وبهــذه الروح الانسانية وعليه فان الآية المذكورة ــ من وجهة نظرنا ــ لا تعنى اطلاقا (بخصوص الحسد) ان الحسد عام اى أن الحسد ظاهرة عامة وأن كل فرد قادر على الحسد

---

1 — Erich Fromm, Man For Himself, Richart and Company, 1947. and sycho-analysis and Religion, Bantam Books, 1950.

وفى رائينا ان الحسد عبارة عن رغبة ـ كما أشرنا سابقا ـ واعية أو غير واعية فى الايذاء ، وبالتالى فهو ليس عملا ولكنه أملا أو رغبة ، وبالتالى فالآية تحضه على الاستيعاذ بالله اى طلب الفرد من الله أن يبعد عنه هؤلاء الراغبون وليس الفاعلون فى ايذائه .

ولكن جاء التفسير السائد لهذه الآية على أن هناك اشخاص حاسدون بطبيعتهم وانهم قادرون على الايذاء فى اى وقت واى مكان ، وتصوير أن الحسد فعل مادى وليس رغبة دفينة .

وذلك ما وضعوه فى عقول مثل هؤلاء الاناث .

٢ ـ نتيجة الامية الثقافية التى تحيا فيها الاناث بشكل عام فانهن لم يتوصلن بعد الى ان العلم لم يثبت على الاطلاق ان هناك مثل هذه الكائنات عموما ومن بينها الانسان القادر على الايذاء بوسائل غير ملموسة .

٣ ـ بالاضافة لما سبق فانه نتيجة لوضع الانثى المصرية فى المجتمع المصرية من حيث انها كائن ممتلىء بالهموم والمخاوف وعدم الاطمئنان نتيجة النظرة اليها كمخلوق من الدرجة الثانية ، فانها باتت تخاف خوفا مرضيا على احبائها من الايذاء ، وباتت ترتاب فيمن حولها ـ حتى المقربات منها كصديقاتها وجاراتها ـ وتشك فى انهن يردن ايذاءها . وبالتالى لجأت الى الأفعال الواردة فى تلك العادة والتى يمكننا ان نضعها تحت ممارسة الخرافات .

مما سبق نستطيع ان نصل الى تحليل مؤداه :

أن هؤلاء الاناث يعانين من قلق وليد خوف ، فهن خائفات دائما فمقدار السعادة التى يحصلن عليها تعتبر ترفا بالنسبة اليهن ، ولذلك فهن يخشين ان يفقدن مسببات هذه السعادة الضئيلة والمتمثلة دائما فى الأبناء وفى المنزل الذى تعيش فيه ، وهذا الخوف يولد قلقا مرضيا ،

ان القلق هنا شعور قــوى يتعلق بكيان الانثى كله ، وهــو ينطوى على صراع داخلى ، هــو صراع الانثى بين أن توجــد أو لا توجــد ، تكون أو لا تكون وهــذا القلق لا تمارسه اناث مثقفات حتى يتمكن بالصـــمود الانسانى العنيف من مواجهة القوى المعادية لوجودهن ككائنات اجتماعية كاملة ولكن هــذا القلق تمارسه اناث أميات ثقافيا ــ حتى ولو كـــن متعلمات ــ وبالتالى يصبح مسار هــذا القلق سلبى اى يصبح قلقا مرضيا ، فيتخــذ مثل عادة الحسد عرضا لــه .

تاسعا – عادة الغيرة :

نستطيع أن تستخلص من استعراض مظاهر تلك العادة النتائج الآتية :

١ – تتخذ الغيرة شكلان فى المجتمع المصرى المعاصر من حيث ممارسة اناثه لها :

أولهما : الغيرة التقليدية المرتبطة بالحب الشديد على الزوج (الرجل) .
ثانيهما : الغيرة الناقلة المرتبطة بنقل الانثى عن الأخريات .

٢ – تعتبر الغيرة التقليدية هى الأكثر شيوعا بين الاناث المصريات الممارسات لهذه العادة .

٣ – تتميز ممارسة الانثى المصرية للغيرة الناقلة ، بالنقل الأعمى .

٤ – تمارس الاناث المصريات المعاصرات هذه العادة من كافة المستويات .

ونوضح اننا اعتبرنا الغيرة عادة وليست استجابة انفعالية (بين الاناث المصريات) للآتى :

ان تعريف الانفعال يتسع ليشمل : « اية حالة اثارة سارة كانت أو غير سارة يستجيب لها الكائن الحى بكليته » .

وأن الغيرة من الانفعالات ذات الصفة العدوانية حيث انها :

« استجابة انفعالية معروفة اجتماعيا ، وهى خليط من الغضب والخوف والحب » .

اذن لتكون الغيرة استجابة انفعالية فيجب أن تستجيب لهـا الانثى بعمق ، وأنها ببساطه مرتبطه بالحب أى : هى تحب انسانا وتخاف أن تفقده فيتملكها الغضب لذلك .

فاذا كان الحب ليس واضح المضمون لدى الاناث المصريات ، واذا كانت علاقة الزواج لا تقـوم فى الأسـاس فى المجتمع المصرى على الحب .. وسيتضح ذلك فى مناقشة الحب والزواج فى الصفحات القادمة .. ان كان الأمر كذلك فأين هى الغيرة كاستجابة انفعالية ؟ ! .. اذن اعتبرنا الغيرة عادة لأنها فقـدت شروطها كاستجابة انفعالية وأصبحت قائمة على الخوف فقط من فقـد الزوج .

ان الزواج بمعياره الحالى فى المجتمع المصرى لا يقوم على الاختيار الحر ، فقـد رسخ فى اذهان الاناث المصريات أن قيمتها تتحقق بالدرجـة الأولى فى كونها زوجة تنتسب الى رجل يعولها اقتصاديا ويعطيها حـق التواجـد الاجتماعى ويحارب المجتمع الانثى التى لم تتزوج وينظر اليهـا بعين الريبة والشك ، ومعنى ذلك أن لابد أن تكون الانثى زوجة وهـذا همها الأول وبالتالى فهى تخضع لشكل الزواج الحالى الخالى من التكافؤ والاختيار الحر . ووجـدت الانثى نفسها فى وضع يفرض عليها الاحتفاظ بزوجها رغم أنها لم تختاره عن حب ، وتخشى أن يتركهـا ويذهب لأمرأة أخرى فتعيش فى شبح الطلاق فى مجتمع ينظر نظرة دونية للمرأة المطلقـة أو تقبل أن تعيش فى شبح الضرة (الزوجـة الثانية) . انهـا خائفة من فقـدان الزوج .

فغيرة المراة ليست استجابة انفعالية ، ولكنها محاولة ارادية منها للاحتفاظ بالزوج ، ولأنها ارادية فدائما ما يخطط لهـا ، فتفتعل المراة الغيرة لتشعر زوجها بالزهو وبأنه مرغوب كنوع من التأثير عليه ليبقى محتفظا بها ، أن الغيرة التى تمارسها الانثى المصرية بها قـدر ضخم من الأفتعال وباتت لزوم الزواج . وحتى الغـيرة الناقلة مفتعلة ولتقـوى من الغـيرة التقليدية ، فتنقل الانثى عن غيرها بشكل اعمى سـواء فى التصرفات أو

السلوك أو الملابس ... الخ ، من أجل ارضاء الزوج أو جذب اهتمام الرجل أن تتزوجه . فليس من المعقول أن تبقى بلا زواج فهى وصمة عار للانثى فى المجتمع .

وعليه نستطيع أن نصل الى تحليل مؤداة :

التعامل مع الرجل من أجل الاحتفاظ به بخداعة بافتعال حرصها عليه ، وأن الاناث المصريات الممارسات لهذه العادة يعانين من نزعات اعتمادية تتمثل فى اللجوء الى افتعال استجابة انفعالية من أجل الاحتفاظ بالرجل ، وأن الاناث الممارسات لهذه العادة يعانين من اضطرابات الشخصية المتمثلة فى فقدان النزعات الاستقلالية ، وأن المجتمع بالدرجة الأولى هو الذى دفع بالاناث لهذا المأزق لاعتبار الانثى كائنا تابعا للرجل وليس كائنا اجتماعيا كاملا ومستقلا .

عاشرا — عـادة الختـان :

نستطيع أن نستخلص من استعراض مظاهر تلك العـادة النتائج الآتيـة :

١ — تنتشر هـذه العادة بين الاناث المصريات المعاصرات فى جميع المستويات الطبقية والتعليمية .

٢ — تقوم بعملية الختان — عادة — امرأة مسنة جاهلة تعليميا أمية ثقافيا . تستخدم أساليب غاية فى البدائية ، تقترب من حـد التوحش فى قطع أو بتر البظر .

٣ — لا يثير هـذا العمل أى اشمئزاز فى نفوس الاناث الحاضرات بل ان العكس هـو الذى يحـدث ، أنهن يكن فى حالة سعادة وهن يشاهدن طقوس هـذه العملية .

٤ — تتلفظ الاناث الحاضرات بالعـديد من الألفاظ الحادة والصارخة بالجنس والدالة على أن الانثى لابد من قمعها جنسيا ، كنوع من الحـكم النابع من الاناث على بعضهن البعض بأنهـن كائنـات لابد من أن يكـن ناقصات دائما .

٥ — رغم بشاعة عملية الختان ورغم الألم الذى تستشعره الانثى التى تجرى لها هـذه العملية الا أن من طقوس عادة الختان أن يصبغ على اليوم الذى تجرى فيه مظاهر الفرح الغامر والبهجة . فهو بمثابة يوم احتفـال عظيم .

٦ — رغم أن هناك امرأة محترفة هى التى تجرى عملية الختـان بشكل أساسى الا أن هناك مساعدات لها من الحاضرات للاحتفال .

مما سبق نستطيع أن نقـول أنه ينسب الى عـدد كبير من الاناث المصريات المعاصرات من مختلف المستويات التعليمية والطبقية ما يلى :

أنهن يعملن بشكل ارادى واعى على أن ينشئن جيـــــلا من الاناث الناقصات عضويا لواحـــد من أعظم الأعضاء حساسية فى جسم المراة وهو البظر . حيث أن هؤلاء اللواتى يقمن بتنشئة جيــــل الاناث بكل تشوهاته السابقة ، هن أصلا قـــد مررن بهـــذه التجربة بل وعانين منها الى حـــد بعيد فى أمور عـــديدة من أبسطها البرود الجنسى Frigidtiy .

واذا تساءلنا عن الدافع وراء ممارسة هؤلاء الاناث لهـــذه العـــادة لوجـــدنا الاجابة فيما يلى :

أن المجتمعات التى تسودها القوانين الذكورية ، ينظر فيها للمراة (الانثى) بعين التحقير الجنسى .. وفى القرون الوســطى كان يستخدم حزام العفة الحـــديدى حيث يشك دائما فى سلوك المراة الجنسى . وفى المجتمعات الحـــديثة المتخلفة ومن بينها مصر ، استبدلت استخدامات حزام العفة بعملية الاخصاء الجنسى للمرأة كنوع من أنواع القهر الجسدى الذى يمتد ليصبح قهرا فكريا .. ان الرجـــل فى مثل هـــذه المجتمعات وبادراكـــه الفطرى لا يثق فى نفسه ومن ثم لا يثق فى الانثى ، ولأنه يمارس عليه قهرا عنيفا وبدلا من مقاومة هـــذا القهر فانه يمارس القهر على الانثى : بدءا من اخصائها جسديا مرورا باخصائها فكريا حتى تصبح كائنـــــا منسحق الشخصية . ولعله من العجيب أن تمارس الانثى (الأم) القهر على الانثى (الطفل) بعملية الختان ومن تقوم بالعملية نفسها أمرأة عجوز ، كأنه التقاء الأجيال على القهر !!

ان رعب الرجل من الحرية الجسدية للمراة يثبت خـــوفه من أن تتركه المراة لرجل آخر تختاره هى اختياريا حرا .. وممارسة الأم لعملية الختان — بقطع البظر حيث تفقد حساسيتها الجنسية — لابنتها ، رغم معاناة الأم نفسها من تلك العملية الاجرامية ، يثبت تعود الانثى على العذاب ورعبها الذى تولد داخلها من ثقافة الذكور الخالية من اية حرية لها . أن الأم أصبحت تورث ابنتها القهر .

اذن ليس من العجيب ملاحظة « الشماتة » التى تستشعرها الاناث الحاضرات لعملية الختان التى تجرى لانثى تختن أمامهن . أنهن يرددن فى أعماقهن (لا تعيرنى ولا أعايرك الهم طايلنى وطايلك) .. القهــر نالنى وينـــالك .

ان الأم ــ طبقا لتربيتها الخاطئة ومفهومها عن دور الانثى .. ترى ابنتها على ان مآلها الحقيقى هـــو بيت زوجها ، وتميت فيها كل الطموحات لتهتم بنفسها « كعروسة » فى انتظار الشراء . تعلم الأم بنتها كيف تبـــدو جـــذابة جسديا للرجل وفى نفس الوقت تميت رغبتها الجنسية التى هى حق أصيل لها . تحيا فى صراع ان تكون جنسية ولا جنسية فى نفس الوقت . انها هى بالضبط الهستيريا .

ثانيا ــ سيكولوجيا المرأة المصرية المعاصرة من خلال أشهر المفاهيم التى تعتنقها والافعال التى تأتيها :

١ ــ الحب :

من الملاحظ أن مفهوم الحب فى ضوء التراث الثقافى الاجتماعى المصرى ، قد يعنى مفهوم (المحبة) أو ما يرادف العشق والمودة والصداقة . وقد يعنى كذلك مفهوم (الوصال) ولعل المفهوم الأخير فى ضوء مكانة الحب الخاصة فى المجتمع المصرى المعاصر أن يكون مرادفا لمفهوم (الرغبة فى الزواج) . وكل هذه المفاهيم هى ، فى الغالب ، مفاهيم « رومانتكية » والملاحظ على وجه العموم ، أن الحب أو أن كلمة الحب قد أصبحت منتشرة ومرددة على الألسنة بين الاناث بشكل يأخذ طابعا قريب من من العمومية ، ونجد ان كلمة الحب تنعكس فى العديد من المواويل والأزجال والأغانى « والنكت » بالألفاظ وبالاشارات ، سواء أكانت اشارات بالأصابع أو باليد أو باليدين أو بالعيون أو بالفم أو حتى باللسان . ولعل الموال الشعبى هو واحد من أبرز الوسائل التى يمكن أن نحكم بها على حقيقة مفهوم الانثى عن الحب :

« يا مين يجيب لى حبيبى الجسور عندى
ياكل من التمر ويتجلب على الهندى

يا مين يجيب لى حبيبى الجسور يرتاح
ياكل من التمر ويتجلب على التفاح »

« وان كنت خايف من أبويا
ده أبويا عدى المنصورة

ان كنت خايف من أمى
دنا أمى عليا مستورة

ان كنت خايف من أختى
ده اخوتى بيحبوها بالطورة

ان كنت خايف من البـواب
ده أعمى ورجله مكسورة »

يوضح الموال الشعبى السابق مفهوما متواجدا بل هو دائم التواجد ، ذلك المفهوم هو الرغبة فى ممارسة الجنس من قبل الحبيبة (الانثى) . حيث الاشارات واضحة فى الموال السابق . فى الجزاء الأول : (التمر : يقصد بها الشفتان ، الهندى : يقصد به الجسد كله ، التفاح : يقصد به الثدى) .

والجزء الثانى من الموال هو دعوة صريحة لممارسة الحبيبة (الانثى) للجنس مع الحبيب (الرجل) بلا خوف حيث تواجد الأب بعيدا عن المنزل ، والأم « ستر وغطا » على الابنة اما الأخت ف « الحال من بعضه ! » ، والحارس — ايا كان — فهو مشغول فى أحواله أى « لا بيهش ولا بينش » !!

اخترنا هذا الجزء من احد المواويل الشعبية المنتشرة بدرجة كبيرة بين اناث الأحياء الشعبية وفى القرية المصرية .

ونستطيع أن نقول ، أن مضمون الحب كقيمة انسانية غامضة تماما فى مفاهيم الانثى المصرية المعاصرة ، فمحتواه الأساسى هو ممارسة الجنس من خلال « المحبة » . واذا تساءلنا ما هى المحبة من وجهة نظر الاناث المصريات المعاصرات ؟ كانت الاجابة : هى أحسن طريق للزواج !! . وغموض مفهوم الحب لا يعود الى الاناث من نوعية خاصة ، ولكن هذا الغموض نراه فى كل المستويات التعليمية والطبقية بالنسبة للاناث المصريات .

وما سبق ليس من عندياتنا ، فلقد عانينا ما هو فوق الطاقة كى نحصل من الانثى المصرية المعاصرة على مفهوم واضح عن الحب ، وذلك من خلال استمارة جمع المعلومات من عينة عشوائية من اناث مصر المعاصرات من مختلف مستويات التعليم ومن أصول اجتماعية مختلفة .

فمن غموض المفهوم فوجئنا بأن « الحب » يعنى عندهن :

الحب شيء جميل ! — الحب مقــدمة الزواج — الحب مقــدمة لزواج ناجح — الحب شيء والزواج شيء آخر !! — الحب « رائع » ! — الحب يجب أن يبقى طاهر !! — الحب قمة الانسانية ! — الحب هــو الحياة ! — الحب كالمــاء والهواء ! — التقاء روحين ! — التقاء عقل وروح ! — الحب « فيه جنس » ضرورى !! . ولا نغالى أن هناك من قلن فى اجابتهم عن الحب : « يا سلام » !!

واضح غموض المفهوم لديهن تماما ، فلم نجــد استمارة واحــدة بها مفهوم واضح ومحــدد تماما للحب حتى وان كان يختلف مع وجهة نظرنا التى نحن متحيزون بالضرورة لها . بل انه يمكننا القول بأن هناك تضاربا حادا فى المفاهيم على غموضها .

وسوف نحاول طرح وجهة نظرنا فى الحب حتى يتضح أكثر مــدى الغموض الذى يعانيه مفهوم الحب لدى الاناث المصريات المعاصرات :

اولا — بعض التصورات الخاطئة المتعلقة بالحب :

١ — يعتقد البعض ان الحب « قضاء وقــدر » ، ولذلك عندما نسأل الكثيرين لمــاذا : احببت هــذا بعينه ، لا نجــد اجابة . واذا كانت الاجابة ان به مميزات تتفق معى ، واذا كان الرد ماذا لو وجــدتى آخر فيه نفس المميزات وأكثر هل تحبينه ؟ . نجــد حيرة ولا اجابة .

٢ — يعتقد البعض ان الحب تجربة يمكن ممارستها اكثر من مرة ، وعندما نسأل اى التجارب تركت بصماتها عليك ؟ سنفاجأ باجابتين لا ثالث لهمــــا :

(أ) كل تجربة تركت بعض البصمات .

(ب) التجربة (   ) هى اكثر التجارب بصمات على .

٣ ــ يعتقد البعض أنه فشل مرة فى الحب وبالتالى فالحب غير موجود.

٤ ــ يعتقد البعض أن الحب ليس مقــدمة للزواج بل ان (الحب شيء ، والزواج شيء آخر) .

٥ ــ يعتقد البعض أن الحب عمل لا ارادى .

٦ ــ يعتقد البعض أن الحب يأتى من أول نظرة .

ان كل المعتقدات السابقة خاطئة بدرجة أو بأخرى . ان الحب ليس « قضاءا وقدرا » ولكنه عمل اختيارى عقلى حسى (تفاعل عقل وأحاسيس) . وبالتالى فهو عمل ارادى مدروس . وأنه من الصعب بمكان أن يحب الانسان بصدق ويفشل ويكرر التجربة لأن الحب بصــدق يحتــوى الانسان ، وبالتالى فاذا حاول الانسان تكرار التجربة فســوف تحتويه تجربتــه الأولى . وانه من الخطأ تمــاما أن يكون الحب ليس المقــدمة الطبيعية للزواج .

ان هــذه المفاهيم الخاطئة هى المشاركة فى تكوين وجهة نظر خاطئة عن الحب والمتسببة فى التصور القاصر الذى مؤداه أن الحب مطلب سابق Prerequisite لاتمام الزواج سرعان ما يتلاشى بعد الزواج .

ثانيا ــ نمــو علاقة الحب بشكلها الصحيح :

تنمو علاقة الحب بين شخصين من خلال مراحل أربع هى :

١ ــ مرحلة الألفــة Rapport :

هى مرحلة الشعور بالاطمئنان والتقارب ونشوء رغبة قــوية لدى الطرفان فى التحــدث عن نفسيهما ، وأن يعرفا أكثر كل عن الآخر ، فاذا اشتركا فى خلفية ثقافية واحــدة يكون من السهل انجاز هــذه المرحلة ، فاذا اختلفت الخليفة الثقافية بطريقة ما ، فيمكنهما من خلال ممارســـة

للصراع الفكرى والحياتى أن يشعرا بالانسجام . واذا لم يشعر الطرفان بالألفة كخطوة أولى فان نمو العلاقة يتوقف .

٢ — مرحلة البــوح الذاتى : Self-revelation

هــذه هى المرحلة الثانية المصاحبة للألفة ، وتبدأ هــذه المرحــلة عندما يشعر الطرفان بالاطمئنان الى علاقة اجتماعية (نهــاية مرحــلة الألفــة) ، ويعقب ذلك أن يصارح كل فرد الآخر بما تكنه نفسه ، فيتكلم عن أمانيه ورغباته ، ومخاوفه ، وطموحاته . وهنا تعمل الخلفية الثقافية على سرعة التقبل والفهم والتفاهم .

٣ — نمو التبعية المتبادلة :
The Development of Mutual Dependencies.

فى هــذه المرحلة يصبح الفرد معتمداً على الآخر فى انجاز احتياجاته ورغباته الشخصية ، وهــذا يرجع الى أن كل من الطرفين يحس بعمق انه فى حاجة لأن يشاركه الآخر افراحه واحزانه ومشاعره وأن يقاسمه مشاعره . وباختصار أن يعيش معه الحياة(٤) .

٤ — تحقيق الحاجة الشخصية Personality need Fulfillment.

تختلف الحاجات الشخصية باختلاف الخلفية الثقافية ، وفى هــذه المرحلة يحقق كل من الطرفين حاجته الشخصية معتمدا على الآخر ومتعاونا معــــه .

ولا شك أن كل من العمليات المشكلة للمراحل الأربع السابقة ، تنطوى فى واقع الأمر على عمليــــة واحــدة تسميها « رايس » Reiss نظرية العجلة الدائرة Whee Theory لأنه عندما يشعر شخص بالألفــة فانه يبوح للآخر بذلك ، ثم يصبح تابعا ومعتمدا ، وبذلك يحقق

---

4 — Irab. Reiss, " Joward a Sociology of the Heterosexual fove Relationship", Marriage and Family Living, 22 (May) 1960.

حاجاته أو احتياجاته الشخصية . وتقوم هـذه النظرية (الدائرية) على أن الرغبة فى تحقيق الاحتياجات الشخصية هى السبب الأصلى فى الشعور بالألفـة . ويمكن أن تدور (الدائرة) فى اتجاهين : اتجاه سلبى يحـد أو ينقص من درجة الألفـة والبوح الذاتى واتجاه ايجابى يزيد من كثافـة كل عمليـة .

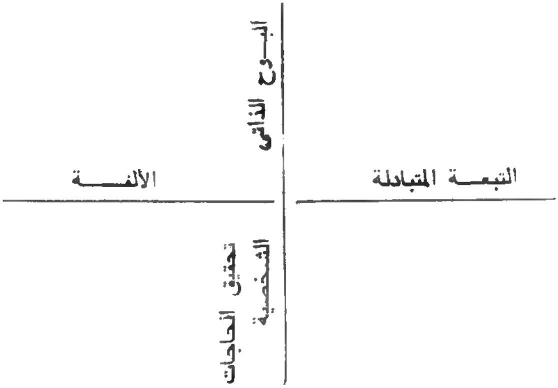

رسم توضيحى لنظرية العجلة (الدائرة) فى نمو الحب

ونحن نتفق مع المراحل التى حـددتها « رايس » لنمو الحب ، ونرى أن الحب يمكن ايضا أن يفسر نظريا بمتابعة عمليات (العجـلة) مرورا مراحل الألفة فالمصارحة (البوح الذاتى) ثم التبعية المتبادلة واخـيرا تحقيق الاحتياجات الشخصية .

ثالثا ـ ما هـو الحب :

يستخدم مصطلح « الحب » بمعان عـديدة مختلفة مثل : « انا احب الملابس النظيفة » او « أنا احب وطنى » او « أنا احب أهلى » أو « انا احب العمل » او « انا احب العلم » او « انا احب خطيبتى » . . . الخ .

ومن الواضح اننا لا نستطيع أن تحب الأهل بنفس الطريقة التى نحب بها الملابس النظيفة ، كما أنه ليست لنا نفس التجربة العاطفية مع الوطن مثل تلك التى نمارسها مع الخطيبة ... الخ .

ونتيجة لهــذه الوجوه العــديدة للحب لابد أن تصفه بأن نضيف بعض الصفات مثل : « بنوى ، أبوى ، زواجى ، رومانتيكى » . الا ان هذا لا يفسر ماذا نعنى بقولنا أننا تزوجنا بسبب الحب ، وأكثر من ذلك ، فالحب يعنى أشياء مختلفة تبعا لاختلاف الأشخاص . وهــذا يعتمد على خلفيتهم Back ground الثقافية وتجربتهم فى الوقت الذى تتعــدد فيه معانية باختلاف فترات العمر .

وعموما فالذى يميز الحب بين ذكر وانثى خارج نطاق أسرة التوجية Family of orientation هــو عنصر الجنس ، والجنس هنا لا يقوم بصورة كلية على أساس فسيولوجى ، لأنه يتشعب خلال حياة الفرد كلها ففى الحب الذى يؤدى الى الزواج (بالضرورة) ، فهناك تركيز للاهتمام على الشخص الآخر كمحور للدوافع البيولوجية ، وكوسيلة للراحة من التوتر البيولوجى .

ان الحب هــو ان يختار الانسان من أحبه بصدق ، ويرغبه بصدق ، ويمارس احاسيسه بصدق .

ان الحب هــو اختيار عقل وفعل وجــدان (العاطفة) .. وهــو بناء يقوم على الأخــذ والعطاء ، وهــو العاطفة التى تغنى اثنين معا ، حين يكون قربك من انسان حافزا أن تجــدى نفســـك ، أن تشعرى بانسانيتك ، ويجــد هــو فى تواجــده معك ذاته وكيانه . ثم تنطلقا الى رحاب الناس جميعا .. هــذا هــو الحب .

أن التوضيح الذى سطرناه سابقا يستلزم منا — ليكتمل — توضيح بعض النقاط :

١ — أن الانثى المصرية — وأيضا الذكر المصرى — المعاصرة تعانى من حلمها الدائم بالحب كحلم يقظة ولا تستطيع أن تمارسه بشكل واعى لعــدة أسباب منها !!

(أ) عــدم وضوح مفهوم الحب بشكله الصحيح لديها .
(ب) ما زال المجتمع المصرى المعاصر ينكر على الانثى المصرية المعاصرة حقها فى الحب .

٢ ــ أنه يرتبط مفهوم الحب فى ذهن الانثى المصرية المعاصرة بممارسة الجنس ، ولكن لا تجرؤ الأغلبية العظمى على ممارسة الجنس فى الحالة التى تكون هى مقتنعة فيها بأنها تحب ، تمسكا بعادات وتقاليد ومفـاهيم المجتمع المصرى المعاصر حـول تاثيم الجنس بشكل مطلق الا من خـلال الزواج وهنا يفقد الجنس ــ لدى الاناث المصريات المعاصرات ــ معنـاه كممارسة مقـدسة من أجل اشباع الاحتياجات الفسيولوجية والبيولوجية للانسان ويتحول الى ضرورة ميكانيكية من أجل غرض وحيد ومحـدد هـو الانجـاب .

٣ ــ أن هناك ظاهرة باتت غاية فى الخطورة وهى : أن الاناث فى المجتمع المصرى المعاصر ــ الاناث على وجه الخصوص ــ يتحـدثن عن الحب ويحلمن به ويأملن فى الحصول عليه ويتابعنه نظريا فى الأغنيـة والقصة والرواية وفى تجارب الآخرين ، والعجيب أنهن يتهمنه (بالحب) فى نفس الوقت بل قـد يشرن الى المحبين بشىء من السخرية والادانة .

٤ ــ أن الانثى فى النهاية هى ضحية المناخ العام فى المجتمع المصرى المعاصر حيث :

(أ) المناخ العام فى المجتمع المصرى المعاصر لا يزال غـير معترف بايجابية العواطف الانسانية بل ادانة هـذا العواطف والمشاعر الانسانية ومن أهمها بالتأكيد الحب .

(ب) فى نفس الوقت فان المناخ العام فى المجتمع المصرى المعـاصر يروج بكل الطرق بل وبأوسـعها انتشارا : مثل الأغنيـة والمسلسل والاذاعى والتليفزيونى والفيلم التجارى (السمة العامة للسينما المصرية) لقصص المحبين .

(جـ) أن مضمون الحب من وجهة نظر المناخ العام فى المجتمع المصرى المعاصر من خلال أجهزة اعلامه : هو : الفراق ، اللوعة ، الخيانة ، البكاء ، السهر والمعاناة ، مراوغة الرجل للحبيبة ... الخ . ودائما هناك جنس للجنس .

(د) تأليه المناخ العام فى المجتمع المصرى المعاصر — أيضا — فى عديد من القصص المكتوبة للحب من أجل الحب بلا أى ممارسات حتى ولو اللقاء نفسه بين المحبين ويسمى ذلك الحب الطاهر ! .. كيف لا نعرف ؟ !!

أن الانثى المصرية تقع فريسة هذا التناقض الصارخ حيث انها تعيش فى ظل المناخ العام فى المجتمع المصرى المعاصر المتخلف .

▪ — يحاول المجتمع المصرى المعاصر وضع ضوابط اجتماعية للحب فتأتى تلك الضوابط على شكل قيود قهرية غاية فى التخلف وبعيدة كل البعد عن ممارسة الانسان لانسانيته والمقصود بتلك القيود القهرية الانثى المصرية حيث أن المجتمع المصرى المعاصر يعطى ذكوره مجموعة ضخمة من الحريات ويكبل الانثى بمجموعات أضخم من القيود . ومن هذه القيود الآتى :

أولا : تزويج الأطفال بقصد ابعادهم عن أى فرصة للتفاعل العاطفى ، والحيلولة دون أى رفض أو معارضة للزواج ، ومن الواضح أن صغر السن وعدم ادراك مسألة الزواج بصورة كافية هو الذى يجعل من هذا الضبط اجراءا فعالا من حيث الشكل وزائفا من حيث المضمون . (يحدث هذا فى المجتمع القروى بشكل كبير) .

ثانيا : تطبيق صارم لنوع من القواعد القرابية المتعارف عليها التى تحدد بشكل حاسم أزواج المستقبل ، ومن المعروف أن الكبار وفقا لهذه القاعدة من الضبط هم الذين يصنعون القرار ، ويحددون موعد الزواج ، ويعينون الطبقات أو الجماعات التى تكون جديرة بأن يختار منها أزواج المستقبل . (يحدث هذا فى بعض الأوساط البرجوازية

المدنيه والريفيه على وجه الخصوص والغرض منه عـدم خروج الثروه عن نطـاق العـائلة) !

ثالثا : العزل الاجتماعى والجسمانى للشباب ويتم ذلك عن طريق عـدم تمكين من هم فى سن الزواج من وجهة نظر المجتمع ، من رؤية بعضهم البعض بغض النظر عن مدى صلاحيتهم بالفعل للزواج . ومما لا شـك فيه أن عـدم التقاء الفتى بالفتاة فى ظـل ظروف معوقة تمنعهما حتى من تبادل الحـديث وهـذا يؤدى الى قيام عقبات شديدة امام امكانية نمـو الحب أو ربما حـدوثه أصلا (يحـدث هـذا فى صعيد مصر على وجـه الخصـوص) (*)

رابعا : عـدم السماح بوجود مدارس مشتركة ابتداءا من المرحلة الاعـدادية (سن الطالب أو الطالبة ١٢ سنة فى المتوسط) حتى لا يسمح المجتمع بوجود علاقات مشتركة من أى نوع بين الطالب والطالبة (يحدث هـذا فى جميع مدن المجتمع المصرى المعاصر بلا استثناء عـدا المدارس الأجنبية ونسبتها لا تذكر بالمقارنة مع المدارس العامة) .

خامسا : تمتلىء المساجد والمدارس والأحاديث الدينيـة والأحاديث العامة بمقولات مخيفة حول التحـذير من وجود الاناث مع الذكور لأن ذلك يجلب العـديد من المخاطر التى تصل الى درجة الكوارث مثل :

— ما اجتمع رجل وامرأة الا وكان ثالثهما الشيطان !
— لا تضع البنزين (المرأة) بجانب الكبريت (الرجل) !

سادسا : ما زال المجتمع المصرى المعاصر حتى اليوم يرى أن تبادل الحب بين الذكر والانثى هو نوع من « المسخرة » ويؤكد العـديدون على ان الحب يأتى بعـد الزواج . كأن الحب هـذا رفاهية لا معنى لها .

ان استعراضنا السابق كله يعطينا الآتى :
انه وسط الدوامة التى تحياها الانثى المصرية المعاصرة فى موضوع الحب من حيث عـدم وضوح مفهوم الحب لديها والقيود المفروضة عليهـا

من قبل المجتمع كى لا تحب حتى ولو بمفهومها الغير واضح عن الحب هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اجبارها على الحلم بالحب وبممارسته من خلال اجهزة اعلام المجتمع ذاته من ناحية أخرى ، كل ذلك يولد لديها كبتا يحرمها من الفعل ، أو يسبب انفصاما بين تفكيرها وفعلها . أنها تفكر فى الحب ولا تمارسه بشكله الصحيح أو تبتعد عن الحب تماما رغم أن ذلك فى كثير من الأحيان يكون مناقضا لحلمها بالحب ، انها تعيش الصراع الدائر على الدوام بين أفكارها وعدم قيامها بالفعل الذى تريده ، أنها تقع فى حيره شديدة تريد أن ترضى المجتمع ليرضى عنها وفى نفس الوقت لا تريد أن تخسر نفسها ، ولكنها دائما ترضى المجتمع وتخسر نفسها .

٢ ــ الزواج :

فى المجتمع المصرى المعاصر نلاحظ أنه من البديهيات أن تبقى الانثى بكرا حتى تتزوج والا عاقبها المجتمع اذا فرطت فى « غشاء البكارة » اشد العقاب الذى يصل الى حد القتل وزواج الأنثى فى المجتمع المصرى يعنى ضمن اهم ما يعنى التناسل واتاحة تكوين أسرة التناسل Family of Procreation الجنسية .

والزواج فى المجتمع المصرى يتسم بأهمية بالغة للعوامل الآتية :

١ ــ لتحقيق رغبة أعضاء الأسرة التوجيهية لكل من الزوج والزوجة فى أن يفرحوا بمولد جديد (اعز الولد ولد الولد ــ مثل شعبى) .

٢ ــ لتصور المجتمع أن الزواج هو الشىء الوحيد الذى يحمى الذكور والاناث (بصفة خاصة) من الوقوع فى الرذيلة . ولكون الزواج عبادة يستكمل الانسان بها نصف دينه فعن أنس . أن رسول الله ص.ع

« يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه اغض للبصر ، واحصن للفرج .. ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » ..

٣ ـ لاكتساب مكانة اجتماعية مرموقة هى مكانة الزوج للذكر ومكانة الزوجة للانثى ، حيث أن أحـــد معايير الاحترام فى المجتمع المصرى المعاصر للانثى هى هل أنت متزوجة أم لا ؟

٤ ـ رفع الأعباء المـــالية من على كاهل اسرة الزوجـــة (الانثى) التوجيهيـــة .

٥ ـ الزواج وسيلة لستر « عرض الفتاة البكر » وتجنب بوارها اى لا تبقى « عانسا » .

والزواج فى المجتمع العربى عموما والمصرى على وجه الخصوص ، له اهمية قصوى بالنسبة للانثى ولعل الأمثلة الشعبية والأقـــوال المتداولة بين الاناث توضح ذلك :

ـ ضـــل راجـــل ولا ضـــل حيطة
ـ خـــدوا جـــوز الخرسه اتكلمت
ـ عـــوره ومتجوزه .. غندورة ومتهننه
ـ خـــديلك راجل يبقالك فى النهار أجير والليل غفير
ـ اللى تقرص العروسة ليلة دخلتها تحصلها فى جمعتها
ـ البنت اللى تبص فى المراية بالليل تبور
ـ رش الملح فى الزفة يمنع الحسد والعين
ـ اذا وقعت دبلة الخطوبة وقت كتب الكتاب يبقى الجواز مش نافع

من الملاحظ من السابق كله مدى الرعب الذى يولده المناخ الثقـــافى والاجتماعى المصرى فى عقول الاناث من تأخر الزواج ، ومدى ما يغرســـه فى عقول الاناث من التلهف على الزواج

ونتيجة لذلك تأتى الانثى العـــديد من الأفعال كى ترضى الذكر وتغريه من اجل أن يتزوجها فهى بدون زواج لا تساوى شيئا (فى ظـــل المنـــاخ الثقافى والاجتماعى فى المجتمع المصرى المعاصر) .

ومن الملاحظة المتأنية ـ ودون أن نبذل عناءا كبيرا ـ يمكننا ان نرصد ما يلى :

أن الانثى فى المجتمع المصرى تحاول قدر الامكان اغراء الذكور الذين فى سن الزواج ، واغراء الانثى يتم عن طريق استخدام كل ما يبرز جمالها فقد علمها المجتمع أن جمالها هو رأسمالها فى الحياة .

أن الانثى مجبرة على فعل ذلك كي لا يفوتها قطار الزواج ، فبزواجها ينتهى رعب كلمة « عانس » التى تعادل لديها حكم الأعداء .

واذا تساءلنا عن المعايير التى تحكم اختيار الانثى للزوج (الذكر) فوجئنا بمعايير عجيبة ، فمن خلال استمارة جمع المعلومات — التى سوف نفرد لها بابا خاصا لتحليلها وجدنا أن معايير اختيار الزوج لدى الغالبية من اناث العينة هى :

المقدرة الاقتصادية (المالية) للزوج — ضل راجل ولا ضل حيطه !!

ولم يكن هناك اقبال يذكر على المعايير الآتية :

المستوى التعليمى — المستوى الثقافى — القدرة على عقد صلات اجتماعية — الاشتغال بالأعمال العامة — الحب .

وقد نفاجأ بأن هناك أصواتا تعلو قائلة : الظروف الاقتصادية التى يمر بها المجتمع المصرى المعاصر من تضخم وارتفاع فى الأسعار ... الخ تحتم أن يكون العقل فى تحديد المعايير هو الفيصل ، وبالتالى لابد للانثى من اختيار القادر ماليا على « فتح بيت » لها .

الرد ببساطة : أن قمة تدهور العلاقات الانسانية تأتى عندما يكون كل شىء يباع ويشترى . واذا كانت السلع تشترى فان الانسان لا يباع وبالتالى لا يشترى . ولكن لأن الانثى المصرية قد فقدت المضامين والمفاهيم الانسانية التى تبنى عليها علاقة الزواج تماما كما فقدت المفاهيم الصحيحة عن الحب ، لأنها فقدت ذلك ، أصبح المعيار الوحيد أمامها هو الوسيلة التى تمكنها من الزواج السريع وهذه الوسيلة هى المال وبالتالى فهى

تنفضل الذكر القادر ماليا على اتمـــام الزواج بأسرع ما يمكن ، ذلك لأن الزواج كما قلنا فى ظـل المناخ الثقافى والاجتماعى للمجتمع المصرى المعاصر قيمته الأساسية وأهميته فى ستر عرض الفتاة . ومن هنـا كانت المقولة المريضة والمفزعة حقا وهى التى تردد على الســنة الاناث من مختلف المستويات التعليمية والطبقية فى المجتمع المصرى المعاصر ، تلك المقـولة السوداء : الراجل ميعيبوش الا جيبه . ولنا أن نضيف : دون أى اعتبارات أخــرى .

ويكون المفزع ايضا ــ تأكيدا لمـا سبق ــ أن يكون اختيار الذكر كزوج لتحتمى الانثى بظله وليمنحها الشرف حيث : ضـل راجل ولا ضـل حيطة ! وهـو مثل تردده أيضا معظم الاناث من مختلف الأصول الطبقية والاجتماعية .

أن ما سبق يدلنا بما لا يدع مجالا للشك ، أن الانثى المصرية المعاصرة تسعى الى الزواج بأى شكل ، لأنه الشكل الوحيـد الرسمى والشرعى والقانونى والأخلاقى الذى يمكن من خلاله أن تعيش اقتصاديا (اذا لم يكن لها عمل أو ايراد) وتحمى اجتماعيا (الانثى غير المتزوجة متهمة دائما) ، وبالاضافة لمـا سبق كى لا تعاير من قبل المجتمع انها بلا زواج اى «عانسا» وهـو ما يعتبر فى المجتمع المصرى نوعا من السب للانثى !

ان الانثى هنا لا تختار بين الزواج أو عـدم الزواج ولكنها يجب أن تتزوج ، والا فان المجتمع لن يقبلها ، ولن يحترمها ، وفوق ذلك كله لـن يعتبرها أمرأة طبيعية ، ومهما بلغت من الذكاء والثقافة وتفوقت فى عملها ونبغت ، ثم لم تتزوج فلابد أن هناك عيبا فيها !! فهذه هى رؤية المجتمع .

بالاضافة الى ما سبق من حيث مرور الانثى بمرحلة «انتظار العريس» ، وقلقها الدائم كلما مرت سنة من عمرها بدون زواج حتى لا تسمى «عانسا» ، و « المناورات ! التى تقوم بها من أجل « اصطياد » ذلك « العريس » هى وأهلها . فانه يوجـد ما هـو أكثر افزاعا من ذلك حيث « المساومات » وهى أحـد مستلزمات الزواج التى أخـذت شكل الشراء فيما يسـمى « بالمهر » ذلك المبلغ المدفوع من قبل « العريس » لأهل « العروس » من

اجل اتمام الزواج، ويحـــدث كثيرا العـــديد من أشكال المساومة من أجل زيادة المبلغ المدفوع من قبل أهل « العروس » ، كأن الأمر « بيعه وشروه » (على حـــد تعبير العامة المصريون) ، وما هـــو أكثر تخلفا مثل « القايمة » وهى ورقة يكتبها « العريس » على نفسه موضحا فيها نوع الأثاث الذى أحضرته « العروس » الى منزل الزوجية ، وتعتبر هـــذه الورقة بمثابة ايصال أمانه ، وان دل ذلك على شىء فهـــو يدل على ارتيـــاب أسرة « العروس » فى « العريس » أى زوج ابنتهم . لا شك أنه لا يوجـــد ما هو اشد انحطاطا من ذلك فى علاقة زواج المفروض أنها مقـــدمة لبناء أسرة جـــديدة . علاقة تقوم على ارتياب أهل الزوجة ، بل والزوجة نفسها ضمنا فى الزوج !!

وفى النهاية يمكننا ان نقول ان الزواج بشكله الحالى يقـــوم على مفهوم ان الانثى كائن ضعيف ولابد أن يحميه رجل قـــوى ويعوله ويمنحه حـــق التواجـــد الاجتماعى ! . ان هـــذا المفهوم فاسد فلا الانثى كائن ضعيف ولا هى فى حاجة للحماية عن طريق رجل ..

ان الزواج بمفهومه الصحيح : هـــو اختيار حر بين رجل وامرأة قائم على استجابة لانفعال سار هـــو الحب ، ليكون الطرفان معا مؤسسة : اقتصادية (حيث يعمل الطرفان معا على المشاركة فى أعباء الحيـــاة) ، ثقافية (حيث يضيف كل من الطرفين للآخر ويعـــدل الأفكار والمبـــادىء والقيم) ، اجتماعية (حيث مشاركة الطرفان معا فى أمور الحياة والمجتمع على أوسع نطاق ممكن) ، جنسية (حيث ممارسة الحب ومن أجـــل الانجاب حسب رغبة الطرفين) ، ويقوم الزواج على المعاملة المتكافئة من حيث الحقوق والواجبات كما يرتضيها الطرفين ، وينمو من خلال هـــذه المؤسسة الطرفان بالايجاب وينمو معهما الحب دافعا كليهما الى الارتباط الأوثق بالآخر .

أما الزواج بمفهومه الحالى فانه يجعل العلاقة بين الزوجين علاقة مملة روتينية ، لذلك يعود للكثيرات من الزواجات الوعى بعـــد الزواج والانجاب ويفكرن فى حياة الزواج وماذا حققت لهن ويجـــدن أنهن افتقدن

ذواتهن وضحين بأنفسهن ، ويقعن فى صراع نفسى حاد بين الرغبـــة فى التخلص من علاقتهن الزواجية وبين نظرة المجتمع لهن لوفعلن ذلك ، وعادة ما يصبح لهن حياتين : واحـــدة فى العلن كزوجة بكل زيفها وأخرى غـــير علانية سواء بالأمنية أو الفعل بكل صدقها ، ويصبحن نهبا للتناقض الوجدانى Ambiva Lence وعادة ما لا يقـــع الأزواج فى ذلك فمساحة الحرية للرجال لممارسة حياتهم واســـعة جـــدا وبتصريح غير علنى من المجتمـــع .

وفى النهاية نتساءل .. مجرد تساؤل :

هل الزواج بشكله ومضمونه الحالى فى المجتمع المصرى من الممكن أن نطلق عليه دعارة شرعية ؟ ! فقط مجرد تساؤل !!

٣ — تزين المرأة :

من الملاحظ — كظاهرة عامة — أن الاناث فى المجتمع المصرى المعاصر ، يلجأن الى التزين بشكل فج ومبالغ فيه ، سواء رسم الوجه باستخدام المساحيق الصناعية (المكياج) أو باعداد (تفصيل الملابس) التى تظهر أماكن معينة من الجسم تلفت اليها النظر . والتزين على هذا النحو يكون على العكس تماما من أن تبدو والانثى فى صورة مقبولة شكلا من خلال نظافتها الشخصية وملابسها البسيطة . وعندما طرحنا فى استمارة تجميع المعلومات سؤالا حول سبب تزين المرأة كانت الاجابة الغالبة عكس ما كنا نتوقع فقد كانت : لاثبات ذاتها — للفت نظر الرجال .

ونقول انها عكس ما كنا نتوقع ذلك أننا كنا نتوقع اجابة أقل ادانة للانثى من ذلك . ولكن هذه الاجابة جاءت متفقة مع تشخيصنا لأسباب تزين الانثى المبالغ فيه على النحو التالى :

فكما ذكرنا سابقا ، أن المناخ الثقافى والاجتماعى فى المجتمع المصرى المعاصر ، قد كرس معايير معينة فى التربية الخاطئة ، فخرج الذكر ومعيار ذكورته القوة والسيطرة والامتلاك ، وخرجت الانثى ومعيار أنوثتها الضعف والخضوع وطاعة وارضاء الرجل بأى شكل . وهكذا أصبح « جمال » الذكر فى قوته الذكورية وسيطرته وثروته التى يمتلها من مال ، وأصبح « جمال » الانثى فى جسدها شعرها وبشرتها ورموشها وملابسها حسب آخر موضات العالم . ونفى المناخ الثقافى والاجتماعى فى المجتمع المصرى المعاصر ، بحكم كونه مجتمعا متخلفا أن القوة فى كلا الجنسين : الذكر والانثى ، هى قوة الابداع والخلق المستمد أصلا من ثقافة الانسان ، وذلك الابداع والخلق ينصب فى العمل ، والعمل هو خدمة للمجتمع بشكل عام ، وهنا مردود العمل فى ازدهار المجتمع وهذا يعنى بالضرورة تقدم أفراده فى كافة النواحى الاقتصادية والثقافية والتعليمية والابداعية ، وهذا هو قمة اثبات الذات وقمة القوة ، فالقوة ليست جسدا وفقط والا أصبح المجتمع غابة ، ولكن القوة هى فى النهاية تحدى العقل الانسانى لما حوله من ظواهر ونشوء الصراع الذى يولد كما هائلا من الطاقات الابداعية العائدة على الفرد نفسه وعلى المجتمع ككل .

ومن ثم بات الشعور بالنقص فى كل من الانثى والذكر خاضعاً لمقاييس المناخ الاجتماعى والثقافى للمجتمع المصرى المعاصر السابقة التى وضعت للذكورة والانوثة ، والانثى قد تتصور أنها غير مرغوبة جنسيا (لسبب من الأسباب وأهمها عند المراة الا تكون جميلة الشكل) وتفقد الثقة فى نفسها كأمراة ، وتشعر بعقدة نقص ، أى تشعر بأن أنوثتها أقل من غيرها من النساء ، وقد تكون هذه الانثى جميلة بالمقاييس السائدة لجمال المراة لكنها تعتقد فى أعماقها أنها ليست مرغوبة . والمهم هنا هو الاحساس الداخلى وليس المظهر الخارجى ، فالجمال شأنه شأن المال لا يمكن أن يعطى احساسا بالثقة لانسان يفتقد أصلا هذه الثقة داخل نفسه .

ان المراة الجميلة قد تطرب لسماع كلمات الاعجاب من الرجل ، ولكنها تشعر فى أعماقها أن هذا الاعجاب ليس موجها اليها ذاتها كشخص وانما هو موجه الى شكلها الخارجى . ذلك مرجعه الى عدم ثبات شعورها الداخلى بالكمال أو القرب منه .

ولقد لوحظ ان أكثر الاناث تزينا وبهرجة واظهارا لجمالهن الجنسدى الانثوى هن اكثر النساء احساسا بالنقص ، وان محاولتهن الدائمة للمبالغة فى التجمل والتزين ليست الا مداراة أو تعويضا عن ذلك الاحساس الدفين بالنقص وبأنهن نساء غير كاملات .

ان ذلك — كما أشرنا سابقا — مرتبط الى حد بعيد برغبة الانثى فى لفت نظر الرجال من أجل الزواج ، حيث أن الزواج هو القيمة الأساسية فى حياة الانثى المصرية كمعيار للاحترام والقبول الاجتماعى من وجهة نظر المجتمع المصرى المعاصر .

ولكن ما القول فى الاناث المتزوجات اللواتى يبالغن فى التزين ؟ ان الرد ببساطة ان هؤلاء الاناث هن بالضرورة غير راضيات عن حياتهن الزوجية وهذا شئ منطقى فما دام الزواج — كما أشرنا من قبل — لا يبنى على أسس ومعايير صحيحة فبالتالى ومع مرور الوقت يصبح غير محقق لأهم أهدافه وهو التكيف والتوافق الزواجى ، وبالتالى تفقد الزوجة

احساسها بالاشباع والدفء العاطفى ، ويزداد ويتضاعف فقدانها للثقة فى نفسها ، ومن ثم يصبح التزين هنا نوعا من أنواع محاولة اثبات الذات بشكل أقوى وأعنف ، حيث تشعر الانثى هنا أنها مرغوبة من الآخرين من خلال نظرات الاعجاب بها من قبل الذكور ، وهى تفعل ذلك متعمدة للفت انظارهم ، وهى تشعر بالراحة الزائفة عندما تبرر لنفسها أنها هى ليست السبب وأنها ليست المشاركة فى عدم التوافق الزواجى الذى تستشعره بدليل أنها مرغوبة من الآخرين . ذلك دونما أى تفكير فى أسباب عدم التوافق الزواجى الذى تستشعره ومن أين لها أن تعرف هذه الأسباب وسط هذا التناقض المرير الذى تعيش فيه وغموض مفاهيمها حول الحب والزواج والحياة بشكل عام فلم يعلمها المجتمع الا التخبط والحيرة .

ويشارك المجتمع المتخلف ثقافيا واجتماعيا فى أن تظل الانثى فى حالة فقدان الثقة فى النفس هذه التى تعيشها ، فأجهزة الاعلام وبالذات التليفزيون ، والصحف والمجلات وبالذات المصورة ، والسينما التجارية المصرية ، تعرض على الانثى كل يوم وبلا انقطاع ذلك السيل من الاعلانات التجارية التى ترتكز أساسا على أجساد النساء العاريات الجميلات الرشيقات الأنيقات اللواتى « يقع » فى حبهن الرجال من أول نظرة ! . والكم الهائل من اعلانات « البارفانات » وأدوات « الميكاج » وأصناف من كل لون ، وصناعة أرقى بلدان العالم الرأسمالى .

والترويج الى أن الرجل لا يجذبه فى المرأة شىء قدر جمالها وملابسها . وبالتالى تسيطر هذه الاعلانات وهذه المفاهيم على عقل الانثى فلا تجد مفرا ولا حتى متسعا من الوقت للتفكير ، فهى تشترى المساحيق والملابس بشكل آلى ولا تستطيع الا أن تتصرف بشكل ميكانيكى لا واعى فى محاولة لتقليد هذه الفاتنه التى رأتها فى الاعلان ، فهى تسمع فعلا من الذكور المصريين « آهات » الاعجاب بهؤلاء العارضات للسلع ، وهؤلاء الممثلات الفاتنات فى المسلسل والفيلم المصرى ، وبالتالى تقع فى « المصيدة » التى نصبها لها المجتمع المتخلف ثقافيا واجتماعيا التجارى الذى من أجل أن تروج مستحضرات التجميل والملابس المستوردة لصالح ثراء فاحش لقلة من أصحاب السلع والصناعات المختلفة تتعذب ملايين النساء بسبب ذلك الاحساس الزائف بالنقص وعدم الاكتمال .

واخيرا : فان المثل العليا التى تتمثلها الانثى منذ طفولتها حتى مماتها ، فى الأسرة والمدرسة والشارع والصحافة والاذاعة والأفلام والصور والكتب ، كلها تدفع بها لا الى طريق العمل والفكر والخلق والابداع ، لا الى أن تستمد وجودها وتثبت ذاتها من خلال ايمانها بضرورة دفع مجتمعها مئات الخطوات الى الأمام عندما ينمو فيها أن الواحد فى الكل ، وانما الى اصطياد رجل بأى شكل والزواج منه بأى شكل والا فقد فاتها « القطار » وفاتتها جنة الله على الأرض . والوسيلة الوحيدة التى علمها لها المجتمع هى اغراء الرجل لأنه علم الذكور أيضا أن الانثى الحقة هى « الجميلة » وجها — حتى ولو كان هذا الجمال صناعيا بوسائل التجميل — « المشوقة » قواما « والباهرة » ملابسا .

وهكذا يصبح ما جاء باستمارة تجميع المعلومات من أن المرأة تتزين من أجل لفت انظار الرجال ولاثبات ذاتها ، والذى قيل عن لسان الاناث ، هو حقيقة شعور الانثى فى المجتمع المصرى المعاصر بفقدان الثقة فى النفس وخضوعها الكامل لمعايير المجتمع فى تقييمه للانوثة من وجهة نظر ذكورية أبوية متخلفة ؛ تلك المعايير التى تلغى عقلها وقدراتها الابداعية وكونها كائن اجتماعى كامل .

ثالثا ــ سيكولوجيا المرأة المصرية المعاصرة بشكل عام :

لقد رصدنا فى استعراضنا السابق ، العديد من الأعراض النفسية التى تعانى منها أغلبية الاناث المصريات المعاصرات مثل : الخوف وفقدان الثقة فى النفس والتوتر الشديد والقلق وثنائية العاطفة والنقص فى النضج الانفعالى والممارسات الحياتية بلا مفاهيم واضحة والكبت .

وقد اتضح فى أكثر من موضع فى هذا الفصل وغيره أن الانثى المصرية المعاصرة هى ضحية المجتمع المتخلف الذى تعيش فيه ، والذى حولها الى كائن تابع للرجل المتخلف هو ذاته كنتاج لمجتمع يعيش فيه .

وهكذا صارت الانثى غير قادرة على الفعل بصدق أى أنها تعانى من الكبت وهى تعيش صراع بين ما هو مفروض عليها من المجتمع وبين ما تتمناه ، ولقد عرضها ذلك للصدمات النفسية وأصبحت تعانى من الأعراض النفسية السابقة ولقد تعرضت للصدمات النفسية نتيجة اصطدام الواقع بخيالها ، فأصبحت تعيش صراع العالمين الحقيقى والخيالى فى ذهنها .

وكما ذكرنا فان الكبت المفروض على المرأة من المجتمع حرمها من الفعل ، أو سبب لها انفصاما بين تفكيرها وفعلها ، ذلك انها تفكر فى شىء معين ثم لا تفعله أو تفعل شيئا آخر قد يكون مناقضا لما تفكر فيه . وهذا يسبب لها القلق ، هذا القلق الناتج من خوفها من الأفكار ، ومن الصراع الدائر على الدوام بين هذه الأفكار وبين أفعالها التى تعبر عن هذه الأفكار أو عن عدم قيامها بالفعل الذى تريده .

ان الانثى المصرية ليست بحال من الأحوال سوية نفسيا ، ولا يمكن لنا ان نعتبر أن التكيف الذى تبدية الانثى هو تكيفا طبيعيا مع مجتمعها . ونرى انه اذا كان من المتفق عليه أن تعريف العصاب هو (عدم القدرة على التكيف مع المجتمع) ، فان الانثى المصرية تتكيف مرضيا مع مجتمعها . فتقتل الجزء الأكبر من وجودها من أجل الابقاء على جزء صغير جدا من هذا الوجود .

وعليـــه يمكننا القــول بأن الغالبيـــة العظمى من الاناث المصريات المعاصرات يعانين من العصاب بصورة واضـــحة نتيجة محاولتهن التكيف الظاهرى مع المجتمع الذى يكبلهن بالعـــديد من القيــود . ان تلك القيــود والمحظورات المفروضة على الانثى تمزق شخصيتها الى تناقضـــات . أن عقلها يختلف مع مشاعرها ، ومشاعرها تختلف مع ارادتها وارادتها تختلف مع أفعالها . ورغم ذلك تبدو راضية لأنها متكيفة مرضيا مع المجتمع .

ومن ناحية أخرى فقد طرحنا مفهوما عن الصحة النفسية الجيـــدة حيث يكون الفرد فى صحة نفسية جيدة اذا : « حققت دوافعه مدى ادراكه لاحتياجاته وأمكنه مجتمعه من ذلك » . وبتطبيق هـــذا المفهوم على وضع المراة المصرية المعاصرة ، فسوف نجـــدها أبعـــد ما تكون عن الصـــحة النفسية الجيدة ، فعلى الأقل المجتمع ــ كما رأينا فى السابق كله ــ لا يحقق ولا يمكن الانثى من أن تحقق دوافعها مدى ادراكها لاحتياجاتها .

وبتطبيق مقاييس الصحة النفسية ، يمكننا أن نضع المراة المصرية المعاصرة ذات الشخصية العصابية ، حيث المرض العصابى الذى يستخدم فيه الوسائل الدفاعية بدرجة معجزة تزيد من العمى النفسى حتى تسمى أعراضا ، توضع هـــذه الشخصية (شخصية الانثى المصرية المعاصرة) فى المستوى المقابل للمستوى الدفاعى للصحة ، وتستعمل هنا الوسائل الدفاعية لتجنب الألم أيضا ، ولكنها تزيد الى درجة مرضية لتغطى احتمال رؤية أعمق وأصـــدق حيث أن العمى النفسى هنا يكون دفاعا ضـــد التهـــديد بدرجة أكبر من الرؤية .

فالمراة المصرية المعاصرة تتشكل حسب قوالب المجتمع التى صبها فيه وتجارى قيمة الرجل أكثر من غرائزها هى نفسها ، انها تنجب ولا تطور ، انهـــا مكتفية بلقمة العيش أيا كانت وتحيا وهى تقنع نفسها أنهـــا تملك بيتا وهى فى الحقيقة لا تملك شيئا فالمجتمع الذكورى لا يسمح لهـــا بذلك . انهـــا تحاول ايهام نفسها انهـــا ترتوى من الحياة حسب قـــدرها وتردد دائما : « مقـــدر ومكتوب » لتتجنب ظاهريا الألم والقلق .

أننا نكرر أن المراة المصرية المعاصرة بما وصلت اليه من تدهـــور راجع فى الأساس الى كونها ضحية مجتمع هـــو جزء من حضارة راسمالية

تعتمد على تشيء الأشخاص ، وتجزئة الكل . لأنهـا حضارة ترتكز على الملكية وعلى ذلك فالقيمة الأساسية أصبحت للأشياء التى تمتلك ، واصبحت المراة شـيئا قابلا للتجزئة وليست شـخصا كامـلا . أنهـا تحيـا فى مجتمع يجهل أن الفرق الأساسى بين الانسان والأشـياء ، أن الانسان لا يقسم أما الأشياء فيمكن تجزئتها . تجهل أن الانسان لا يصب فى قوالب جاهلة من صنع الآخرين تقضى على ابداعاته وقـدراته الخالقة .

ولنا أن نضيف أن الانثى المصرية لا تفهم جيداً أشكال العلاقات التى يمكن أن تقوم بين الجنسين ولا تضع حـدودا فاصلة بينها ، ونتيجة انهـا تفقـد المعانى والمضامين العلمية عن مراحل عمرها المختلفة حيث منـع المجتمع عنها ذلك لتخلفه الثقافى . وعليه فهى تدرك أن المستقبل بالنسبة لهـا أسوأ .

وسط ذلك تحيا المراة المصرية المعاصرة فى مجتمعها .

واذا كان لنا أن ننهى هـذا الفصل فلنا أن نقول : ان المراة المصرية التى نأملها هى تلك المراة المتمتعة بالصحة النفسية أى المتكاملة البناء فى شخصيتها ، القادرة على تحطيم التقاليد والعادات البالية التى تتحـكم فيها وتقيدها وتحيا بداخلها وخارجها وتفرض عليها أن تكذب على نفسها وعلى الآخرين ، حتى يمكنها أن تؤسس حياتها وحياة أجيال قادمة بكونها عضوا مشاركا فى مجتمعها .

مراجع الفصل الثالث العربية

١ — د. يحيى الرخاوى ، حيرة طبيب نفسى ، نهاية وبداية ، القاهرة ، دار الغـــد للثقافة والنشر ، ١٩٧٢ .

٢ — د. مصطفى فهمى ، الشذوذ النفسى ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٧ .

٣ — د. محمد فرغلى فراج ، مرضى النفس فى تطرفهم واعتدالهم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

٤ — د. نوال السعداوى ، الانثى هى الأصـــل ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤ .

٥ — جورج بوليتزير ، ازمة علم النفس المعاصر ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٩ .

مراجع الفصل الثالث الأجنبية

1 — Robert R. Harett, Animism, Encycolopedia Britannica, 14tn. New York, 1942.

2 — Edmund C. Conklin : Principles of Abnormal Psychology. New York, Henry Aolt and Company, 1972

3 — Erick Fromme, Man Tor Himself, Richart and Company, 1947. And Psycho-analyjs and Religion, Bantam Books, 1950.

4 — Klemer, Richard H. "Marriage and Family Relationships", Harper and Row, Publishers, Incoroprated, New York,1970

5 — Iral. Reiss, " Toward a Sociology o fthe Heterosexual Love Relationship ", Marriage and Family Living, 22 (May) 1960.

6 — H. Ellis : Rsychology of Sex ", London, W. Heinemann, 1944.

7 — J. C. Fleugel ,Man Morals and Society. Peregrnie Book, 1962.

8 — Harblock Ellis : " Psychology of Sex ", 9th ed., New York, 1944.

9 — Rollo May, Existential Psychology, Random House, 1961.

10 — E. J. Clegg, : The Study of Man. The English Mniversities Press Ltd., London, Ec. 4. 1969

الفصل الرابع :

عرض لاستمارة تجميع المعلومات

لقد اعتمدنا فى هذا البحث على استمارة تجميع معلومات . باستخدام العينة العشوائية المنتظمة :

عشوائية : حيث لم نذهب لاناث باعينهن أو فى اعمار واحدة أو احياء سكنية بعينها .

منتظمة : حيث قسمنا عدد الاستمارات البالغ مائة وخمسون استمارة الى الآتى :

- خمسون أستمارة لاناث متعلمات تعليما عاليا .
- خمسون استمارة لاناث متعلمات تعليما متوسطا .
- خمسون استمارة لاناث أميات .

وكلهن لسن مريضات نفسيا فى اعتقادهن بمعنى انهن لم يذهبن الى طبيب نفسى أو معالج نفسى فى حياتهن .

وكانت نتائج أسئلة تجميع المعلومات على النحو الآتى :

أولا ـ كانت العادات الأكثر شيوعا على النحو لآتى :

الختان	٩٨ر٦٪
الغيرة	٧٤٪
السبوع	٧٢٪
الحسد	٦٦ر٧٪
الزار	٦٥ر٣٪
زيارة المقابر	٦٠٪
النذور	٥٧ر٣٪
المأتم	٤٧ر٣٪
الايمان بالسحر	٤٦ر٧٪
الأربعين	٤٤٪
زيارة أولياء الله	٤٠ر٧٪

ثانيا ـ كانت أهم المشاكل التى تعانى منها المرأة المصرية على النحو التالى :

عدم توافق زواجى	٧٥ر٣٪
مشاكل اقتصادية	٦٦ر٧٪

برود جنسى	٥٩٫٣٪
مشاكل عاطفية	٥٦٫٧٪
قيــود المجتمع	٥٣٫٣٪
مشاكل نفسية	٥٢٪
تأخر سن الزواج	٤٨٫٧٪

ثالثا ــ كانت اهم الأسس التى تبنى عليها علاقة المرأة المقـــدمة على الزواج على النحو التالى :

المستوى الاقتصادى للزوج	٥٦٫٧٪
الحـــب	٥٢٫٧٪
ضل راجل ولا ضل حيطه	٣٤٪

رابعا ــ كانت الأسس التى تحـــدد مفهوم الحب على النحو الآتى :

الحـــب جميـــل	٣١٫٣٪
لا يوجـــد حب	٣٠٫٧٪
الحب تفـــاهم	٢٨٪
لا أعـــرف	٢٠٫١٪
الحب احترام	١٧٫٣٪
الحب تضحية	١٢٪
الحب عيب	١١٫٣٪
الحب عاطفة سامية	٨٫٧٪
الحب اخـــلاص	٧٫١٪
يا ســـلام !	٦٪
الحب غيرة	٦٪
الحب تكوين أسرة	٥٫٣٪
الحب حنـــان	٤٪
الحب هـــو الحياة	٤٪
الحب ترابط	٣٫٣٪
الحب ضرورى	٢٪
الحب الفـــة	٠٫٧٪

خامسا ــ كانت الاستجابة للخروج للعمل من عدمه على النحو الآتى :

الخروج للعمل	٥٤٪
عـــدم الخروج للعمل	٤٦٪

سادسا — كانت الاستجابة بالنسبة لمساواة المراة بالرجل على النحو الآتى :

الذكاء	٤٨ر٧٪
القدرة على عقد صلات اجتماعية مع الغير	٤٢٪
الاشتغال فى نفس وظائف الرجال	٤٢٪
الاشتغال بالأعمال العامة	٤١ر٣٪
نظرة المجتمع للمرأة	١٠ر٧٪

سابعا — كانت استجابة المبحوثات للعلاقات التى من الممكن ان تقيمها على النحو الآتى :

زمالة	٥٠٪
الرفض الكامل لأى علاقة	٣٢ر٧٪
صداقة	٤ ٪

ثامنا — كانت الاستجابة لتحديد النسل هى :

نعم	٥٨ر٧٪
لا	١٨٪

تاسعا — كانت انطباعات المبحوثات عن الطفولة تندرج تحت :

جميلة	٤٣ر٣٪
براءة	١٤ر٧٪
لم أعشها	١٢٪
مرح	٨ر٧ ٪
بائسة	٨ ٪
سعادة	٥ر٣ ٪
لعب	٢ ٪
سذاجة	٠ر٧ ٪
حنان	٠ر٧ ٪

وكانت انطباعات المبحوثات عن المراهقة تندرج تحت :

مرهقة	٢٢٪
مرحلة خطرة	٢١ر٣٪
خوف	٢١ر٣٪

مشـــاكل	١٩ر٢٪
لم أعشـها	١٣ر٣٪
أخطاء فادحة	١٠٪
شـــقاوة	٩ر٣٪
مــــرح	٩ر٣٪
حــلوة	٦ر٧٪
يارب اســـتر	٤ر٧٪
تفكير فى المستقبل	٢ر٧٪
طيش	٢٪

وكانت انطباعات المبحوثات عن الزواج تندرج تحت :

شىء لابد منه	٤٥ر٣٪
فشـــل	٤٢ر٧٪
متاعب لا حصر لهـــا	٤١ر٢٪
اســـتقرار	٢٩ر٣٪
مسئولية	١٣ر٣٪
تفـــاهم	٧ر٣٪
ارتبـــاط	٦٪
جميـــل	٤ر٧٪

وكانت إنطباعات المبحوثات عن الأمومة تندرج تحت :

ضرورى للانثى	٢٩ر٣٪
تضـــحية	٢١ر٣٪
عبىء ثقيـــل	٢٠ر٧٪
حنـــان	٢٠ر٧٪
جميـــلة	١٨٪
عاطفـــة ســـامية	١١ر٣٪
لا أحبهـــا	١٤٪
عطـــــاء	٩ر٧٪
مسئولية	٨٪
غريزة	٦٪
ســـعادة	٤٪

شىء طبيعى	٤ ٪
بتــاع ربنــا	٢ ٪
قــدوة	٢ ٪
بنــاء مستقبل	١ر٣ ٪

عاشرا ــ كانت انطباعات المبحوثات عن الانجاب تندرج تحت :

الانجاب يجلب المزيد من الأعباء الاقتصادية	٦١ر٣
الانجاب يجلب المزيد من الألم	٤٦٪
الانجاب يشوه جمال المراة	٤٣ر٣٪
الانجاب يحقق استقرار المنزل	٩٢٪
الانجاب يربط الراجل ببيته	٢٢ر٧٪

حادى عشر ــ كانت رؤية المبحوثات لتزين المراة على النحو الآتى :

حتى لا ينظر الزوج لغيرها	٥٤٪
ابراز جمالهــا	٣٧ر٣٪
لفت انظار الرجال	٣٣ر٣٪
لتحقيق ذاتهــا	٣٠ر٧٪
الغــــيرة	٢٦ر٧٪
التزين للزوج	١٥ر٣٪
لاخفاء عيوبها الجمالية	٨ ٪
التزين غريزة	٤ر٧ ٪
تزين لمن تحب	٠ر٧ ٪
يسبب لهــا راحــة نفسية	٠ر٧ ٪

ثان عشر ــ كانت اجابة المبحوثات بالنسبة لنظرة الرجل للمراة :

الرجل ينظر للمراة على أنها جسد	٣٠ر٧٪
الرجل ينظر للمراة على أنها عقــل	١٠ر٧٪
الرجل ينظر للمراة على أنها جسد وعقل	٢ر٧ ٪

ثالث عشر ــ كانت تحــديدات المبحوثات للأعراض غير الصــحية نفسيا التى تعانى منها المراة على النحو الآتى :

الاحساس بأنها كائن ضعيف	٧٦ر٧٪
الاحساس بضياع شخصيتها	٥٨٪

محاولة تقليد الغير فى الموضة والمكياج	٥٠٫٧٪
عدم القدرة على التعبير عن المشاعر (الكبت)	٤٨٪
الغضب السريع	٤١٫٣٪
احلام اليقظة	٣٧٫٣٪
الأرق	٣٤٫٣٪
الانطواء	٣٢٫٧٪
السرحان	٢٩٫٣٪
الحقد	١٤٫٧٪
الاكتئاب	١٤٫٧٪

رابع عشر – كانت وجهة نظر المبحوثات فى وسائل الاعلام على النحو الآتى :

تقدم اجابات على اشياء لا تخفى	٥٨٫٧٪
تضيع الوقت	٥٣٫٣٪
لا تقدم اى استفادة لى	٤٨٪
لم اشاهد مسرح فى حياتى	٤٦٪
اعتبر وسائل الاعلام ضدى وليس معى	٣٨٫٧٪
لا اعرف القراءة	٣٠٪
تسلية رخيصة	١٥٫٣٪
تقدم لى ثقافة	٩٫٣٪

خامس عشر – كانت انطباعات المبحوثات عن مستقبل المرأة غداً على النحو الآتى :

المستقبل اسوأ	٧٢٪
المستقبل أفضل	٢٨٪

وكانت لماذا ؟ على النحو الآتى :

سوف تظل السطوة للرجال	٢٨٫٧٪
سوف تظل قيود المجتمع	٢٦٪
فى مصر القادم دائما مجهول	١٣٫٣٪

سادس عشر — كانت اجابة المبحوثات عن امكانية الفعـــل على النحـــو الآتى :

لا يمكن أن افعل ما اومن به اذا كان ضدة ارادة المجتمع او الأسرة	٨٦٪
نعم يمكن	١٤٪

* * *

لن نعلق كثيرا على النتائج التى خرجنا بها من اجابات المبحوثات فهى تؤكد تماما تخلف المراة وتؤكد فروضنا فى الفصلين الثانى والثالث . ونرجو أن يعمل القارىء عقلة فى اجابات المبحوثات .

هكذا نكون قد عرضنا جداول تفريغ استمارات تجميع المعلومات ، موضحين النسب المئوية لكل سؤال من أسئلة تجميع المعلومات ، مقسمين الاجابات حسب المستويات التعليمية ، ولقد افترضنا فى هذه الأسئلة منذ البداية أنها تخدم بحثنا بشكل عام ، ولقد ثبت لدينا فعلا أن الأسئلة التى وضعناها قـــد خـــدمت الى حـــد بعيد فروضنا النظرية فى الفصول الثلاثة الســـابقة .

ولقـــد جاء اختيارنا لنوعية المبحوثات من : المتعلمات تعليما عاليـــا ومتوسطا وأميات ، من أصول حثالة بروليتاريا وبروليتاريا مدنية وريفيـــة وبرجوازية صغيرة وبرجوازية كبيرة (طفيلية عقـــارية — صـــناعية ... الخ) متزوجات ومطلقات وأرامل وغير متزوجات .

* * *

وقبل ان ننهى هـــذا الفصل قبل الأخير لنا كلمة :

لابد من الاشارة العابرة الآن (قبل شرحها تفصليا) الى ان انعكاس تخلف المراة على المجتمع وانعكاس تخلف المجتمع على المراة ، فى علاقـــة جـــدلية لهـــا صفة الديمومة ، ونحن نذكر الآن ان تخلف المراة وارتفـــاع

نسبة الاصابة بالعصاب ــ كما اوضحنا فى فروضنا النظرية وصدقتنا استمارة تجميع المعلومات ــ يدل على ان المرأة المصرية تتعرض فى المجتمع المصرى المعاصر لصراعات وتناقضات لا حصر لها .

وتجدر الاشارة أن جزء عظيم وهام من اصابة المرأة المصرية بالعصاب (الغالبية العظمى منهن) راجع بالضرورة من أن موقف المجتمع من المرأة أشد تعنتا من موقفه من الرجل ، بل أن القيم الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية فى المجتمع لا زالت تميل الى جانب الرجل .

ان ذلك كله ــ ونكرره مئات المرات ــ هو تدمير للمجتمع الذى يحفر قبره بيده ، وقبر هذا المجتمع هو تخلفه هو أن يصبح نصف تعداده من المرضى النفسانيين .

لقد باتت المرأة المصرية عاجزة كل العجز نتيجة أميتها الثقافية والتعليمية (معظم نساء مصر) واشتغالهن فى أعمال المنزل الحقيرة والغير منتجة (الطهى ــ الحياكة ــ الغسل ــ ... الخ) . على ان تشارك فى تقدم هذا المجتمع خاصة بعد أن فقدت احساسها بذاتها وبشخصيتها المستقلة وسيطر عليها الخوف والقلق والاكتئاب وعدم الثقة فى النفس .

ان النساء فى كل أنحاء العالم ، فى بلدانه المتخلفة والمتقدمة على السواء ، هن ركيزة اقتصاد الدعم ، الذى يتيح لسائر الأنشطة الأخرى أن تعمل . ومع ذلك فان هذه الركيزة غير مرئية بمعنى أن هذا القطاع تتجاهله الحسابات ولا يظهر فى البيانات الاحصائية فى تلك البلدان ومن بينها مصر .

والعجيب أن ذلك يظهر أيضا بوضوح فى المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية التى يستخدمها علماء الاجتماع والمخططون لوصف حالة بلد أو قياس تطورها ، فهم أيضا لا يعطون اهتماما كبيرا لهذه الناحية .

ان النمو الاقتصادى يفترض أن يتولى النساء ــ الأصحاء نفسيا ولسن المعتلات نفسيا ــ نصيبا متزايدا من الأهمية ، وذلك فى الأنشطة

الاقتصادية على جميع المستويات ، وأيضا فى التعليم نلحظ كما يقول « رود لفوستا فنهاجن » : (من المقارنة بين الاحصائيات نجد أن من أكبر الفروق بين البلدان النامية والمتقدمة أن عدد النساء فى مختلف المهن وفى التعليم وفى الثقافة وغيرها أكبر فى الثانية عنه فى الأولى) .

وعلى ذلك يمكن التأكد دون الوقوع فى أى خطأ أن عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية (وهى أكثر تعقيدا من مجرد النمو فى الانتاج الصناعى او الدخل القومى الاجمالى أو دخل الفرد) تلازم التحسن التدريجى فى أحوال النساء والاهتمام بصحتهن النفسية والجسدية فى المجتمعات التى لم يحدث بها هذه التغيرات غير منتجات (كالمجتمع المصرى المعاصر) من الوجهة الاقتصادية أو خارج النظام الاقتصادى قول خطأ .

فالنساء حتى ولو كانت نسبة كبيرة منهن (وخاصة فى مصر) غير عاملات وحتى أن كن (حارسات بيوت) كما كان يقال عنهن فى الماضى وما زال ذلك قائما حتى الآن ، فهن متكفلات بانجاب الأبناء وتربيتهم وهذا فى حد ذاته يؤدى دورا فى عنصر من العناصر الرئيسية فى كل اقتصاد ... الا وهو انتاج قوة العمل .

ومع ذلك فكثيرا ما يهمل دورهن وينسى بأكمله فى تحديد المعاملات التجارية ، وتعتبر النساء اللواتى متحملات مسئولية ضمن « فئة اليد العاملة الأسرية غير المنتجة » . أنهن فعلا عاطلات عن العمل وبسبب دورهن الاقتصادى المنزلى المستمر فهن يوضعن فى أدنى المستويات فى مختلف درجات مؤشرات الاسهام فى النشاط الاجتماعى والاقتصادى ، ذلك لأن العمل اليدوى حين ينال أجرا يكون بوجه عام ذو قيمة اقتصادية ، ومن ثم فكل عمل بلا أجر (كالأعمال المنزلية التى تؤديها النساء) تهبط قيمته الاقتصادية بالتالى قيمته الاجتماعية والثقافية .

وحتى النساء العاملات فى البلدان المتقدمة حيث الرعاية أعلى نسبيا للمرأة ، نجد أن المجتمع يميل الى حصرهن فى أعمال تعتبر امتدادا لأنشطتهن المنزلية : كالتدريس الابتدائى والتمريض والحياكة والتغذية

والسكرتارية والترفيه ايضا . وتعبتر هـذه الأعمـال اعمـالا ثانوية فى الاقتصاد بوجه عام ، ولا زال من المعتقد أن المساواة بين الجنسين (الرجل والمرأة) سوف يتم حين يتسنى للمرأة أن تمارس بكامل حريتها كل ما يعتبر عرفا « حرفة للرجال » .

غير أن العـديدين حتى الآن لا يتكلمون الا فيما ندر عن مساواة الرجل بالمرأة فى المسئولية فى النطاق المنزلى ، كأنه اصبح من المسلم به ضمنا أن يستمر النساء فى تحمل المسئولية فى هـذا المجال المدمر لطموحاتها وقـدراتها .

أن المشكلة ــ مشكلة وضع المرأة فى ادنى درجات السلم الاجتماعى والاقتصادى ــ لن تحل ابدا بتبادل الأدوار بين الرجـل والمرأة ، وذلك مرفوض من قبلمجتمع الذكور على اى حال .

وذلك ايضا ــ وخاصة فى مصر ــ يتعارض مع القيم والتقاليـد والعادات البالية ، ولكن على المدى الطويل يفترض تحسين حالة المرأة فى المجتمع ، واعادة توصيف اقتصـاد الدعم المنزلى ، وواجبات النظـام الأسرى ، ولكن هـذه المسألة قلما تثار حين يعلن « عن ضم المرأة الى عملية التنمية » فان ذلك يثبت أن الاقتصاد المنزلى لم يزل ثابت الأركان .

ومن المؤسف أن النظام فى المجتمع الحضارى الصناعى وخاصـة المتخلف منه ــ ومن بينه مصر ــ رغم أن البنيان الأسرى فيما قبل المجتمع الحـديث الحضرى (المجتمع المشاعى البدائى الأول) ونموه كانت تمثل فيـه الأسرة الكبيرة التنظيم الاجتماعى القاعـدة والوحـدة الاقتصادية الأساسية للانتاج والاستهلاك ، أصبح على النساء طبقا للنموذج المقترح عليهن أن يتولين مهمتين :

(أ) سيدة المنزل (المطبخ ــ الكنس ــ تربية الأولاد) .

(ب) مهمة المرأة العاملة (أعمال روتنية لا معنى لهـا تبلد عقلها) .

أن ذلك غبن للمرأة ونوع من انواع استغلال عملها وحصرها فى مجال اقل كثيرا من قدراتها الخلاقة والمبدعة وهذا مما يزيد من تخلف المجتمع حيث :

١ — توظيف المرأة فى المنزل ان كانت عاطلة كطباخة وحائكة ثياب ومجيبة لطلبات الزوج وتربية الأطفال دون أن يكون دورها فى عملية الاقتصاد سوى انجاب الأيدى العاملة هذا ان استطاعت تنشئة جيل مدعم ثقافيا وحضاريا وهذا مستحيل فى الدول المتخلفة (ومن بينها مصر) خاصة ازاء النظرة المتخلفة للمرأة وحرمانها من حرياتها وعدم الاهتمام بها .

٢ — توظيف المرأة العاملة فى أعمال ثانوية مما يفقدها احساسها بذاتها . فتؤدى اعمالا ثانوية ، ويتهمها مجتمع الذكور بعدم القدرة على العمل والاهمال فيه ، وفعلا فى كثير من الأحيان هى تميل الى الأعمال الروتينية ما دامت معدومة التقدير فى عملها مما لا يعود على المجتمع بعائد مجزى .

أن ما سبق كله ، وان كنا ربطناه بشكل هامشى بالاقتصاد ، وبالعلاقة الجدلية بين تخلف المجتمع وتخلف المرأة . هو أهم الأسباب لاصابة المرأة بالعصاب وعدم القدرة على الحياة فى مستوى اكثر من المستوى الدفاعى فى الصحة النفسية .

وأخيرا : آن للمرأة أن تتحرر من قيودها ، ولن يتم ذلك ما لم تثور على وضعها المتدنى وأن تفهم جيدا كيف تتمرد على العادات والتقاليد البالية التى تكبلها كل يوم وتعوقها وتزيد من تخلفها ومن أمراضها النفسية المتعددة . لابد أن تقهر أميتها الثقافية والتعليمية . لابد أن تصبح كائنا سويا .

الفصـــل الخامـــس

تقدم المرأة للأمام "نقاط علاجية"

فى هـذا الفصل بالذات لنا تساؤل :

هل المراة المصرية المعاصرة التى تعرضنا لأهم مظاهر تخلفها وهو اعتناقها وايمانها بعادات وتقاليد بالية وعـدم وضوح المضـامين والقيم الانسانية لديها ، كائن معلول نفسيا بشكل اصيل ؟

ام ان هناك امورا اخرى أدت بالمراة المصرية المعاصرة الى أن تصبح كائنا ذا العـديد من الأعراض النفسية به لا نغالى اذا قلنـا انها فعـلا على وشك المرض النفسى ؟

للاجابة على هـذا السؤال سوف نتناول فى هـذا الفصل ما يلى :

(أ) تعريف الانسان ككائن اجتماعى سوى نفسيا .

(ب) الفروق البيولوجية والجنسية بين الرجل والمراة .

(جـ) الطبيعة السيكولوجية للمراة ومقارنتها بالرجل .

(د) المراة كائن اجتماعى كامل .

(أ) تعريف الانسان ككائن اجتماعى سوى نفسيا :

يمكن لنـا بعـد استعانتنا بأفرع العلم المختلفة وبمدارس علم النفس ان نقـول :

(ان الانسان هـو كائن بيولوجى جاء نتيجة للتطور عن سـلفه الحيوان بارتقائه سلم هـذا التطور ونتيجة لارتقائه سلم التطور . اصبح له حياة نفسية . أى هـو كائن بيولوجى ذو افكار ومشاعر وميول ورغبات

وذكريات وانفعالات ، وله سلوك مسئول عنـــه — اذا كان سويا — اى مسئول عما يصدر منه وعنه من أقوال وحركات وافعال . وهو ذو نشاط خلاق يتفاعل مع بيئته ويتكيف معها ويطوعها له) .

هـــذا هو الانسان : رجلا كان أم أمرأة ... ومن هنا نبدأ .

(ب) الفروق البيولوجية والجنسية بين الرجل والمرأة :

لقـــد بات ثابتا بيولوجيا وفسيولوجيا ، أن ليس هنـــاك من ذكر خالص مائة بالمـــائة وليس هناك انثى خالصـــة مائة بالمـــائة ، بل أن الأعضء الجنسية والهرمونات الجنسية فى كلا الجنسين تتداخل ، ويحتفظ الرجل ببقايا أعضاء أنثوية منذ كان جنينا ، وتحتفظ المرأة ببقايا أعضـــاء ذكرية ، ويوجـــد فى الجنسين فى مختلف مراحل العمر هرمونات مؤنثـــة ومذكـــرة .

ولقـــد اثبت العلم ان الفروق الجنسية بين الذكر والانثى ليست فروقا جـــوهرية أصيلة ، بل هى فروق فرعية مستجدة ، وبعبارة أخرى نقول أن للتركيب الجنسى لأفراد كل فصيلة ، أساسا مشتركا يحتمل التذكير والتأنيث وهذا ما عبرعنه مارنون Maranon بنظريته فى « الامكانيات الجنسية المتعـــادلة » .

ولقـــد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المرأة طرف ايجابى فى الجنس ، وانها يحـــدث لهـــا أثارة وانتصاب فى البظر تماما كالرجل ، وكلاهمـــا يمر بأربعة مراحل منذ حـــدوث الاثارة الجنسية حتى الانتهاء من العمليـــة الجنســـية :

١ — مرحـــلة الاثارة Excitement .

٢ — المرحـــلة المرتفعـــة Plateau .

٣ — مرحـــلة الأورجازم (قمـــة اللذة) Orgasm .

٤ — مرحـــلة الهبـــوط Resolution .

فقط تكون هناك مرحلة من مراحل العمر والنضج للمراة ، هى مرحلة سن اليأس ، وهى مرحلة عمرية تعنى عـدم قـدرتها على الانجاب ، نظرا لانقطـاع الحيض وتوقف تكوين البويضات ، وتطرأ بعض التغيرات على الأعضاء الغـددية .. وقـد يتغير سلوك المرأة ، ذلك انه قـد رسخ فى ذهنها أنها مختزلة فى عملية الانجاب : فيحـدث تأثير نفسى حيث يتغير سلوك المرأة (النمطية) فتحاول أن تثبت أنها ما زالت لم تصل لهـذه المرحلة : قـد تضطرها الرغبة فى سماع كلمات الاستحسان والاعجاب الى البحث عن اناس لم تكن تقتنع بهم من قبل ، وتكون علاقات غير مدروسة .. وهناك نساء أخريات يرسخ فى أذهانهن الحزن على ما وصلن اليه !! فلا يجـدن عزاء اللهم الا الالتجاء الى الدين فنراها فجأة عابدة متعبدة ... هـذه التغيرات السلوكية ناتجـة عن أزمة نفسية باعثها الأساسى عـدم تعـدد أدوار المراة . فبلوغ سن اليأس لا يعنى عـدم قـدرة المرأة على ممارسة الجنس او الخلل فى الوجـدان ، فعندما يكون للمرأة أدوارا متعددة فى الحياة فانها تعتبر هـذه المرحلة أحـد مراحل العمر مثلها مثل الطفولة والمراهقة والشباب ... الخ وتسير الحياة فى مجراها الطبيعى .

(د) الطبيعة السيكوولجية للمراة ومقارنتها بالرجل :

لقـد خرجت مدرسة التحليل النفسى بمقولة : أن حرمان الانثى من القضيب يولد لديها الكثير من الاضطرابات النفسية ولقـد تم الـرد على فرويد رائد هـذه المدرسة بأن الاضطرابات النفسية التى تحيط بالانثى ليس مرجعها الى فقـدان عضو التذكير التناسلى ، لأنه ليس الحـدث الوحيد الأخطر فى حياة الانثى .

أن التربية والبيئة لهما تأثير ضخم على حياة الطفلة الانثى : فالمجتمع يحـدد للطفلة العابها وحركاتها وتتعلم مبادىء أن تكون دمية فى حياتها عمـوما عن طريق الأسرة .

ولقـد وصمت هـذه المدرسة الانثى بالمـاسوشية ولم يثبت العلم أن هناك علاقة بين ما ادعته هـذه المدرسة من أن هناك علاقة للماسوشية بالجينات . وادعت هـذه المدرسة أن المراة لديها ضعف فى « الأنا العليا »

اصيل ، ولكن المجتمع بقيوده المختلفة يجعل المراة فى حالة استسلام ، أى أن الاستسلام لا علاقة له بالأنا العليا ولكن بالظروف العامة التى تعيشها الانثى فى المجتمع المتخلف .

واتهمت هذه المدرسة المراة بالنرجسية ، ومرة اخرى يوضح الواقع أن حب النفس نادر جدا فى النساء ، فنظرة واحدة لحال المراة فى المجتمعات المتخلفة : بدءا من تربيتها على العيب — الحرام — قلة الأدب ، الى شكل الزواج والارتباط الذى أوضحناه سابقا ، الى الحمل والانجاب ، الى مسئولية العمل المنزلى الذى يستنفذ طاقتها بالاضافة الى عملها الوظيفى أن كانت تعمل .. أين حب النفس ؟ ! لا نعرف ان المراة كائن اجتماعى خالى من العقد النفسية وطبيعتها السيكولوجية لا تختلف عن الرجل فى حالة المقارنة المجردة . ولكن ما تصاب به المراة من الاستسلام والخوف والشعور بالدونية راجع بالدرجة الأولى الى الظروف المجتمعية التى تمارس عليها القهر تلو الآخر .

(د) المراة كائن اجتماعى كامل :

لقد استعرضنا فيما سبق بشكل مقارن بين المراة والرجل ، الطبيعة او الفروق البيولوجية والجنسية والسيكولوجية . ومن استعراضنا للنواحى السابقة لم نجد خلافا بين الرجل والمراة ، عدا الخلاف فى الدور الطبيعى لكل منهما ، مثل أن المراة تحمل وتلد ومثل الخلاف التشريحى لكل منهما ، ولكننا لم نجد شيء يقلل من قيمة المراة او دورها ، بل أن دورها ككائن اجتماعى يفوق الرجل فى نواحى عديدة .

ولقد سبق وعرفنا الانسان بأنه (كائن بيولوجى جاء نتيجة للتطور عن سلفه الحيوان بارتقائه سلم هذا التطور ، ونتيجة لارتقائه سلم التطور ، اصبح له حياة نفسية أى هو كائن ذو افكار ومشاعر وميول ورغبات وذكريات وانفعالات وله سلوك مسئول عنه اذا كان سويا — اى هو مسئول عما يصدر منه وعنه من أقوال وحركات وافعال ، وهو ذو نشاط خلاق يتفاعل مع بيئته ويتكيف معها ويطوعها له) ونتيجة لهذا التعريف فان الانسان قادر على عقد الصلات مع غيره من الانسانيين ،

وقادر على الانتاج والعمل ، وقادر على العطاء ، وله فكر يطوعه حسب قناعاته سواء ضد الانسانية أو معها ، وبالتالى فان الانسان = كائن اجتماعى = انسان خالى من العقد ومن كل ما يعوقه عن احراز التقدم وابراز النشاط الخلاق .

والمرأة من كل ما استعرضناه سابقا ينطبق عليها تعريف الانسان ؛ وينطبق عليها أنها كائن اجتماعى كامل وناضج .

ونستطيع بعد اطلاعنا على كثير من البحوث النفسية والاجتماعية التى أجريت على الانسان (ذكر كان أم انثى) ، أن نوضح ما يلى :

عند تتبع نمو القدرات العقلية لدى الاناث منذ فجر حياتهن حتى بلوغ سن الرشد ، نجد أن الاناث يتميزن ببعض القدرات العقلية بلا فروق جوهرية بينهن وبين الذكور ، وقد يتفوقن فى بعض الأحيان عليهم فى مرحلة ما قبل المدرسة ، وفى سن المرحلة الثانوية يتغير الموقف لصالح الذكور ، فالجنسين يتقاربان فيما كانت تتفوق فيه الاناث ويتفوق الذكور فيما كانوا يتساوون فيه مع الاناث ، اى أن قدرات الاناث لا تنمو بنفس المعدل الذى تنمو به قدرات الذكور .

ففى الذكاء العام نجد أن المراحل المبكرة من عمر الانسان تشهد تفوقا للاناث على الذكور ، ولكن بتقدم العمر يقل هذا التفوق ، حتى يشهد سن الرشد تفوقا للذكور فى مستوى الذكاء العام . مما يوضح أن نمو الذكاء لدى الذكور يسير بمعدل أعلى منه لدى الاناث ، كما أثبتت أبحاث ماكوبى (Maccoby ١٩٦٣) وتتفوق الاناث أيضا على الذكور فى مرحلة ما قبل المدرسة وفى سنوات الدراسة الأولى فى أغلب نواحى الأداء اللفظى ، فهن يبدأن النطق واستخدام الجمل الأكثر طولا ؛ ويتحدثن بقدر أكبر من الطلاقة فى مرحلة عمرية مبكرة عن الذكور . وتبدأ الفروق فى الاختفاء فى مرحلة دخول المدرسة حيث يتساوى الجنسان تقريبا فى هذه القدرات أو يكادان

وتتعلم الاناث القراءة والكتابة بسهولة وسرعة اكثر من الذكور ، كما أن عددا اكبر من الذكور يواجهون مشكلة تعثر قدرتهم على القراءة مما

يحتم أحيـانا اعـداد برامج علاجية خاصة بهم . ولكن نجـد الجنسين يتساوان فى القـدرة على القراءة والاستيعاب فى الصفين الخامس والسادس الابتدائى ، فى حين لا يستمر تفوق الاناث الا فى بعض المهارات اللغـوية الخاصة ، مثل هجاء الكلمات وتكوين الجمل والطلاقة التعبيرية ، واكثر قدرة على الاستجابة لمـا يعرض عليهن من صور بتعليقات أكثر استفاضة كمـا اثبتت بحوث « اناستاس » Anastasi 1985 .

وفى مجال المهارات فى الرياضيات فسنجد أنه من المعروف أن الذكور يتفوقون على الاناث فى القـدرات فى الرياضيات ، ومن الملاحظ أن الاناث لا يقـدمن كثيرا على اختيار القسم العلمى بالمدرسة الثانوية ، ورغم ذلك فاذا عـدنا الى دراسات الفروق بين الجنسين فى المهارات فى الرياضيات فى مراحل العمر المبكرة فسوف يدهشنا ما توصل اليه البحوث من نتائج : فقـد بينت نتائج الاختبارات التى أجريت فى هـذا المجال أنه لا توجـد فروق جوهرية بين الجنسين فى المهارات فى الرياضيات فى سنوات الدراسة الأولى والمتوسطة . وقـد اتضح من بحوث ماكوبى ١٩٦٣ Maccoby أن الاناث فى مرحلة العمر التى تمتـد من السابعة الى الحادية عشر او الثانية عشرة يمكنهن حل المسائل الرياضية بمثل كفاءة الذكور . ولا تظهر الفروق الجوهرية بين الجنسين فى المهارات فى الرياضـيات الا فى بداية المرحلة الثانوية . حيث يتقـدم الذكور على الاناث . فيتفوقون بدرجـة واضحة فى الهندسة التحليلية والجبر وحسـاب المثلثات وجميع أنواع الاختبارات التى تتضمن تحليلا كميا . ويلاحظ فى القـدرات التحصيلية ، أن الفتيات الصغيرات يحصلن على درجات افضل من الأطفال الذكـور خلال سنوات الدراسة الأولى اما فى سن الرشـد وبعـد التخرج من المدرسة فان الرجال يحرزون بشكل عام نجاحا يفوق نجاح النساء فى أى من مجالات النشـاط العقلى بوجه عام كالتأليف (الكتابة) والانجـازات العلميـة ... الخ .

وفى مجال القـدرات الابداعية ، فقـد اختلف الباحثون على تعريف الابداع ذاته وفى رأينا فان الابداع هو القـدرة على التفكير المتعـدد أو القـدرة على التفكير التغييرى فى مقابل التفكير التقريرى ، وعلى ضـوء ذلك التعريف للابداع ، نجد ان تجارب تورانس Torance

تعتبر دليلا على ذلك ، فقد أجرى تجربة على مجموعة من الأطفال من الجنسين حيث طلب منهم التفكير فى طرق مختلفة لتقديم مقترحات لتحسين بعض اللعب التى يلعبون بها ، فأظهر اطفال السنتين الأولى والثانية الابتدائية من الجنسين تفوقا فى تقديم أفكار جديدة فيما يتعلق باللعب التى تخص جنسهم ، أما ابتداء من مرحلة السنة الثالثة الابتدائية فقد اظهر الأولاد تفوقا كبيرا فى التفكير فى مقترحات أفضل لأنواع اللعب التى تخص كلا الجنسين معا . كما أظهرت احدى الدراسات التى تناولت عينة من الذكور المبدعين أنهم ينزعون فى الكبر الى تحقيق امكانياتهم وطاقاتهم الكامنة فى مهنهم وانتاجهم المبدع فى حين لم يلاحظ ذلك على الاناث المبدعات .

يذكر « اليس » ١٩٠٤ Ellis انه لم يجد من بين ١٠٣٠ حالة للمتفوقين الذين قام بدراستهم الا ٥٥ امرأة فقط ، برزت اغلبهن فى مجالات خاصة مقصورة على النساء وحدهن .

وفى حصر مماثل « لكاتل » فى نفس الفترة تقريبا Cattle لم يجد الا ٣٢ امرأة فقط من الشهيرات بين الف شخص ، من بينهن احدى عشرة امرأة فى منصب الحاكم بالوراثة ، بالاضافة الى ثمانى أخريات لعب الجمال او بعض الظروف الجانبية الأخرى دورا هاما بالنسبة اليهن ، والباقيات فقط هن اللائى كسبن شهرتهن من خلال نبوغهم أو عبقريتهن .

ونخلص من ذلك ، الى أن الاناث فى مراحل العمر المبكرة يتفوقن أو يتساوين مع الذكور فى القدرات العقلية ، ولكن تبدأ هذه الصورة فى التغير عبر الزمن ففى الوقت الذى نجد فيه نموا مطردا للقدرات العقلية لدى الذكور لا نرى نموا مماثلا لنفس القدرات لدى الاناث .

ونحن عندما نتساءل عن أسباب الضعف النسبى لمستوى الانتاج العقلى للمرأة ، نجد من خلال العديد من البحوث ، أن الفتاة بمجرد وصولها الى سن المراهقة تبدأ فى الاحساس بأنه لا جدوى من ملاحقة الذكور ، الذين تهيأت لهم كل الفرص لاحراز النجاح العلمى والعملى ، ذلك

يرجع الى رفض المجتمع وقيوده لملاحقتها للذكور من أجل التفوق ، وخنقا لدوافعها فى ادراك النجاح ، وتبعا لضغوط المجتمع تتكيف الفتاة مع الدور المرسوم لها جنسيا كأم وربة منزل ولا يرتبط ذلك كثيرا بالعمل العقلى ، وحتى بالنسبة للفتاة العاملة فهى دائما تتقبل العمل الروتينى الميكانيكى الذى لا ينطوى على قدرات عقلية .

وتذكر « بوردويك » Bardwich انه يمكن تقسيم حياة الفتاة الى مرحلتين : مرحلة ما قبل البلوغ ومرحلة ما بعد البلوغ . فهى تحصل فى مرحلة ما قبل البلوغ على مزيد من الحريات فتسلك كما تريد وتختار الدور الذى تفضله وتكافأ وتشجع على المنافسة والتحصيل والتفوق وتتدرب فى نفس الوقت على دورها الجنسى التقليدى ، وبامكانها أن تمارس ثنائيتها الجنسية Bi - Sexual كيفما شاءت . ولكن يختلف الأمر عند البلوغ حيث تنتهى حريتها فى ممارسة هذه الثنائية الجنسية ، وتحرم من التشجيع الكافى على المنافسة . وتواد صفاتها النضالية من أجل التفوق فى العلم والعمل . ويصبح دورها الانثوى التقليدى هو ما تشجع عليه . بل يصبح وسيلتها الوحيدة والفعالة للحصول على المكاسب ، وطريقها فى تحديد ذاتها ذلك التحديد الذى يتحقق عن طريق علاقة الفرد بالآخرين . وكسب المهارات التى تجعله محبوبا أو مقبولا اجتماعيا . ومرونته ومطاوعته الشخصية التى تكسبه القدرة على التكيف. ومثل هذه المرونة هى التى تجعل الفتاة تقبل. وتتكيف مع فكرة سيادة الذكور وتفوق انتاجهم العقلى .

وهكذا تتعلم الفتاة كيف تكون أنثى ، وتدرب على دورها الأنثوى ، ذلك الدور الذى اصطلح عليه المجتمع ، الا وهو السلبية والاذعان والاتكالية وضعف الامكانيات العقلية وتنشأ الفتاة وهى تسلك .هذا المسلك لكى تتعلم دورها وتعرف مكانها باعتبار أن هذه الصفات الانثوية تعد أساسية فى تكوينها كأمرأة قادرة على أن تقوم بواجباتها كزوجة وأم . أما التطلعات والأمال العلمية فيبدو انها تصبح مرتبطة بالذكور أكثر مما هى مرتبطة بالاناث . وهنا يمكننا أن نلمح كيف يتكون الدوران المختلفان لكل من الذكور والاناث .

ان كل ما سبق يصل بنا الى نتيجة محـــددة بعينها وهى ان المجتمع يستطيع ، بل هـــو المسئول ، عن تطويع أفراده الى الحـــد الذى تتطابق الغالبية العظمى منهم أو تكاد مع المعيار او النمط الذى وضعه المجتمع :

فالامتثال للدور الجنسى هـــو العملية الأساسية التى يتعلمها الطفل بدون اختيار منه أولا ، ثم تصبح بعـــد ذلك عملية شعورية يدرك عـــن طريقها كيف يتعلم وكيف يشعر ويتصرف كأبناء جنسه وليس كأبناء الجنس الآخر ، والانثى تمتثل للدور الانثوى الذى فرضه عليها المجتمع وفى نفس الوقت هى تفضل عليه الدور الذكورى فى حين نجـــد أن الذكور يعتزون بدورهم الذكورى . ونحن نتفق مع ملاحظات Tomboy من أن المجتمع يستنكر بشدة موقف الذكور الذى يتخـــذ أو يمتثل دور الانثى والعكس صـــحيح .

وتضيف « كانينجهام » Cunnigham مؤكـــدة نفس الفكرة وتلاحظ أن الفتيات يسمح لهن بارتداء ملابس الذكور بدون أى استهجان من المجتمع (فى العـــديد من المجتمعات على اختلاف أنمـــاطها فقيرة أو رأسمالية كبيرة ... الخ) ، والعكس صحيح بالنسبة للذكور .

وتشير « بومرنيد » Baumrind الى أن هناك اعتقادا ، بأن الوجود الانثوى شىء غير ذى قيمة فى المجتمع ، وأن كلا من الرجـــال والنساء معا يعتبرون أن الرجل أجـــدر بالاهتمام ، وتنمية قـــدراته العقلية أعلى من المراة ، وان آمال الآباء والأمهات وتطلعاتهم تدور حول أبنائهم من الذكور أكثر مما تدور حول بناتهم من الاناث .

ونتيجة لذلك ، يبدو ان تفضيل المجتمع للدور الذكورى على الـــدور الانثوى ينعكس أثره على كل من الجنسين فى شكل رغبة من الذكـــور فى تدعيم جنسهم الذكرى ، ورغبة من الاناث فى الجمع بين الدورين طالمـــا أن المجتمع يقلل من قـــدرة الاناث على تحقيق أى نجاح عقلى عن طريق دورهن الأنثوى ، فيثير ذلك لدى الاناث احساسا بالقصور أو حالة من عـــدم الثقة فى النفس فى امكان تحقيق أى انجاز عملى أو عقلى .

هكذا يفرض المجتمع ـ وخاصة المجتمعات المتخلفة ـ على الانثى دورا محـــددا يعوقها عن الابداع والتطور ، تلك رواسب عصور اضطهاد المرأة التى فصلناها من قبل والتى ما زال المجتمع يتوارثها حتى اليوم .

ان ما سبق هـــو حال الانثى أو المرأة اليوم ، أن تخلف المرأة لا يعود الى طبيعتها ولكن الى قيود المجتمع ومحاربته لتفوقها ونجاحها ولتحطيمه لابداعها وقـــدراتها العقلية .

ولقـــد جاءت أبحاث كوماروفسكى Komarovisky مؤكدة أن الانوثة تفيض نجاحا ، لقـــد توصل من خلال بحوثه الى وجود صراع داخل نفسية المرأة بين دورها التقليدى ودورها كانسانه تفكر وتستطيع أن تحقق انجازات رائعة ، كما توصل أيضا الى انه من الصعوبة بمكان الجمـــع بين الدورين . فتحقيق أحـــد الدورين معناه اعاقة الدور الآخر . ويظهر من بحوثه كيف أن الاناث يحاولن اعاقة ما لديهن من قـــدرات حتى يصبحن مرغوبات . ان هـــذا ما يجعل المرأة اقل ثقة بنفسها . لذا فالتمسك بالدور الانثوى التقليدى المفروض على الانثى من قبل المجتمع بل يعطل أيضا الرغبة والدافع الى النجاح حينما تكون الأولوية للدور الانثوى التقليدى . ويؤكد ونحن معه ، ان المجتمع يقبل المرأة التى تحقق ذاتهـــا عن طريق دورها كمتفوقة فى مجال العلم والعمل .

لقـــد وضع المجتمع فى أدمغة الانثى ، أن تتصور ان نجاحها الحقيقى لا يتحقق نتيجة أعمال عقلية يحققنها بأنفسهن ، ولكن يتحقق عن طريق الزواج والانجاب .

ومن استعراضنا السابق نجـــد مدى خطورة الدور الذى يمارسه المجتمع الذكورى على الانثى ليقضى على نجاحها وتفوقها ولحصرها فى نطاق ضيق ومعين لا تستطيع أن تتعـــداه ذلك من خلال المنظورات المتخلفـــة السابقة التى شرحناها من قبل .

ان المرأة ككائن اجتماعى كامل بشكل مجرد قـــادرة على تحقيق انجازات علمية وعقلية وابداعية فى شتى المجالات . ويثبت ذلك أن هناك

عالمـة وطبيبة ومخترعة ومربية ... الخ متفوقة فى مجال عملها وتستطيع أن تجمع بين الدورين ، ودورها كأمرأة وأم ودورها كامل فى تنمية المجتمع من خلال نجاحاتها والمشاركة فى صنع المجتمع وتغييره .

آن للمرأة أن تتفهم طبيعتها وأن تعرف قـدراتها وأن تثـور على القوالب التى وضعها فيها المجتمع ، وأن تنطلق محققة ذاتها ككائن كامل اجتماعيا ، قادرا على دفـع المجتمع الى اتخاذ موقف الاحترام لدورها احتراما مضاعفا ، كزوجة وكمبدعة فى أى من لمجالات .

آن للمرأة ان ترفض أن تعامل ككائن من الدرجة الثانية ، وعليهـا أن تعامل وبدافع منها هى ، معاملة الند وتناضل فى سبيل ذلك بالقـول والعقل ، آن للمرأة أن تتمتع بالحرية فبدونها سوف تظل سجينة وسـوف تظل قـدراتها مدفونة وسوف يظل المجتمع وخاصة المجتمعات المتخلفـة ومن بينها مصر تعانى مزيدا من التخلف ، لأن نصف قواة كائنات ينظر اليها على أنها كائنات من الدرجة الثانية .

وآن للباحثين المهتمين بالمرأة كجزء أساسى من المجتمع ، أن ينيروا أمامها الطريق لتثور على وضعها ولتغير من مكانتها الاجتماعية لتصـبح عضوا أساسيا فى المجتمع خاليا من عقـد النقص ومن الاحساس بالدونية .

والآن وقـد ثبت لدينا أن المرأة المصرية المعاصرة هى كائن اجتماعى كامل فلنـا أن نتساءل عن ما الذى ادى بالمرأة المصرية المعاصرة الى أن تصبح فى الحالة التى هى فيها الآن أى كائنا مشوها وغير سوى نفسيا ؟

قبل الاجابة على هـذا السؤال نقول :

أننا لا ننكر جهود « رفاعة رافع الطهطاوى » فى انصاف المرأة المصرية، ففى عام ١٨٧٣ حاول أن يناقش مفهوم الحب فعنـده أن « من أحسن الاحسان الى البنـات تزويجهن الى من هـوينه وأحببنه » ومنـذ هـذا التاريخ وقف الطهطاوى بجانب المرأة داعيـة لمساواتها بالرجل فقـد عثر على وثيقة بدار المحفوظات كتبها الطهطاوى بخطه ووقعها بامضائه وختمها

بخاتمة وقد سجلها الدكتور/رفعت السعيد فى كتابة تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر هـــذا نصها :

« التزم كاتب هـــذه الأحرف رفاعة بدوى رافع لبنت خالة المصونة الحاجة كريمة بنت العلامة الشيخ محمد فرغلى الأنصارى ، أنه يبقى معها وحـــدها على الزوجية دون غيرها من زوجة اخرى ولا جارية أيا كانت ، وعلق عصمتها على أخـــذ غيرها من نساء ، أو تمتع بجارية أخرى ، فان تزوج أياما كانت .. كانت بنت خاله بمجرد العقد طالقة بالثلاثة وكذلك اذا تمتع بجارية ملك يمين .. ولكنه وعـــدها وعـــدا صحيحا ، لا ينقص ولا يخل أنها ما دامت معه على المحبة المعهودة ، مقيمة على الأمانة والعهـد لبيتها ولأولادها ولخـــدمها وجواريها ، ساكنة معه فى محل سكناه ؛ لا يتزوج بغيرها اصـــلا ولا يتمتع بجوار اصلا ، ولا يخرجها على عصمته حتى يقضى الله لأحـــدهما بقضاه » .

ولعل الوثيقة السابقة كافية ، لنرى ان الرجل يخلص فى وحـــدانية الحب لزوجة واحـــدة فى عصر كان فيه التفسير السائد للشريعة الاسلامية يبيح التمتع والاستمتاع بما يشاء الرجل بما يملك من الجوارى .

ولا تنكر فضل الامام « محمد عبده » الذى مات ١٩٠٥ اى منذ أكثر من خمسة وسبعين عاما فى انصاف المرأة فى كتاباته وفتاويه ، فهـــو يقـــول : « واعلموا أن الرجال الذين يحاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة فى بيوتهم انما يلدون عبيدا لغيرهم » .

ونحن لا ننكر ايضا ريادة ودور عبد الله النديم ، وقاسم أمين ، وعائشة التيمورية وملك حفنى ناصف ، وهـــدى شعراوى أول زعيمـــة مصرية للحركة النسائية المصرية والتى انضمت الى الاتحاد النسائى الدولى سنة ١٩٢٣ والذى انشأ فى برلين ١٩٠٤ .

اننـــا لا ننكر فضل هـــؤلاء الرواد والرائدات الأوائل فى اهتمامهم واهتمامهن الكبير برفعة شأن المرأة وبالدفاع عن حريتها فى التعليم والعمل والخروج من المنزل ونزع الحجاب . ولـــكن ذلك الدور لم يكن جـــذرى

وشامل ولم يحقق التغيير المنشود الذى كان يحلم به هؤلاء الرواد . ولكن سوف يظل هؤلاء الرواد واقفين وواقفات شامخين وشامخات أمام التاريخ موقفا فريدا فى احترام افكارهم وافكارهن وفى الايمان بحق المرأة فى المساواة بينها وبين الرجل .

ونجيب على السؤال فنذكر على سبيل المثال لا الحصر أن الانثى كائن غير مساو للذكر فى الأسرة المصرية :

١ ــ أن الأسرة المصرية هى اسرة أبوية ، بمعنى أن ذكورها هم المسئولون حقا عنها .

٢ ــ أن الأسرة المصرية يرث فيها الأبناء جنسية الأب دون الأم .

٣ ــ أن نسبة المتعلمين من الذكور فى المجتمع المصرى أعلى من نسبة المتعلمات .

٤ ــ أن نسبة العاملين من الذكور ٤٧٪ فى المجتمع المصرى اكبر من نسبة العاملات ٩ر٨٪ .

٥ ــ الذكر المصرى يرث أكثر من « الانثى » يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين . (٤ م النساء : ١١) .

٦ ــ من حق الذكر المصرى أن يعدد الزوجات « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » (٤ م النساء : ٣) .

٧ ــ المرأة المصرية يمنع عنها العديد من الامتيازات التى يتمتع بها الذكر مثل :

(أ) منعها من تولى مناصب القضاء .
(ب) حق الانتخاب ليس الزامى لهـا .
(جـ) لا تتولى مناصب الوعظ والارشاد .

٨ — ينفر الرجل ويهب ويثور دفاعا عن نفسه وشرفه اذا وصفه احد بأنه امرأة .

٩ — من حق الرجل المصرى المسلم طلاق زوجة وقتما شاء وبلا قيود سوى ما أضافه القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩ من بعض تعديلات للنفقة ونفقة المتعة .

١٠ — أن نسبة العاملات الماهرات من الاناث المصريات ضئيلة جدا ، وهن يعملن فى ظل سيطرة الرجل فى اغلب الأحيان « البنت مسيرها البيت » كما يقول المثل الشعبى .

١١ — ليس من حق المرأة ممارسة حق الطلاق الا اذا كانت العصمة فى يدها . وهذا نادر .

١٢ — الانثى المصرية لا تمنع الأقارب غير المقربين من الميراث « اى لا تحفظ مال الأسرة » وذلك عكس الرجل (الذكر) .

١٣ — مسموح للرجل المصرى بالخيانة عدا داخل بيت الزوجية ويقصد بها السقوط الجنسى ، ويمنع ذلك على المرأة . فاذا ضبط الرجل يخون زوجته خارج بيت الزوجية فلا عقوبة له بل هو شاهد فقط على المرأة التى كان يمارس معها الخيانة اما الزوجة لو ضبطت فى أى مكان على وجه الأرض تخون زوجها فالعقوبة بالسجن عامين فى القانون المصرى .

١٤ — المجتمع المصرى المعاصر يتسع للرجل غير القادر على الانجاب ويقبله ، اما المرأة العاقر فلا مكانة اجتماعية مرموقة لها داخل المجتمع . ومن الدعوات المصرية المتوارثة شعبيا داخل المجتمع المصرى ، أن تدعو الزوجة الثانية دعوات تتصل بعدم انجاب الأطفال : مثل :

« لا تطول ولا تنول ولا تدادى ولا تنادى طول عمرها » .

« كل من قطعنى من زوجى اقطعها من ولدها ، واستعين بالله عليها بأن لا تخلف ولا تتلف طول حياتها » .

ان ما عـــددناه سابقا هـــو بعض من كل عـــديد ومتعـــدد ، لمظاهر الاضطهاد الواقعة فوق كاهل المراة المصرية .

ولنا ألآن أن نطرح السؤال الآتى :

كيف تصبح المراة المصرية المعاصرة كائنا اجتماعيا كاملا سويا ؟

اى ان نطرح النقاط العلاجية من وجهة نظرنا مؤكدين أن الوضع الأدنى للمراة هـــو عنوان تخلف المراة فى المجتمع الأبوى .

واذا كان هـــذا الفصل يعالج أو يضع نقاطا علاجية لكيفية أن تصبح المراة المصرية المعاصرة كائنا اجتماعيا سويا نفسيا فلنا أن نجمل القيـــود التى ادت بها الى ما استعرضناه فى الفصول السابقة وأن نضع المقترحات لكسر هـــذه القيود المتمثلة فى :

١ ـ القيـــود الاقتصادية .
٢ ـ القيـــود الجنسية .
٣ ـ القيـــود القانونية .
٤ ـ القيـــود الأخلاقية والدينية .
٥ ـ القيـــود النفسية والفكرية .

وسوف نستعرض الآن كل من القيود السابقة وكيفية معالجتها من وجهة نظرنا فى الواقع المصرى :

أولا ـ القيــود الاقتصادية :

أن ازدياد ثراء الخبرات التي يتعرض لهــا الأفراد يزيد من ثراء سلوكهم بوجــه عام وسمات شخصيتهم بوجــه خاص ، ولا سيما السمات المرتبطة بحسن التكيف مع المواقف الجــديدة حيث أن خروج المرأة الى ميدان العمل يؤدى الى اتساع مجال خبراتها سواء عن طريق ازدياد معرفتها ومعلوماتها أو عن طريق اكتسابها لعــدد كبير من مهارات التعامل مــع أفراد كثيرين خارج النطاق الضيق للأسرة والأقارب مثل التعامل مــع الزملاء والمرءوسين والرؤساء ومــع أفراد الجمهور على اختلاف نوعيتهم مما يحــدث حتما ويؤدى الى مزيد من النضج النفسى والاجتماعى . علاوة على أن خروج المرأة للعمل يجعلها متعــددة الاهتمامات وليست أحادية الاهتمام (دور الزوجة الأم) . وفى نفس الوقت يحقق لهــا عائدا ماليــا يساعدها على الشعور بالاستقلالية والمساهمة فى الحياة الاقتصــــادية العائلية . ذلك بالاضافة الى مساهمتها فى تنمية مجتمعها .

وما لم تتجه المرأة الى العمل بمثل هــذا الشرح السابق فانها ستظل متقوقعة فى ظروف تجبرها على التخلف :

١ ـ لابد من اتساع توظيف المرأة فى شتى مجالات العمل .

٢ ـ يجب أن يصل المعــدل العــام لاشتغال النساء الى المعــدل العالمى ٤٧٪ على الأقل بالنظر لمــا هى فيه فى المجتمع المصرى حيث تبلغ نسبة قــوة العمل بين الاناث ٩ر٨٪ .

٣ ـ يجب توفير دور الحضانة المجانية لرعاية الأطفال للمرأة العاملة حتى يمكنها العمل فى ظروف نفسية مهيئــة ودون اعــاقات تجبرها على التضحية بعملها من أجل تربية الأطفال بالاضافة الى ما ثبت من حاجــة الطفل الى دور الحضانة كجزء من تربيته خارج نطاق المنزل .

٤ – لابد من توظيف الفلاحة المصرية فى عمل حسب امكانياتها ومواهبها تتقاضى عنه أجر .

٥ – لابد من رعاية الدولة رعاية حقيقية للمراة التى لا تستطيع العمل لعجزها بصرف أجر مناسب لها .

٦ – لابد من دعوة النساء الى المشاركة فى الحياة العامة .

٧ – تحويل الأعمال المنزلية الى نشاط عام لتشارك المراة فى الانتاج الاجتماعى والاقتصادى مثلها مثل الرجل تماما .

ثانيا — القيــود الجنسية والزواجية :

تشكل القيود الجنسية والزواجية قيدا مخيفا على حرية المراة وعلى وضعها النفسى ليصبح على درجة عالية من اللاسواء ادت الى نوع خطير من الازدواجية الأخلاقية :

أن وجود غاية انسانية اجتماعية عامة من ناحية ، وتحترم دوافــع الانسان ورغباته من ناحية أخرى ، هى التى تســـاعد على تراكم تراث الانسانية وخبراتها عبر الأجيال .

أن الجنس اصيل فى المراة والرجل والقيود الاجبارية المتعنتة التى تمارس ضــد المراة جنسيا هى جريمة فى حــق المجتمع :

١ — يجب تدريس الثقافة الجنسية (موضوع الجنس) كمـــادة دراسية فى المدارس للاناث والذكور .. وأن تشارك أجهزة الاعلام فى نشر الثقافة الجنسية مع الوضع فى الاعتبار أن الجنس انسانى للرجل والمراة .

٢ — أن تجرم تماما عملية الختان التى تجرى للانثى المصرية . وان ينص قانون العقوبات على نص صريح ازاء ممارسة عملية الختان . ان قطع بظر الانثى يتم من أجــل اضعاف رغبتها الجنسية أو القضاء عليهــا لتحافظ على عذريتها قبل الزواج وهو المفهوم الاجرامى القــذر المتقوقع داخل أدمغة كافة المؤسسات المنوط بها التعامل مع الاناث بدءا من الرجــل الى الأسرة والذى يؤدى بعــد الزواج الى البرود الجنسى للنساء والذى يصبح سببا فى مشاكل زواجية حادة .

٣ — لابد من أن نطرح على الاناث والذكور مفاهيم الحياة الخاصة ، لابد أن نملك الانثى أن الزواج هــو مؤسسة اجتماعية جنسية ثقافيــة اقتصادية وقبل كل شىء انسانية .

ويجب أن تبنى هذه المؤسسة على الاختيار الحر وان تملك الانثى مفاهيم الحب فهو المقدمة الطبيعية للزواج بل أن زواجا بدون مقدمته الطبيعية الحب هو فى كثير من الأحيان نوع من أنواع الدعارة الشرعية (تحوز رضاء المجتمع) . يجب أن يتم الزواج على الاختيار الحر دون تدخل أيا كان نوعه . واذا تبين لشخصين دخلا معا فى اتحاد انسانى (علاقة حب) أنهما غير متوافقين ، فان المعيار الصحى النفسى والأخلاقى يحتم حل هذه الرابطة لأنها أصبحت غير طبيعية .

لذلك لابد من اعطاء المرأة الحرية الكاملة مثل الرجل فى انهاء علاقة حب . وتحمل مسئولية انهاء تلك العلاقة .. ان أى زواج قائم على غير الحب بالدرجة الأولى هو خلل معرض للانهيار .

٤ — لابد الا تخضع المرأة لمفاهيم المجتمع الذى يدمغ المرأة التى لا تتزوج بكلمات معيبة ... أن الزواج محض اختيار حر من المرأة للرجل والعكس صحيح .. فاذا فشلت المرأة فى العثور على من تتوافق معه لانشاء المؤسسة الزواجية التى أوضحنا أسسها من قبل . أو فشلت فى تجربة حب واحتوتها التجربة ولم تستطع أن تكررها . فلها أن تكون سوية مع نفسها والا تتزوج خضوعا لارهاب المجتمع .. وعليها أن تكون متعددة الاهتمامات : اننا لا ننكر أن الزواج بشكله ومضمونه الذى طرحناه : مؤسسة اجتماعية جنسية ثقافية اقتصادية مغلفة بالانسانية السوية التى قوامها الحب وممارسته ، هو نوع من تحقيق الذات . ولكن فى نفس الوقت ليس هو وحده معيار تحقيق الذات . فيمكن للمرأة أن تبقى على احترامها لانسانيتها وأن تحقق ذاتها فى عملها وابتكاراتها والخوض فى الحياة العامة .

الى متى سوف تستسلم المرأة لمجتمع يفلسف تحقيره للمرأة على هذا النحو :

— العانس تغور لو خدها الوابور .
— لو اترفعت مناخير النسوان يبقى الراجل مسطول وسهتان .
— خليها تقول ما بدالها ، أصلها مش لاقيه محلها .

القيــود القــانونية :

القانون تطبيق للعـــدل ، لا يفرق بين الانسان لنوعه أو جنسه .. ولكن ما يطبق على المرأة المصرية من قوانين يعتبر جائرا ، ويعتبرها كائنا من الدرجة الثانية .

لنا ان نتساءل اى عـــدل واى قانون هـــو الذى :

١ ــ يعاقب أمراة تمارس الجنس مع رجل (اشتراها وذهب اليهـا ومارس معها الجنس كما مارسته هى) بالسجن فى حين يعتبر الرجل الذى مارس معها الجنس شاهدا عليها ويترك لحال سبيله ؟ !

٢ ــ الزوج الذى يمارس الجنس مع زوجته فى بيت الزوجية (فقط !!) يعاقب بالحبس والزوجة التى تمارس الجنس مع غير زوجها فى اى مكان فوق ظهر الأرض يحكم عليها بعامين سجن ؟ !

٣ ــ لا يمكن لأمراة أن تغادر أرض الوطن بدون موافقة الزوج أو ولى الأمر فى حين ان الرجل متى كان غير قاصرا فله حرية المغادرة دون أى موافقــات ؟ !

ونحن نرى ان تلك القيود الجائرة المتمثلة فى التفرقة فى تطبيق القانون على المرأة تعالج عبر النقاط الآتية :

١ ــ من حـــق الزوجين اللذين تزوجا بالاختيار الحر ، الانفصال عن بعضهما (الطلاق) ، والا يقتصر حـــق استعمال الطلاق للزوج وحـــدة بل للزوجة أيضا .

٢ ــ توقيع عقوبة مماثلة على كلا الزوجين (الرجل والمرأة) فى حالة ممارسة الجنس مع غير الزوج أو الزوجة ، ما دامت هناك حرية الزواج وحرية الطلاق لكلا الطرفين .

٣ ــ يعـــدل القانون بما يعطى للمرأة حـــق التصرف فى شئونها ومن أبسطها حرية السفر والانتقال دون قيود غير رغبتها وارادتها .

٤ ــ يعاقب الرجل والمرأة بنفس العقوبة فى حالة ممارسة البغاء .

٥ ــ الغاء قوامة الرجال على النساء وأن يصبحا على قدم المساواة فى المعاملات الحياتية .

ان القانون لابد أن يكون عادلا ، لا تفرقة بين رجل وامرأة ، ولابد وشرطا من شروط العــدل ــ ما دامت المرأة كائنا اجتماعيا كاملا ــ أن لا يفرق بينهما فى المعاملة . فللمرأة نفس الحقوق وعليها نفس الواجبات دون تفرقة من أى نوع .

القيــود الأخلاقية والدينية :

من أجل مزيد من القهر تظهر القيود الأخلاقية والدينية (وهى قيــود أبعــد ما تكون عن الأخلاق والدين) ــ لقــد بدأت أصوات تعلو وترتفع ويصبح ضجيجها عال تطالب بتعنت بالغ بــ :

١ ــ عودة المراة الى المنزل وعــدم خروجها للعمل حفاظــــا على أخلاقها ودينها ! .

٢ ــ منع سفور المراة وعودة الحجاب !

٣ ــ عــدم اختلاط الاناث بالذكور !

٤ ــ منع المراة من تولى مناصب العــدل والقانون فهى ناقصــة عقــل ودين !

٥ ــ الرجل قــوام على المراة فى جميع الظروف !

٦ ــ المراة عــورة وفتنه !

بماذا نرد على هــؤلاء .. لمن نحتكم .. ليكن الحكم للقرآن الكريم نفسه :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئــك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » ..

(التــــوبة ٧١)

« ان المصــــدقين والمصــــدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم » ..

(الحــديد ١٨)

« فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم واذوا فى ســـبيلى

وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنـــات تجرى من تحتها الأنهـــار » ..

(آل عمران ١٩٥)

« ويعـــذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعــــد لهم جهنم وساءت مصيرا » ..

(الفتــــح ٧)

نلاحظ هنا أن كل الآيات السابقة — على سبيل المثال لا الحصر — تضيف النساء الى الرجال ، وتخاطب الجميع خطابا واحـــدا بلا تفريق .. اننا نلاحظ أن الاسلام فى تكليفاته للناس وفى تشريعه لسلوكهم فى علاقتهم بالله وفى علاقتهم بعضهم ببعض قـــد سوى تماما بين الرجال والنساء ..

هل تسكت هـــذه الأصوات التى تمارس ارهابا فكريا باسم الدين على النساء ؟ هل تقتنع أن النـــاس سواسيه كأسنان المشط لا فضـــل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ؟ الناس والناس رجل وامرأة والتقـــوى عمل . أيفهم هؤلاء ذلك ؟

من قال أن المرأة عقلها ناقص .. الأصل أن هناك آية فى التوارة التى تنص على أن يصلى الرجل دون أن يغطى رأسه لأنه صورة من الله ؛ اما المرأة فلابد أن تغطى رأسها وهى تصلى . وفسر ذلك على أن المرأة ناقصة ينقصها الرأس بالذات ، من هنا خرجت فكرة المرأة ناقصة .. ان كل الدعاوى السابقة هى محض افتراء وقيود لتكبل المرأة .

أن المجتمع منوط به أن يثقف المرأة ويفهمها الأخلاق على أنها مجموعة من القيم والمعايير ذات مضمون محـــدد :

١ — احترام المرأة لذاتها : لقـــدراتها وعقلها وارادتها الحرة ..

٢ — أنها عضو مساهم وفعال وأصيل فى تقـــدم مجتمعها بالخوض فى مشاكله : آماله وآلامه .

٣ — أن عليها أن تثبت وجودها بأنها على قـــدم المساواة مع الرجل والدفاع عن ذلك .

٤ — أن شرف الانسان هـــو قـــدرته على العطــاء للآخرين من خلال احترامه لدوره واحترامه للآخرين .

٥ — أن الدين فلسفة للخير وليس لأحـــد أن يتدخل فى علاقـــــة الانسان مع من يعبده والعبادة حرية فردية . والمراة كائن اجتماعى كامل عليها أن تتعامل مع الدين من هـــذا المنطلق علاقة بين كائن انسانى وبين من يعبده دون الخوض فى خزعبلات تحـــد من حريتها وتنتقص من كرامتها .

أن الدين ليس استبداديا يعتمد على الخوف ليستأصل من الانسان الجزء الطيب ويسقطه على قوة خارجية عليه . أن الارهاب الفكرى باسم الدين وباسم الأخلاق لن يولد الا انسانا يبدو عليه مستسلما وفى داخـــله طاقة ضخمة من التمرد .. على المجتمع أن يفهم ذلك ويعيبه .

خامسا ــ القيــود النفسية والفكرية :

من جملة القيود الاقتصادية والجنسية والقانونية والأخلاقية الواقعة على كاهل المرأة ، كان لابد أن تنتج قيودا نفسية وفكرية .. فقــد أصبحت المرأة تعتقد أن هــذه القيود مفروضة عليها لطبيعتها كأنثى فباتت عرضة للتخبط النفسى والفكرى رهينة القلق والتردد ممتلئة بالأمراض النفسية .

لقــد حرمت المرأة من الفعل ، والفعل هــو الذى يوجــد الحقيقة فى حياة الانسان ، والفعل هــو الذى يمحور شخصية الانسان ويتفاعل معها وتتفاعل معه ، والفعل هــو لحظات اتخاذ القرار . ولقــد كبتت المرأة ، حيث أن الكبت هــو عــدم الفعل ، ولقــد اجبرت المرأة على التكيف المرضى مع المجتمع بقتل الجزء الأكبر من وجودها (حرية الفعــل) من اجل الابقاء على جزء صغير جــدا من الوجود حولها (رضاء المجتمع) . ونحن نرى انه للقضاء على تلك القيود النفسية والفكرية يجب :

أولا : يتاح للمرأة أن تحيا حياتها بمحض اختيارها ، ووجود مستقل بالعمل الخلاق المنتج ، وبتشكيل حياتها الخاصة بالحب النابع من مقاييسها .. ولن يتم ذلك الا بممارستها الحرية الايجابية واتاحة الفرصة أمامهــا للخلق والابداع .

ثانيا : أن تفهم المرأة أحــد وأهم ميزات الوجود الانسانى : أن تنطلق الى المستقبل مستفيدة من تجارب المــاضى بخطئها وصوابها ، ذلك هــو الطريق للطموح الفكرى : لامكانية أن يكون الانسان خلاقا ومبدعا . ان المــاضى جزء من حياة الانسان لا يشكل أمامه حجر عثره ولكنه هــــو الدافــع للمستقبل .

ثالثا : لابد أن يتاح للمرأة أن تتثقف حتى تستطيع بنــاء شخصيتها محطمة العادات والتقاليد البالية والمفاهيم الخاطئة حتى لا تحيا ازدواجية اخلاقية : الخضوع بلا اقتناع .

رابعا : يجب أن تتسع حياة المرأة ولا تكون أدوارها مختزله جميعها فى دور واحــد هــو دور الزوجة والأم ، ان دور الزوجة والأم هــو دور

أساسى فى حياة المرأة يدعمه ويدعم قيمتها أدوارها ككائن منتج فى المجتمع مشارك فيه من خلال العمل بمعناه الشامل .

خامسا : يجب خلق مجتمع جديد تحيا فيه الاناث والذكور ، حياة قائمة على العطاء والعطاء المتبادل فى ظل مناخ يسمح بالحرية والعدالة ، ويسمح لأفراد المجتمع (والاناث على وجه الخصوص) بحرية التعبير قولا وكتابة ومناقشة دون حجر أو ارهاب .

سادسا : بدون حياة قائمة على الاقناع والاقتناع ، بدون أسرة تسمح وتربى أبناءها على حرية الفعل والقول باقتناع واقناع ، وبدون مجتمع يسمح بهذه الحرية ، فلن يخرج للمجتمع أفراد يدفعونه للامام بل سيزداد تخلفا على تخلفه .. لابد أن يكون تفكير الانثى حرا غير مجبرة عليه حتى يكون الفعل صادق وتكون هناك امكانية التعلم من الخطأ والصواب .. أن فرض التفكير على الانثى سوف يدفعها دفعا الى ممارسة حياتين : حياة السر (ما هى مقتنعه به) وحياة العلن (ما هى مجبرة عليه) .. سينشأ الصراع وسيتولد القلق وستصبح الانثى نهبا للأمراض النفسية .

سابعا : أن دور المدرسة مهم غاية فى الأهمية ، فهى احدى المؤسسات التربوية ولكن اى تربية تعطيها للتلميذ ؟ فى معظم الأحيان تحول المدرسة التلميذ الى جهاز استقبال صامت لا رأى له .

أن المدرسة لابد أن تعود التلميذ (وخاصة الاناث) على أن الحياء والخجل هى صفات مرفوضة وليست أمرا واقعا الا اذا استدعى فيما يلزم ، لابد أن تعود المدرسة الانثى (التلميذة) على ابداء الرأى والمناقشة والاقناع والاقتناع ، وأن يلقى فى مزبلة التاريخ ذلك المثل القائل (من علمنى حرفا صرت له عبدا) فالعبد جبان وخائف لا يستطيع مخالفة أحد فى الرأى هو يؤمر وينفذ . أن من علمنى حرفا يجب أن أحترمه ، ذلك هو المعيار الصحيح للتربية ، الاحترام وليس الخوف والجبن اللذان يقفان حائلا بين النضوج الفكرى والاستقلال الشخصى لابد أن يكون العلم للمجتمع وليس لمسخ (الانثى) الى شخص عاجز وغير متحرر ومكبوت . لابد تلغى كلمات العيب والحرام وقلة الآدب . ويعوض عنها بكلمات احترمي

نفسك يحترمك الآخرون . أن فلسفة التربية هى بناء الشخصية المتكاملة وهى التى لا يمكن أن تنمو فى مدارسنا المعتمدة على العقاب الجسمانى بدلا من الاقناع ، والمعتمدة على الامتحان ذلك النظام البغيض ، بدلا من الابتكار القائم على الفهم .

أن المدرسة لابد أن تعلم الانثى أنها كائن اجتماعى كامل قادر على تغيير مجرى الأحداث ومشارك فى تطوير المجتمع .

ولابد أن يكون التعليم اجباريا الى المراحل التى يمكن فيها أن تتخرج الانثى تعمل ولتعمل بدءا من العاملة الى العالمه .

ثامنا : « ان المطبخ بالنسبة لملايين النساء واحد من أكثر المؤسسات انهاكا وتضييعا للوقت والجهد : أنه يهدم صحتهن ويصيبهن باكتئاب كما انه مصدر ازعاج مستمر لأولئك — وهن الغالبية — اللاتى لا يملكن الا مصادر فقيرة . « وسيكون الغاء المطبخ الخاص خلاصا لعدد لا يحصى من النساء . فالمطبخ مؤسسة بالية شأنها شأن ورشة الحرفى : كلاهما ينطوى اليوم على سوء الادارة وضياع الوقت والجهد والحرارة والضوء والمواد الغذائية ... الخ » .

« ان جميع أعمال التدبير المنزلى تقع على عاتق المرأة . وهذه الأعمال هى فى غالب الأحيان أقل الأعمال التى تؤديها المرأة انتاجية وأكثرها بربرية وأشدها وطأة وأرهاقا . أنه لكدح فى منتهى الحقارة ، ولا يمكن أن يسهم بأى قسط فى تطور المرأة » .

قيلت المقتطفات السابقة فى الربع الأول من القرن العشرين ، واليوم وفى المجتمع الحديث نجد ان معيار نجاح المرأة فى مصر معناه أن تنجح فى غسل الصحون ورتق الجوارب والطبخ وكيفية الاحتفاظ بالزوج . ولعل النجاح الفكرى للمرأة حتى الآن فى مصر أو الذكاء المتفوق كلها تعتبر عيوبا بالنسبة للمرأة المكتملة الانوثة . فكيف يمكن لها أن تظهر ذكاءها ؟ أن استعباد الرجل للمرأة أو بمعنى أصح استعباد المجتمع للمرأة ، يظهر جليا فى حرصه على الاشادة بالزوجة الوفية التى تستطيع تنظيف بيتها

وطهى طعامها ، حتى أنهم وضعوا فى ادمغتها أن الوصول الى الزوج والى استقراره يأتى عبر شيئين :

١ — الانجاب .

٢ — الطعام .

هكذا أهدر المجتمع المصرى قيمة المرأة وقدرتها واختزلها فى تلك الأعمال المنزلية غير المنتجة .

ويقول « فردريك انجلز »(١) : ان التقسيم الأول للعمل (فى تاريخ الانسان) حدث بين الرجل والمرأة من اجل رعاية الأطفال ، وكان أول صراع طبقى فى التاريخ هو الصراع بين الرجل والمرأة فى ظل الزواج الوحدانى Monogamy وأن أول خضوع طبقى كان خضوع الزوجة لزوجها ، لقد كان هذا الزواج الوحدانى تقدما تاريخيا من ناحية ، لكنه من الناحية الأخرى أنتج الرق (العبيد) والملكية الخاصة : وتلك الظاهرة المستمرة حتى اليوم ، وهى أن كل تقدم ليس الا تأخرا نسبيا ، حيث أن تقدم مجموعة من الناس تكون على حساب شقاء وتخلف مجموعة أخرى » .

ان الحل الوحيد لحرية المرأة ولاحساسها بذاتها وتخلصها من تخلفها وعقمها الفكرى الحالى المفروض عليها ، هو الخروج الى العمل بل نحن مع من يقول أن يكون العمل اجباريا للمرأة وللرجل . وأن تكون الأعمال المنزلية هى أقل الأعمال التى يمكن للمرأة أن تقتطعها من ساعات يومها وأن يشاركها الرجل فى هذه الأعمال .

أن العمل هو الذى يشعر المرأة بذاتها وبكونها عضوا منتجا فى المجتمع ويجعلها مربية ممتازة لأولادها من خلال تجاربها المتعددة فى شتى نواحى الحياة من خلال المشاركة مع الآخرين ، مع المجموع ، فى تجاربهم وخبراتهم . والتى سوف تكتسبها من خروجها للعمل .

1 — Frederick Engeles, the Origin of the Family, Selected Works, Progress Publishers, Moscow, 1970, p 240.

ولقـد أوضحت « ماكوبى »(٢) أن عمل المرأة خارج البيت هو أقـل العوامل تأثيرا فى صحة الأطفال النفسية » .

وقـد وصل الى هـذه النتيجة بشكل آخر علماء آخرون مثل «وولتر» Waltre و « وباندورا » Bandora و « جلوكز » Gluckes الذين توصلوا الى أن مشاكل المراهقين النفسية تزيد فى العائلات التى تتفرغ فيها الأمهات لأعمال البيت والأطفال . وفى أبحاث رومان ١٩٥٧ Roman اتضح أن أبناء الأمهات العاملات يتمتعن بصحة نفسية افضل من الأمهات المتفرغات بالبيوت .

* * *

هكذا نكون قـد استعرضنا القيود التى تعانى منها المرأة المصرية المعاصرة ولقـد حاولنا أن نضع لهـا نقاطا علاجية .

وتبقى لنـا كلمة :

يقول الموال المصرى المعاصر :

« وريحونى على الشزلونج بهوادة
وبرقـة مش فى شمايلهم ولا عادة
ده بيحايلنى ودى بتحط لى وسادة
قولوا بصراحة ح تأكلونى منين ومنين .
ح تمصمصوا الرسغ واللا تبتدوا بالعين
اعتدت لـما تلاينونى آخاف وآهرب
دى نظرة الحب منكم أمر مستغرب
ونظرة الكره بتطمن ومعتادة » .

---

2 — Maccoby, E. F., Effects upon children and their Mother's Outside-Emplogyment, From a modern Introduction to the Family. By Bell and Vagell. Lonon Rot Kegan Paul. 1960 (Last Edition). p. 520.

لقـــد علم المجتمع المصرى وربى اناثه على الكراهية وعلى الخـــوف والهرب ، وأصبح العـــداء تجاه الانثى أمرا معتادا يبعث على الطمـــأنينة لأنه واقع .. خلق المجتمع من نصف سكانه مرضى مشوهين نفسيا .. ان هـــذا بالضبط هـــو ما سيدفع المجتمع مئات الخطوات للوراء .

ولقـــد جاء دور العلم الحـــديث ليبث الحماس ويزرعه فى النفوس ، بطرحه افكارا جـــديدة تولد الأمل والدعـــوة الصريحة للمرأة لأن تغـــير وضعها ، بتبنى أفكارا جـــديدة ، وبثورتها على العادات والتقاليـــد البالية والمفاهيم البليدة . آن للعلم أن يحـــدث التغيير . والتغيير ثورة ونبؤة بعالم جـــديد لابداع الانثى المصرية .

ان الحـــل الوحيد لتقـــدم المرأة الى الأمام (وليس الى الخلف !) لن يتأتى الا بقـــدرة النساء على التوحـــد والثورة على وضعهن ، ولن يتأتى ذلك الا بادراك النساء لحقيقة وضعهن المتدنى فى المجتمع . ان ذلك يتطلب أن يتفهم الرجال أيضا أن قضية تحرير المرأة هى قضية تحرير الانسان وهى قضية تقـــدم المجتمع .

وأخيرا : أتوجه للمرأة العربية والمصرية على وجه الخصوص بكلمات مايكوفسكى :

« اشرقوا عاليـــا
اشرقوا على الأرض
اشرقوا حتى يجف نبع الحياة ذاته
اشرقوا بكل طاقتكم المزدهرة
هكذا تقـــول الشمس وأنا »

الفهرس

صفحة

الاهـــداء ٣

مقـــــدمة ٥

الفصل الأول – واقع المرأة المصرية المعاصرة فى المجتمع ... ٧

الفصل الثانى – العادات والتقاليد التى تمارسها المرأة المصرية
المعاصرة « الأكثر شيوعا » ٤٧

الفصل الثالث – سيكولوجيا المرأة المصرية المعاصرة من خــلال
عاداتها وتقاليدها ١٢١

الفصل الرابع – عرض لاستمارة تجميع المعلومات ١٩٥

رقم الايداع بدار الكتب القومية

٨٧/٥٠٣٩

شركة دار الاشعاع للطباعة

١٤ شارع عبد الحميد ــ جنينة قاميش
السيدة زينب ــ القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩

هذا الكتاب

يناقش هـذا الكتاب بشكل مترابط تحليل شخصية المراة العربية « المصرية كنموذج » من خلال أشهر العادات والتقاليد التى تمارسها ودلالة هـذه الممارسة ..

وفى استعراضه للعادات والتقاليد يوضح مدى التخلف الذى تحياه المراة :

ففى « الزفة » تبدو المراة سعيدة وهم يتغنون بأشد اعضاء جسدها قداسة .. وفى « السبوع » خوف مريض من فقدان الطفل .. اما « الختان » فهى الجريمة الكبرى التى ترتكب فى حق الانثى وتلازمها عمرها كله .. ثم « الزار » ذلك المؤشر الواضح للهستيريا ... والغيرة التى تحولت الى عادة من أجل المحافظة على الرجل وممارستها بشكل تمثيلى بحت .. بالاضافة الى عادات وتقاليد اخرى يستفيض الكتاب فى توضيحها .

وفى نفس الوقت يستعرض كثيرا من المفاهيم المشوهة لدى المراة : الحب هل هـو مطلب سابق للزواج أم العكس ؟ ! وما معنى الحب ذاته ؟ .... الزواج هل هـو « ضل راجل ولا ضل حيطة » ؟ ! وماذا نقصد بالزواج كمؤسسة اقتصادية ثقافية اجتماعية جنسية ؟ .... لماذا تتزين المراة أهو تذوق للجمال ؟ ! أم عقدة نقص أم اضطراب عام ؟ ..

ان سطوره تستهدف فى المحصلة الأخيرة : قضية تحرر المراة التى هى فى حقيقتها قضية تحرر الانسان ، فتحرر المراة مرتبط ارتباطا اصيلا بتقدم مجتمعاتنا العربية .

وهـو يناقش بشكل علمى تاثير الواقع الذى تعيش فيه المراة العربية « المصرية كنموذج » على مجمل شخصيتها ، ويوضح أن قضية المراة فى عالمنا العربى ما زالت فى حاجة الى مزيد من البحث والدراسة وبالحاح ، حيث أن نساءنا العربيات يتقدمن ولكن الى الخلف .

ان هـذا الكتاب يواصل ـ بجدية ـ المشاركة فى الدفاع عن حق الانسان العربى فى التقدم والرقى بدفاعه عن المراة : ككائن اجتماعى كامل على قدم المساواة مع الرجل ، غير مكبلة فى دور واحد : الزوجة والأم بالتغاضى عن تعدد أدوارها الأخرى فى الحياة التى تفجر طاقات الابداع والخلق .

ويطرح سؤالا : هل يأمل عالمنا العربى فى تقدم ورقى ونصفه ـ النساء ـ مكبلات فى تخلف وقيود ؟ ! ان سطوره تدعونا لنأمل فى غد افضل .

الناشر

العربى للنشر والتوزيع
٦٠ شارع قصر العينى امام روزاليوسف
تليفون : ٣٥٤٧٥٦٦ - ٣٥٥٤٥٢٩